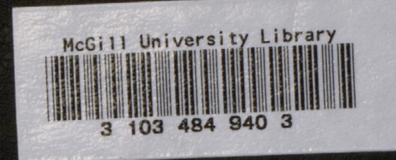
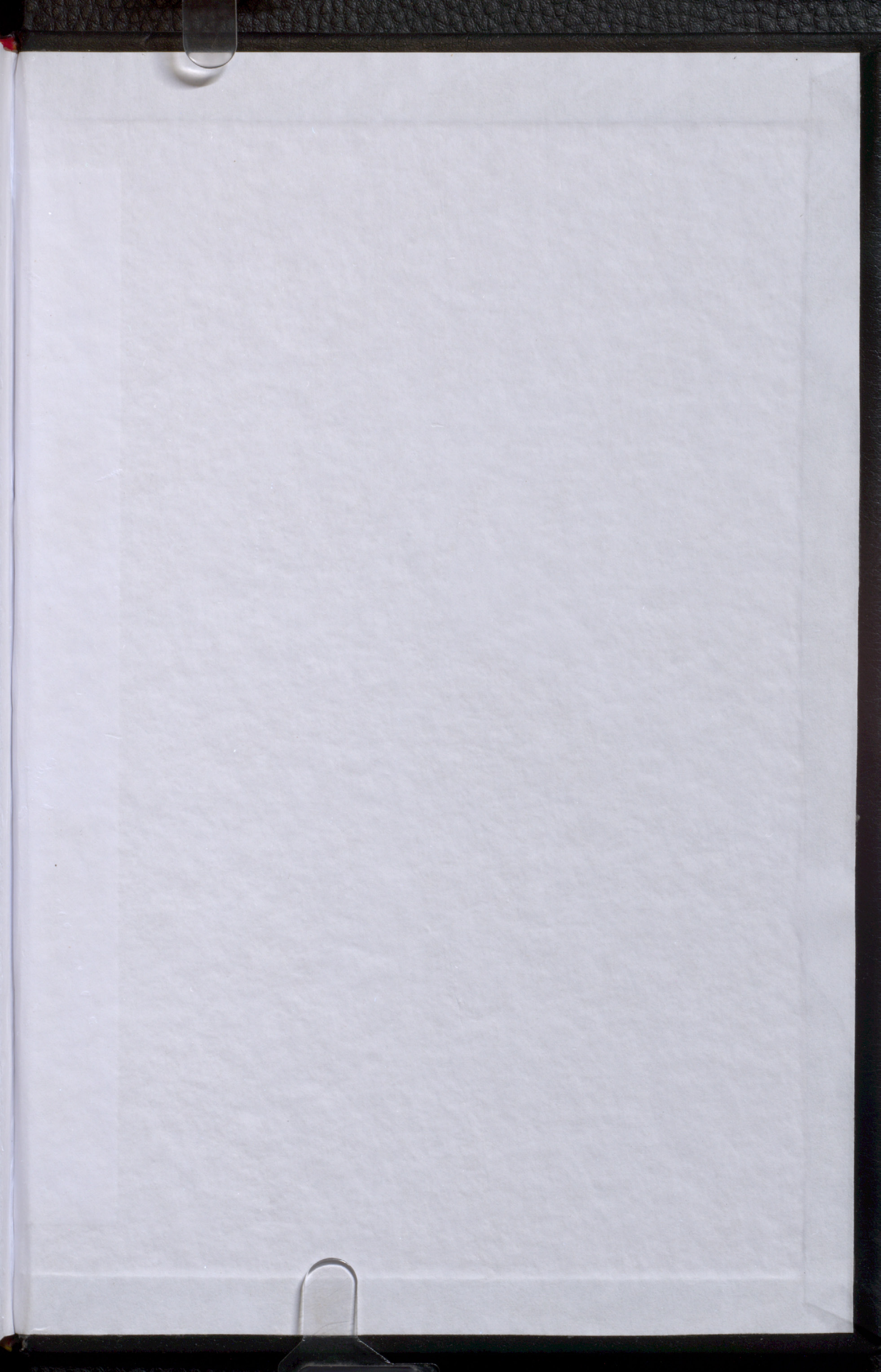
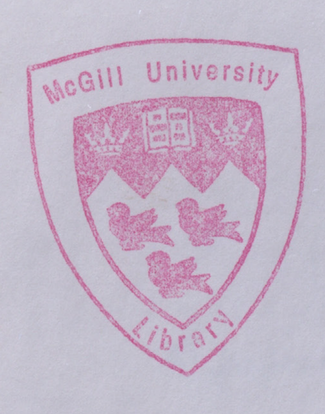
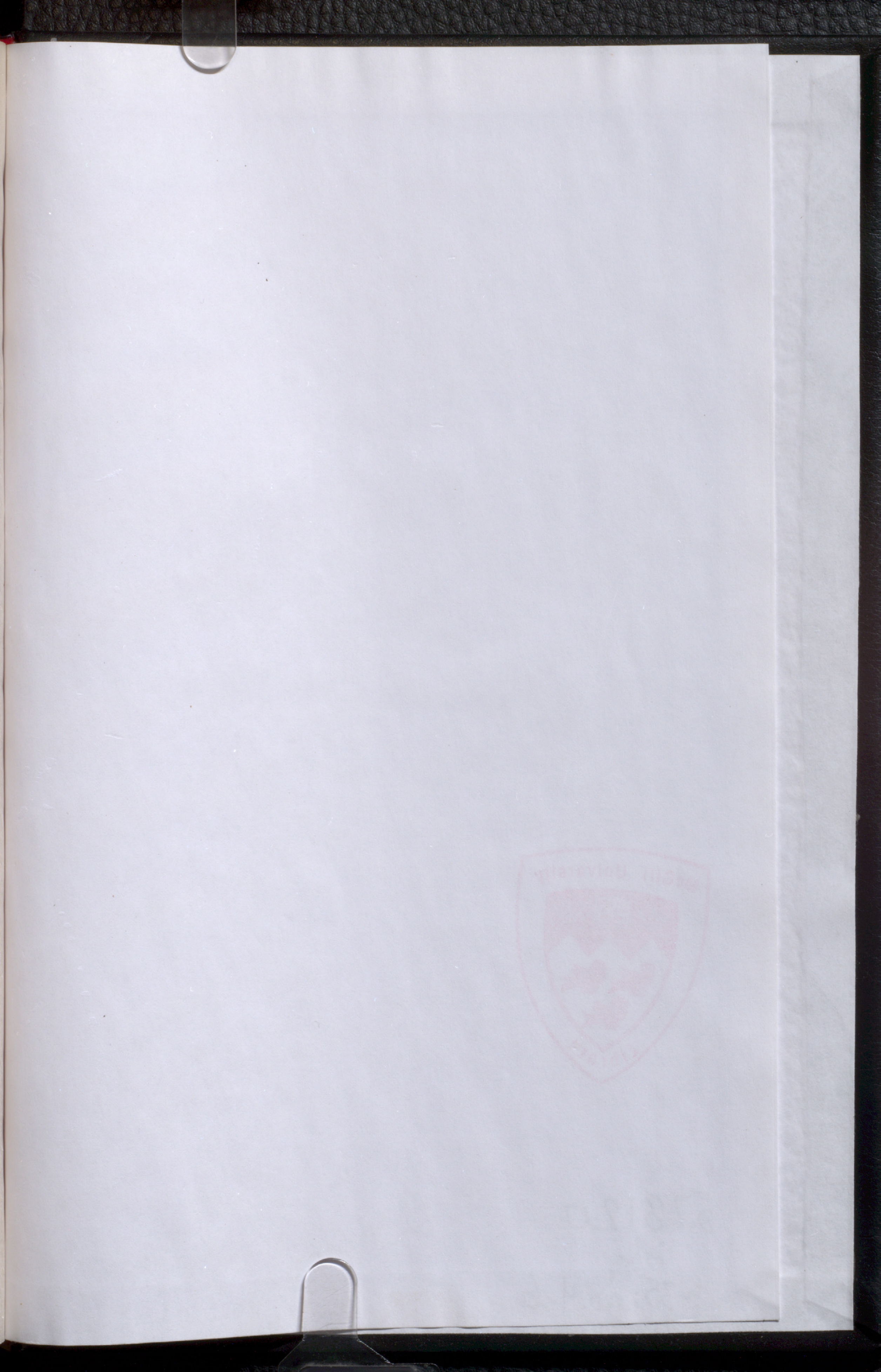
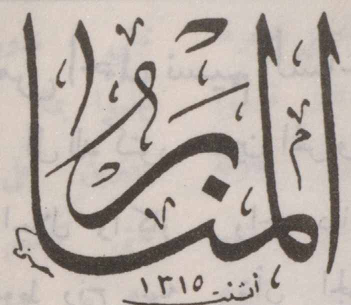

McGill University Library
3 103 484 940 3

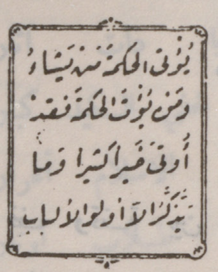



McGill University
Library



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب





قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صُوى « ومنارا » كمنار الطريق

٨ محرم سنة ١٣٥ هـ ٣١ مارس سنة ١٩٣٦ م

المستشرقون والاسلام

بقلم الدكتور حسين الهراوى

مفتش صحة مصر القديمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم

من احمد نسيم الشاعر

الى الدكتور حسين الهراوى

قف وقفة بين اجلال واكبار … واحمد دفاع طبيب الحي والدار

جلى «حسين» بشوط زاح ينهبه … شأن الجواد إذا جلى بمضمار

ما أنفك يهدي إلى الاسلام منكره … والحق أبلج لا يخفى بإنكار

يقظان ما هدأت يوما شقاشقه … كالفحل يتبع هداراً بهدار

في كفه قلم لو شاء أترعه … سم الأساود أو شهداً لمشتار

مرقق الحد مبري له جدل … يرضي النبي ويرضي الخالق الباري

يراعه كقناة الخط يرهبها … سنان كل أصم الكعب خطار

تجري على الطرس آيا حين تقرأها … يجري دم الرشد بالبادي وبالقاري

قويمة في ارتياد الحق أشرعها … للأخذ بالحق لا للأخذ بالثار

تدفع الصدق من حيزومها صبباً … دفع الخضارم تياراً بتيار

من عترة برسول الله مشرقة … ملء النواظر من زهر وأقمار

الله أنزل في الأحزاب أنهم … من أهل بيت كرام الخيم أطهار

فما ارتضوا نزعات الأمر مأثمة … ولا ارتدوا برد آثام وأوزار

ولا تقطع أمر الله بينهم … ولا أصيب بنقص بعد امرار

أعظم بهم في مجال الدين من نفر … مهاجرين ذوي عزم وأنصار

قم يا حسين فاطفيء كل مشعلة … من الضلال تلظى زندها الواري

عجل لهم قطهم خزيا إذا حسروا … عن أوجه سفرت سوداء كالقار

مدوا بأيد تخط البطل فاندحروا … قهراً أمام متين الايد قهار

لولاك لانغمست في الكفر ناشئة … كادت تضل بجحاد وكفار

سر في طريقك وادمغهم بمحرقة ... تبقي ندوبا ذات آثار
مستضعفون إذا ذلوا فان قدروا ... جاءوا بمكر خفي الكيد كبار
شريعة الله والمختار هازئة ... بمفترين على الاسلام أغرار
مستشرقين أثاروا نقع حملتهم ... حتى كأنهم طلاب أوتار
يخفون تحت ستار البحث كيدهم ... وهم على دين قسيسين أحبار
قوم أحق بلبيس النعل مشركة ... ولبس منطقة شدت بزنار
تعصب وأكاذيب ملفقة ... من مقذعين وقح النقد أشرار
ما بالهم نقدوا القرآن وانصرفوا ... في نقدهم عن أصاحيح واسفار
واجهل الناس من يبني عقيدته ... على شفا جرف من زيغه هار
وكيف تطلب منهم رشدة وهم ... في الدين عمي قلوب عمي أبصار
ان أبصروا الخير أخفوه وان ظفروا ... بالشر أبدوه في جهر وإسرار
والذين استباحوا البغي ساهرة ... مشبوبة الوقد من ناس وأحجار
في كل يوم ترى منهم أخا خطل ... يقول أذعن غير مختار
ضلت يراعته في نفس باطله ... كما يضل السرى في ظلمة الساري
بشراه بالخزي في دنياه ممتطياً ... متن الضلال وفي أخراه بالنار
لا نضر الله داراً بات ساكنها ... ولا سقاها حيا وطفاء مدرار
إن كان للعلم تضليل وشعوذة ... فالعلم أقبح مدعاة إلى العار

« ٥ »

حسين هل لك في حمد يردده ... فم الزمان اذا أدلى بأخبار
كأنه باقة في روضة أنف ... شق الازاهير من ورد ونوار
جادت عليها العزالى فهي زاهرة ... وكل ناضرة الاكمام معطار
قصيدة تضرب الدنيا بسنبكها ... فتنبه الذكر في بيد وأمصار

انى تسر تترك الآفاق مشرقة ... ككوكب مستفيض الضوء سيار

ضمها بعروتك الوثقى معطرة ... كأنها وردة من ورد آذار

حسبي بمدحك أعلاء وتزكية ... فبالشريف تعالى شعر مهيار

جزاك ربك في آلائه نعما ... موصولة بعشي بعد ابكار

أعدك الدين للجلى إذا اشتجرت ... اعداد ليث قوي الزند زأر

دين من الله جلى كل واجبه ... يوم استهل بأضواء وأنوار

كالشمس ما أشرقت بيضاء مسفرة ... تختال ما بين أشراق وأسفار

وبعد فانظر الى نفسي وما احتملت ... من حاسدين لاهل الفضل أغيار

عمرت فيهم فضاعت مدة سلفت ... عددتها بينهم من شر اعماري

صدوا عن الشدو آذاناً مصلمة ... ليست تصيخ لورق فوق أشجار

ان أنكروك فلا تحزن فقد نكروا ... من قبل فضلك آياتي واشعاري

احمد نسيم

الفصل الاول

أسباب ونتائج :

يحدثنا التاريخ أن جزيرة العرب عامة ومكة خاصة ، لم تكن قبل الاسلام مستعمرة لأحد ، ولم يفتحها فاتح قط[1] وكان العرب مدى تاريخهم أحرارا

وكذلك يحدثنا التاريخ أن العرب قبل الاسلام لم تكن لهم ثقافة ، أو دور تعليم ، ولم تكن لهم مدنيـة ولا تاريخ مكتوب غير ما كانت تتناقله الألسن راوية عن راوية ، وتلك هي ثقافة الفطرة

ولم يكن للعرب هيئة اجتماعية ، أو نظام حكومي بالمعنى الذي نفهمه الآن - وجل تفاخرهم كان بانتصار قبيلة على أخرى ، أو بتحديها ، فكانوا أشتاتا من القبائل لا تجمعهم إلا ميادين الحروب أو أسواق التجارة او مواسم الحج

ومن البين أنه لم تكن هناك أية فكرة أو ظن بينهم لجمع شتاتهم وتوحيد مجتمعهم قبل الاسلام

ومن وسط هذه القبائل المفككة أو من أسحق الامكنة فيها سطعت أشعة الاسلام ، وفي مدى عشرين عامامن حياة النبي العربي الكريم ﷺ ، تكونت أمة تشعر بوجودها الادبي وتقوم برسالتها في الأمم المجاورة ، فتكتسح المعتقدات البالية ، وتقضي على ملك الفرس والرومان وتر ثه

(١) مواقف حاسمة الفصل الاول لعنان

وليس لهذه النهضة الكبرى ، والثورة الفكرية العظمى سوى مصدر واحد هو القرآن ، وأداة واحدة في تأدية الرسالة هي شخصية سيدنا محمد ﷺ ، ومهما يكن من الظروف التي ظهر فيها الاسلام ، وأحوال العالم في ذلك الوقت ، فان ظهور الاسلام من أجدب وسط في العالم ، ومن أوحش صحراء ، ومن أبعد الامكنة التي يظن أن العالم ينقذ على يدها ـ هذا كله - يعد معجزة لا شك فيها

وإذا كانت النهضة العربية ومصدرها الاسلام وحده تعد آية فان اكتساحها للعالم والمعتقدات وتكوين دولة ترث الرومان والفرس في مدى ثمانين عاما بعد مبرأ ليس من السهل أن يعود ، ومن المستحيل أن تجد له مثلا في التاريخ(١) خصوصاً إذا لاحظت أن هذه الثقافة الجديدة قد هضمت الدول كلها وطبعتها بطابع خاص هو الطابع الاسلامي

بل المثير للدهشة والعجب أن تظل هذه الثقافة الى الآن راسخة ثابتة رغم العواصف التي واجهتها ، والحروب التي عملت على فنائها

* * *

والتاريخ يحدثنا عن تنازع البقاء الدولي بين الشرق والغرب ، ويصف لنا من الحوادث مدها وجزرها ، وكيف بسط الشرق سلطانه وساد ، ثم كيف قاومه الغرب ورده واكتسحه أو كاد

وعلى الرغم من كل هذه التقلبات ، فالاسلام دينا وقانونا وثقافة اجتماعية وأخلاقية ، ثبت لكل هذه الموجات والعواصف والتقلبات ثبات الصخر على الشاطىء ، فذهبت كلها بذهاب الزبد على سطح الماء

والواقع أن أعداء الاسلام لم تهدأ ثائرتهم ، ولم يفت في عضدهم بقاء الاسلام

(١) فتوحات الاسكندر ونابليون استغرقت زمنا يسيرا ولكنها ماتت بموت أبطالها

قويا مكينا على الرغم من الحروب والدسائس في البلاد الاسلامية التى أثاروها ، بل كان ذلك مما زاد المسلمين يقيناً وثباتاً واستمسا كا بدينهم ومحافظة على يقينهم، لأن الاسلام يحفظ القومية ، ويشعر الناس بواجبهم نحو أنفسهم ، ويجمعهم في دائرة واحدة من العاطفة ، ويوجههم كلهم إلى قبلة واحدة ، هذه القبلة التي تفنى ازاءها القوميات والشعبيات ويتساوى فيها الناس أجمعون من جميع الاجناس والأوساط

أضف إلى ذلك أن الاسلام هو أول مطلع للتفكير الحر ، والتحلل من قيود التقاليد ، وهو الذي يحث على الاسفار وجوب القفار والمشي في منا كب الارض ابتغاء الرزق . وهو في تعاليمه ينافي الاستعمار ، وينافي الخضوع لكائن من كان إلا للواحد الديان

وفضلا عن ذلك فان الاسلام عطف على الاديان الاخرى ، وطبع الشعوب التي انتشر فيها بطابع آخر هو الطابع العربي . فترى معتنق الاديان السابقة له والذين يعيشون في البلاد الاسلامية تجمعهم بالمسلمين رابطة الطابع واللغة ، ويعطفون على الاسلام بداعي العروبة ، والعروبة هي الطابع الثاني للاسلام لغير أهله . بما سنه من المعاملة الحسنة ومصاهرة أهل الاديان الاخرى وتقوية روابط الامر ، ونشر روح الوئام بين الجماعات ولذلك اختلطت الانساب وتنوسيت ، ولكن الشائع في البلاد الاسلامية هو الاصل العربي سواء كان الشخص مسلما أو غير مسلم . فأصبح المؤرخون في حيرة من تسمية هذا الامتزاج وتلك الثقافة ، فطوراً يسمونها الاسلامية وطوراً يسمونها العربية

تلك حقيقة ، وذلك واقع ، ولم يخف عن الغرب ، وليس في حاجة إلى دليل وليس من المستطاع انتزاع تلك العواطف من أفئدة الناس ، وليس من الممكن استئصالها بحملة عسكرية ، أو انشاء محكمة تفتيش أندلسية جديدة لمحاربة آراء الناس ولغاتهم وضمائرهم وعلاقاتهم

فالمسألة كلها فكرية وعلمية ، ومحاربتها يجب أن تكون على أسلوب نشأتها: ثقافة وغزوة فكر

من أجل هذا نشأ الاستشراق في بلاد الغرب ، وأخذ جماعة من الغربيين يعكفون على لغات الشرق وتاريخه ودينه دراسة واستذكاراً وحفظا وتحقيقا وتغلغلا في البحث

هذا هو منبع المستشرقين ، وهذا هو مصدرهم ، وتلك هي الغاية التي يعملون لها.

والباحث في هذه الموضوعات لا يعدم موضوعا جديداً علمياً ، ولا يعدم كتابا قيما مدونا ، يعيد نشره ، ويحيي ذكره ، ليصبغ نفسه بصبغة العالم البريء ومنها اصطبغ أسم المستشرقين بصبغة علمية

غير أن النواحي الاخرى التي عكفوا عليها وهي غزوة الفكر الشرقي في قوميته ولغته ودينه كانت واضحة جلية في أعمالهم لانها الهدف الاول والغاية القصوى

والمستشرقون هم من أساتذة اللغات الشرقية في الجامعات وطلبتهم من أبناء وطنهم ، وهؤلاء الطلبة يعدون أنفسهم للعمل في المستعمرات في الشرق ، وكان لابد من المحافظة على قومية هؤلاء الطلبة . ولابد للعناية بتربيتهم أن لا يكونوا أداة عطف على الشرق أو مصدراً لاذاعة محاسن الاسلام ، ولادراك ذلك لابد من تصوير الشرق بصورة بشعة قبيحة في أخلاقه وعاداته وآرائه ، ولابد من تصوير الاسلام في صورة منفرة ، وأن يكون هؤلاء الطلبة حربا على الشرق والاسلام .

كما لابد من أن يقوم هؤلاء المستشرقون بدورهم في تغذية جمهور أممهم بمثل تلك التعاليم بنشر مؤلفات يصفون الشرق فيها بصورة مشوهة . ويصمون الاسلام بكل المخازي التي هو منها براء

ولذلك أصبحت المودة بعيدة بين عواطف الغربيين والشرقيين ، وأصبح التفاهم أبعد منالا مما يجب

وقد تأثر الشرق نفسه بتلك الدعاية ، وكأنه من هذا التجريح والتشنيع شعر بضعفه أمام الغرب وألقى فريق من ضعفاء النفوس سلاحهم ، فاعتقد الشرقيون أنفسهم أن عاداتهم وأخلاقهم وقوميتهم وشعوبهم في مستوى أدبي وعقلي أقل من المستوى الاوربي ، وأصبح الشرقيون لا يثقون بأنفسهم في التفكير ولا في العمل الحر ولا في إدارة الاعمال ، وأصبحت تراهم إذا قرأوا في الجرائد أي جريمة عادية أو خبراً صغيراً ثاروا وقالوا إن ذلك مستحيل حدوثه في الغرب ، ولذلك أخذوا يقلدون الغربيين في كل شيء ، في المعنويات وفي الماديات

أما في المعنويات فقد شاهدنا اختلاط الالسن في الاسر والبيوت ، ونبذ اللغة القومية في الطبقات المتفرنجة ، وكذلك في الزي النسائي ، واستحالت الاخلاق ، وضاعت تلك المودة القوية وصلة القربى ، وأصبح الشخص ينظر إلى أسرته المصرية الصميمة من أعلى إلى أسفل ، يحاول خدع نفسه بأنه غربي ، وأنهم شرقيون ، ورأينا تياراً جارفا من الادب الغربي يكتسح التفكير الشرقي والقومية الشرقية ، وانتشرت القصة المعربة ، وهي قصص لا تخرج عن معاني الحب الساقط ، وألفاظ الخنا ، وخيانة الزوجة ، وتهوس الشباب ، وسقوط المرأة التي يقابل الزوج زلتها بالعفو والصفح والغفران

كان هذا من أثر الدعاية أن العربية ينقصها أدب القصة ، فملأ المعربون هذا الفراغ بقصص لا تلتئم والشرف الشرقي ، ولا الغيرة الاسلامية ، ولا الآداب القومية . ثم هجم جماعة المبشرين على معاقل الاسلام ، مزودين بالمال والعلم والرجال ، فأصبحنا نرى المخازي والاغراء والقبائح ترتكب باسم الاديان ،

وأصبحت الاسرة الاسلامية يقتنص بعض أفرادها بالمال أو بالاغراء أو بالاستهواء أو التنويم المغناطيسي باسم الدين . وترى ذلك متجلياً في دور التعليم الاجنبية ، وفي المستشفيات الاجنبية التي تحمل على بابها بالخط العريض انها بيئة ووكر للمبشرين في ثوب علمي شفاف . طرق لا يقرها عقل أو ذمة أو ضمير أو وجدان

أضف إلى ذلك أن كل بلد شرقي استعمر كان لا بد له من طلائع تجوس الديار ، وتستكشف الآثار ، وتكتب التقارير

وكان لابد لهذا الجاسوس أن يلبس ثوب العالم بلغة البلاد ، وأن يصطنع بحث العلمي

وفي حالة دخول الجيش الفاتح لابد لقيام صلة بين الاهالي والجيش المهاجم والتاريخ يحدثنا أن هؤلاء كلهم من المستشرقين

أما في حالة السلم فلابد من وضع سياسة لمعالجة هدم الاسلام وتفريق كلمة أهله ، وإعداد النفوس لقبول التغييرات التي تدخلهم تحت النير

هذه مسائل علمية محضة ، ويقوم بها المستشرقون

فلتغيير الدين يجب أن يقال إن الاسلام دين مخترع ملفق ، ولهذا الرأي شيعة من المستشرقين ، وللسخرية من الاسلام يجب مهاجمة شخصية النبي الكريم ولهذا أيضا شيعة من المستشرقين

ولتفكيك روابط العرب يجب أن يفهم الناس أن العربية الفصحى لا تصلح لشيء وأنها لغة قديمة وأن اللغات الدارجة أنفع منها

ولتفكيك روابط القومية والهيئة الاجتماعية الشرقية يجب أن يعزى كل شعب إلى أصله ، لان العرب لم يكن لهم فضل في ثقافة أو تاريخ

ولاضعاف الروح القومية وقتل الاعتماد على النفس يجب أن يفهم الشرقي أنه غير مؤتمن الجانب ، وأن الاختلاس غريزة فيه ، وأن الشرف بعيد عنه ،

وأن بلاده وتربيته لا تصلح إلا للزراعة ، وأن عقله غير مكون تكوينا تجاريا ، وهذا كله ليحتكروا التجارة والصناعة ويتركوا البلاد المستعمرة العمل الزراعي الشاق الذي لا يدر إلا الخير القليل

***

كل موضوع من الموضوعات التي ذكرناها تخصص لها فريق من المستشرقين وقد أصبحنا نعرف وجهة تخصص كل واحد منهم ، ويمكننا أن نعد أسماء المخصصين لكل موضوع من هذه الموضوعات كما سيمر بك في هذا الكتاب ، وكل هذه الموضوعات ذات مرمى سيء ، وليست من الحقائق العلمية في شيء ولذلك فان هؤلاء الناس قد ألبسوا موضوعاتهم الثياب العلمية ، غير أنه لم يتعرض لهم أحد بنقدها وإظهار مافيها من غش وخداع وتلبيس ، حتى إن كثيراً من القراء قد خدعوا بها ودخلت الحيلة عليهم

ولذلك يجب تحرير الفكر الشرقي من تلك الغزوة التي طال أمدها وسئمنا تكرارها ، ويجب أن نبرهن لهؤلاء الناس أنهم خادعون ، وأن الاخلاق الغربية لم تبلغ إلى الآن المستوى الشرقي ، وأن الزخرف البراق من المعاملة والطلاء الخارجي للمعاملات العادية لا يغير الواقع فالبلاد الغربية كالبلاد الشرقية فيها أحط الاخلاق وأشنع الجرائم من كل نوع

وليس الفكر الشرقي بأقل في مستواه من الغربي ، وإنما في استغلال المواهب نتيجة التربية الاستقلالية التى امتاز بها الغرب ونتيجة لازمة للحرية الشخصية والمساعدة الحكومية التى حرمتها الشعوب الشرقية ، إلا أن أول دعامة في تحرير الفكر الشرقي أن يعرف أسرار استعباده فيقف دونها حائلا، ويطلع على الصواب فيستزيد من مناهله ، ولا يقبل التغرير ، وأن يواجه هؤلاء المستشرقين بحقيقتهم ويعلم أن بضاعتهم مغشوشة ولأغراض غير بريئة ، وهي بضاعة زائفة صنعت في

معامل التغرير ، ولذلك عمدنا إلى الرد على بعض المستشرقين في هذا الكتاب وجعلنا الرد في أسلوب علمي ليعرف القارئ الحقيقة

والذي دعانا إلى وضع هذا الكتاب هو تلك الحادثة المشهورة التي اضطرب لها عقلاء المصريين ، فانه لما صدر الرسوم الملكي بتأليف المجمع اللغوي الملكي بالقاهرة ، ووجدنا اسم فنسنك من ضمن أعضائه نشرنا شيئا من مباحثه ، ورددنا عليه ، وانبنى على ذلك خروجه أو إخراجه من المجمع اللغوي وحلول غيره مكانه ، وبذلك انفضح جانب عظيم من أعمال المستشرقين وحقيقتهم مما سيتجلى عند قراءة هذا الموضوع في الصفحات المقبلة

أضف إلى ذلك أن هذا المبحث الذي خرج من أجله فنسنك كان بعض الناس سرقه ونسبه لنفسه في كتاب ادعى أنه بحث في الشعر الجاهلي ، وبذلك اتضحت آفة أخرى من آفات المستشرقين هي أن بعض الناس من المسلمين يجارونهم في تفكيرهم ويقتبسون آراءهم بغير نسبتها إليهم ليقال إنهم من العباقرة

وفوق ذلك فقد عثرنا على بعض سفسطة المستشرقين من أن محمداً كان على علم بالاديان السابقة وأنه اتصل في سياحته للشام بأهل العلم مما دعاه إلى وضع قرآنه وتلك الفرية قد اتخذت سبيلها في التفكير الشرقي ورددنا على ذلك في حينه كما سنزيده شرحا في الفصول القادمة

والخلاصة أننا نريد تنبيه الناس إلى طلائع الاستعمار . ومصدر تغذية المبشرين وأدوات أذلال الشعوب الشرقية وتفريقها . وتشتيتها . ونثبت أن هذا كله من المستشرقين .

ولا ندعى أننا ندافع عن الاسلام بهذا الكتيب . فنحن أهون أن تكون لنا هذه المنزلة الرفيعة . ولكننا نريد أن نهتك سترهم ونظهر حقيقتهم دفاعا عن قوميتنا . وعقولنا . وقديماً قال عبد المطلب أما الجمال فسأدافع عنها ، وأما البيت فله رب يحميه

الفصل الثاني

محمد قبـــــل البعث

من البين أن مجيء القرآن ، وأثره في النهضة الفكرية العالمية كما رأيت مسألة مدهشة حقاً .

وقيام شخص واحد هو سيدنا محمد ﷺ بهذه الدعوة الناجحة التي اكتسحت العالم مسألة موجبة للحيرة ومعجزة بلا مراء .

والمستشرقون يقفون أمام هذه الحقائق ذاهلين ، ويحاولون الدخول إلى هذا الصرح العالي من باب التشكيك والتضليل . أو باب الاستنباط والقياس .

والتاريخ يعلمنا ويعلمهم أن حياة العظماء لها طريقة في البحث والدرس ولها طريق مألوف وهو الابتداء بدراسة الوسط الذي نبغ فيه الرجل العظيم والظروف المحيطة به . ثم دراسة طريقة انتزاعه السلطة أو قيامه على قيادة الأمة .

ثم يأتي بعد ذلك دور تكوين الشخصية وأثر الثقافة المحلية والعالمية في نفسه وأثر هذه الثقافة في أعماله .

وقد أرادوا أن يطبقوا كل هذه النظريات والمباحث على حياة النبي الكريم ﷺ كما يدرسون مثلا حياة نابليون والاسكندر وغيرهما .

وأول ما صادفهم من الخيبة والفشل أن الوسط الذى عاش فيه سيدنا محمد ﷺ كان وسطاً فطريا ساذجاً . ولكن هناك فى محيط ذلك الوسط وجد بعض النصارى واليهود .

ووجدت ظروف بسيطة في حياته ﷺ من سفره مرتين إلى الشام يمكن أن يبنوا عليهما القصور العالية من الأوهام

ولا بأس من أن يجعلوا من هاتين المسألتين ـ وجود نصارى ويهود في الحجاز وسفره إلى الشام مرتين ثانياً ـ موضوعا للتشكيك والتضليل

ولذلك نقتبس لك أسهل طريقة وأبسط تضليل من كتاب درمنجهام الذي نشر في السياسة الاسبوعية ورددنا عليه لانه كان أول مثار للبحث (١)

(والواقع أن محمداً منذ الساعة الاولى بل قبل أن ينزل عليه جبريل بالوحي كان أشد ما يكون نفوراً من الوثنية التي نشأ ونشأ أهله من قريش فيها وأشد ميلا لهذه المعاني الروحية التي يتحدث عنها النصارى واليهود من أهل الكتاب في أنحاء شبه جزيرة العرب ممن كان يتصل بهم في أثناء ذهابه إلى الشام وإلى اليمن في القوافل قبل أن يقوم بتجارة خديجة وبعد أن قام بها

وهذه المعاني الروحية في اتصالها بنفس محمد ﷺ المتوثبة منذ صباها للكمال هي التي دفعته إلى تحنثه بغار حراء شهراً أو أكثر من شهر

ان الله تعالى رضي للناس الاسلام ديناً مع بقاء الاديان السابقة. للقرآن وحده مندمجة في هذا الكمال الروحي ـ أي الاسلام ـ اندماجا أشار اليه القرآن في قصص أصحاب هذه الاديان وما جاءوا به من الحق من عند ربهم وأشار اليه حين أراد أن يثبت محمداً ﷺ في أمر ما جاءه كما جاء في سورة يونس (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين)

وفي هاتين الفقرتين ملخص لآراء المستشرقين الذين يظنون أنفسهم أهلا للبحث والاستنتاج دون أن نرميهم بشيء من سوء النية. ولعل ذلك أهدأ أنواع ضلال المستشرقين

ولما تسربت هاتان الفقرتان في الصحافة المصرية وعلى أيدي باحثين مسلمين

---

(١) طبع باسم حياة محمد للدكتور هيكل

رأينا توضيح هذه الطريقة واظهار ما فيها من خطأ في تطبيق ما يقال عن عظماء الغرب على حياة نبي عربي عاش في بيئة خاصة وفي محيط لا زال يتمسك بعاداته وأخلاقه إلى اليوم .

ولسنا نتهم هذا الرأي بأقل من أنه استنباط غير موفق ورأي خاطىء نتيجة الجهل والخطأ في الحكم

فأنت ترى من هاتين الفقرتين أن سيدنا محمداً تعمق في درس الأديان وتلقي مبادئها على الرهبان في سياحاته وأن ذلك العلم هو الذي دفعه إلى التحنث.

أما أنه خالط الرهبان وتشبع بمبادىء الاديان السابقة فذلك ظن ليس له من مؤيد ولو أنه كان كذلك لكان في كل عمل من أعماله دليل على ذلك وقد أحصى القرآن الكريم كل ما وجهه أعداء الاسلام وأعداء محمد صلى الله عليه وسلم له من التهم ومنها الكذب والسحر والشعر . وكل ماشئت من صنوف السب والشتم والتهكم والضرب بالحجارة والتحدي للقتال كل هذا قيل ولكن واحداً منهم لم يجرؤ أن يقول له انك تعلمت هذا العلم على فلان . ولو كانت هذه الجملة قيلت لكنا على الاقل وجدنا عليها رداً في القرآن

ولو أن نفس محمد عليه السلام اعتنقت دينا أو مالت لأي دين قبل الاسلام لوجدنا لذلك أثراً واضحا في الحديث وقد سأله الناس كل أنواع الاسئلة بلا خجل وكان يرد عليهم بالصدق والأمانة التي اشتهر بها . ولم يرد مايؤيد هذا الزعم ولذلك استنبطنا وكنا محقين في هذا الاستنباط أنه عليه السلام كان خالي الذهن من جميع الاديان وأنه اشتق طريقا في العبادة لنفسه كما سنبين ذلك في التحليل النفسي لحياته

أما الرحل والاسفار في التجارة أو مع عمه فقد كانت رحلته(١) الاولى مع عمه إلى الشام وهو ابن تسع سنين ولم يكن هناك مجال ما لتلقى هذه العلوم فليس ثمة جامعات وليس للرهبان حلقات درس كما أنه لم يكن يومذاك جماعة من المبشرين الذين نراهم اليوم يغررون بالناس ، وكل ماحصل من الراهب بحيرا أن تنبأ لهذا الغلام بمستقبل ديني وتوسم فيه استعداداً خالصا لهذه الرسالة الكبرى.

والرحلة الثانية كانت وهو ابن خمس وعشرين من مكة إلى بصرى ومدة هذه الرحلة كانت ثلاثة أشهر.

إذن فلنمش في هذا الطريق نفسه ، ولنر ولنستنبط مايمكن استنباطه ، ولنتعرف عادات العرب وأخلاقهم.

فأول ظاهرة خفيت عن المستشرقين من عادات العرب أن صغارهم لايجالسون كبارهم ، ولا يمكن شاب حديث السن أن يجلس في مجلس الكبار ولا يناقشهم، ولا يباح له أن يتحدث في مجالسهم.

ولم يخبرنا التاريخ أن محمداً ﷺ شذ عن هذه القاعدة ، وهذا دليل على أن كبار الرهبان وغيرهم لم يكن لهم من وسيلة لقلب عقيدة هذا الفتى كما يفعل المبشرون من أذناب المستشرقين في هذه الايام

وأما الرحلة نفسها فيجب أن نلم بعمل التاجر الذي تكون مهمته من نوع عمل سيدنا محمد ﷺ، والعادة الجارية في بلاد العرب إلى يومنا هذا هي أن يقوم التاجر ببضاعته حتى يصل إلى المدينة التي سيبيعها فيها.

ثم يذهب إلى منزل وسيط التجارة فيمكث في منزله بضعة أيام حتى يصرفها الوسيط ويعطيه الثمن ثم يعود قافلا

---

(١) تحقيق الطريق ومسافته وعادة العرب هذه رجعنا فيها إلى فؤاد باشا الخطيب وزير خارجية الحجاز سابقا ورئيس ديوان شرق الاردن الآن

فعمل التاجر في هذا السبيل ينحصر في المحافظة على التجارة في أثناء الطريق ومساومة الوسيط وحمل الثمن إلى أصحاب البضائع

والمسافة بين مكة وبصرى تقطع على ظهور الابل في نحو أربعين يوما ذهابا ومثلها إيابا ، ومدة إقامة التاجر في بيت الوسيط هي المدة التي تبقى من ثلاثة الاشهر التي قضاها سيدنا محمد (ص) في تلك الرحلة

فالوقت كله يقطع في الطريق وكانت رحلة واحدة ، فأي عقل إنساني أو غير إنسانى تمكنه أن يستنبط أن سيدنا محمداً يمكنه أن يتعلم كل ما أتى به أو كل العلوم التي وردت عنه في وقت كهذا ؟

وأي سخف أدعى للسخرية من مثل هذا الاستنباط الملفق القائل أن سيدنا محمداً في أسفاره تعلم من الاحبار

أضف إلى ذلك ما استنبطه فريدرك شولتهنس عندما جمع ديوان أمية بن أبى الصلت وطبعه سنة ١٩١١ (١) وأظهر في مقدمة هذا الديوان مقدار مابذله من الجهد في جمعه من كتب السير ومن شوارد أخبار الكتب ورأى أن أمية هذا كان قد ترهب ولبس المسوح ونظم قصصا مصدرها التوراة والانجيل وكان يطمع في النبوة إذ أشيع وعرف أنه سيبعث نبي في زمنه

وبعد ذلك بعث محمد عليه السلام . وأخفقت آمال أميه فناوأ الاسلام وجاهر بعداوة نبيه .

ليس في الامر غرابه فليس أمية بأول رجل في مكة أو بلاد العرب عرف شيئاً عن التوراة والانجيل وليس هو أول من عادى الاسلام والتوراة والانجيل والقرآن بين أيدينا شاهد بذلك وفي هذه الكتب توافق في بعض النواحي التاريخية واختلاف في نواح أخرى فليس من المستغرب أن يعرف شاعر عربي

---

(١) أدب اللغة العربية لمحمد هاشم

شيئا عن التوراة والانجيل وينظمه شعراً ولكن المستغرب حقا أن يقول شولتهنس هذا إن محمداً عليه السلام استقى تلك المعلومات من المصدر نفسه الذى استقى منه أمية .

وليس أدل على الجهالة والتضليل في هذا القول وعلى التعصب الاعمى وقلة الخبرة من أن القرآن ليس بقصصه ولكن باحكامه وبقانونه وبأعجازه ، وبأثره الاجتماعي والفكري . فهل اجتمع كل هذا في احد ؟ كلا . ولكن مستشرقاً يظن نفسه في منزلة علميه يطلق لنفسه العنان ويصدر الاحكام فيتلقفها طاعن من طاعن ومبشر عن مستشرق للتشكيك في مصادر القرآن

ولو طاوعنا هؤلاء فيما زعموا ، وبحثنا عن كل حكم من احكام القرآن ومصدره ورأينا حكما منها من السند والآخر من الهند والآخر من فارس ومن مصر ومن أثينا وروما للزم لهذا النبي الكريم آلاف الاسفار والاشتغال بالجامعات عدة قرون قبل أن يأتي بكتاب لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً

مثل هذا التفكير المزري يقول به المستشرقون وتهضم عقولهم أن محمداً أتى بما أعجز الانس والجن في سفره الى الشام ثلاثة أشهر منها ثمانون يوما ذهابا وإيابا وعشرة اقامة

ولكنها طريقة من طرق التشكيك وضرب من الهوى لا نشك أن القارىء عرف مغزاه

الفصل الثالث

التحليل النفسي لحياة محمد قبل البعث

نحن ننكر إنكاراً تاماً أي أثر للأديان السابقة للاسلام في نفس سيدنا محمد ، وسواء سمع بها ورآها أو خالط أهلها وتعرف بهم ، فان ذلك لم يترك في نفسه الشريفة أي أثر ، ولم يعلق بذهنه من مبادئها وتعاليمها مايجعله يفكر فيها أو يفضل أحدها أو يقلدها

وليس أدل على ذلك من أنه لم يرد في القرآن الكريم الذي أحصى كل التهم التي وجهها أعداء الاسلام لنبيه الكريم مايؤيد هذا الزعم(١)

ومسألة التحنث في الغار والطواف بالكعبة وتوزيع الصدقات هي نوع التعبد الذي كان يتخذه عليه السلام قبل بعثه

فاذا قلنا إن التحنث في الغار له مايشبهه في الأديان الاخرى فالطواف بالكعبة لاعلاقة له بأي الدينين النصراني أو اليهودي الذي يتمحل جماعة المستشرقين الاسباب ويخترعون الوسائل للقول باقتباس الدين منهما

ولقد طبقنا حياته الشريفة على علم النفس الحديث لنتعرف أي سبب دعاه إلى هذا النوع من العبادة إذا صرفنا النظر عن العامل الالهي الاكبر في توجيهه إلى هذه الوجهة

ولكي يمكن فهم هذا الموضوع سنقدم للقارىء مقدمة وجيزة في علم النفس والتحليل النفسي لكي يتفهم أ معنا تطبيق حياته على علمي النفس والوراثة

---

(١) بل وجد فيه وصفه بالأمي ووصف قومه بالأميين ، ووجد فيه (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، إذاً لارتاب المبطلون)

لقد قسم فرويد العقل ثلاث مناطق

١ — العقل الظاهر . أو الواعي . أو منطقة الوعي

٢ — الذاكرة

٣ — العقل الباطني . أو غير الواعي . أو منطقة اللاوعي

فالعقل الظاهر أو منطقة الوعي يحتوي الاشياء التي يدركها العقل في وقت معلوم ، وهي التي تهيمن على الانسان في حالة صحوه وعمله

والذاكرة تحوي الذكريات الماضية أو مامر على الانسان أو حفظه

والعقل الباطني يحوي الاشياء الممنوعة من الظهور بوساطة الوقيب العقلي وفيها جميع الغرائز الموروثة ورغبات الانسان التي تدفعه إلى رغباته المتعددة ولكن يمنعها من الظهور قوة حاجزة تسمى بالرقيب ، لان كثيراً من رغبات الانسان لا تتفق ولوسط الاجتماعي

والغرائز الموروثة في الانسان تتجلى فيه من السنة الثانية من عمره باظهار رغباته ككل الاطفال ولكنه يجد المقاومة لتلك الرغبات من الوسط المحيط به والذي يختلف باختلاف السن والوسط

فان الوالدين أو المربين والاساتذة هم الذين يتولون ارشاد الطفل في مدى سنيه الاولى وبذلك يبتدىء التصادم بين غريزته الاجتماعية والغرائز الاخرى كالبهيمية والانانية، فبطبيعة الحال يصبح مضطراً (حبا في استمرار الالفه بينه وبين المجتمع) إلى اتباع خطة مواجهة للواقع فيتنازل قهراً عن الاشياء التي يريدها هو ويستهجنها الناس .

ومن العناصر الاساسية لنظرية فرويد أن الرغائب والميول التي تقمع وتبعد الى العقل الباطني أو غير الوعي لا تمحي بل تبقي حية ولها آثرها في حياة الشخص وتؤثر تأثيرا واضحاً من مظاهر الوحي بطريق غير مباشر فاذا كانت هذه الغرائز

المقموعة سيئة أمكن تهذيبها بالقوة الدافعة المرافقة لتلك العناصر الفطرية التى في العقل الباطني وتوجيهها إلى طريق نافع يساعد على تقدم الشخص ويكون تأثيرها في الوعى نافعاً . هذا ما يحصل في الاحوال المادية ولكن لنقص في التربية وخصوصاً المنزلية قد لا يحصل التهذيب في تلك القوة الدافعة وقد تستعمل في الاضرار بالتطور العقلي من الطفولة إلى المراهقة، مثال ذلك إذا تعلق الطفل بوالديه — خصوصا اذا كان وحيداً — فيكبر وليس لديه أي اعتماد على النفس وتكون النتيجة رسوخ هذا الميل عنده فلا يقوي على احتمال صعوبات الحياة وحده فاذا اضطر إلى ذلك اضطراراً أصابه الحنين وكانت عملية القمع — أو تخفيف لوعة فراقه - مسألة شاقة ومؤلمة وذلك لأنه بعد أن تعود الاعتماد على والديه رى نفسه قد كبر وأصبح في سن خاصة لا تتفق ومركزه وكرامته أن يكون عالة ويتسبب عن ذلك ظهور أعراض مرضية في العقل الظاهر كالبكاء والحزن

وكذلك قد تصيب الشخص في حياته وهو صغير صدمات مؤلمة يضطر إلى قمها في العقل الباطني ولكنها تبقى فيه طول الحياة، وقد تظهر أعراضها في ظروف مختلفة إذ لم يستطع الرقيب قمها تماما فاذا فشل الرقيب في قمع هذه الصدمات تماما ظهرت بشكل أفكار تجول في خاطر الشخص أو اعمال لا فائدة منها

هذه مقدمة سطحيه جداً في علم النفس يمكنك أن تتفهم منها النتيجة الباهرة التى وصل اليها فرويد وهى أهمية الغرائز في احداث ظواهر عقلية خاصة في تصرفات الشخص في الحياة.

وبنظرية العقل الباطني وأثره تفسر الاحلام وتحلل نفسية الاشخاص، ومهما يكن من تنافر الآراء بين علماء النفس فان الجميع (فرويد ويونج واولر) يعترفون بأن العوامل الخلقية والوراثية لها كل الاثر في الأمراض النفسية . وكفايات الشخص

أما قوانين الوراثة فلم يوضع لها إلى الآن حدود وقواعد ثابتة يمكن تطبيقها بسهولة . وهي وان كانت تفسر لنا الأحوال النفسية التي بين أيدينا الا أن اختلاف طرق الوارثة في سلالة واحدة لا زال محتاجاً إلى تفسير وشرح كأن يكون الاخوان الشقيقان مختلفين في الأخلاق .

الا أن ذلك لم يمنع المشتغلين بتأصيل الحيوان من تتبع سلالة الهجين وامكانهم أن يستلخصوا منها بالتناسل سلالة نقية . فانه من الممكن ومن الامور العادية جداً أن تحصل على جواد عربى أصيل من أم وأب هجينين بتقوية الدم العربى في كل سلالة وذلك بانتقاء الأقرب إلى الأصل الذي تريده

هذه مقدمة لبحث التحليل النفسى لحياة سيدنا محمد قبل البعث، وسترى أنه يستنبط منها أنه كان في ذاته وشخصيته وحدة كمال مستقلة ولم يكن في نفسه أي أثر للاديان الأخري وانه كان نسيج وحده .

فقد رأيت مما شرحناه لك أن العوامل النفسية في العقل الباطني هي الغرائز النفسية الكامنة أو التي قمعت وان لها أكبر الأثر في تصرف الشخص .

فلنطبق ذلك على حياته الشريفة .

فسيدنا محمد كان يعيش في وسط عبادة الاوثان . أو ما تقدم الاسلام من الاديان، فكانت هذه هي القاعدة الاساسية في المجتمع الذي كان يعيش فيه، فاذا كان محمد ﷺ قد ورث في نفسه عوامل نفسية تحرضه على كراهيتها كان له أن ينتقم أو يعبث بها ،ولكن عمليات القمع بوساطة الرقيب العقلي وغريزة الاجتماع وآداب العشيرة نهته أن يعادي الناس ،فماذا كان شأنه مع نفسه؟ هذا ما سوف ننتظره من نتيجة التطبيق العلمي على ما أثر من حياته الشريفة في كتب السير المعتمدة .

الحمل والطفولة

إن سلسلة نسبه الشريف تنتهي الى اسماعيل وابراهيم من جهة الوالدين وهو نسب معرق في النبوة . والعمل على تطهير العقائد . وسئل النبي عن نفسه فقال — أنا دعوة ابي ابراهيم — (ابن هشام ص ١٥٥)

ونسبه صلى الله عليه وسلم بانتهائه الى اسماعيل وابراهيم ونوح المعترف بنبوتهم من الاديان الاخرى يجعلنا نطبق قوانين النفس والوراثة الاخلاقية على شخصه الشريف . ولو كانت قوانين الوراثة واضحة تماما ومحدودة في حدود علمية تامة — لكان في تطبيقها أكبر لذة علمية . ولكن الناس يعرفون منها اليوم قوانين ونتائج لاشك في صحتها فيقولون عن السبع أنه يموت عطشا ولا يلغ من ماء ولغ فيه الكلب .

وينقلون عن أبناء الملوك المعرقين قصصا طويلة ونوادر عن الانفة واحترام النفس فلا ننتظر من مثل ذلك النسب الا وراثة غرائز أرقى من مجموع مستوى الناس على الافل مما كان يتجلى في آبائه وأجداده . فانهم لم يشتهروا بالثروة والغنى . ولقد ولد عليه السلام في إملاق ولكن آباءه اشتهروا بالشرف والنخوة وعرف عن أهله شدة المراس والصلابة فيما يعتقدونه حتما . ولم يرث عليه السلام من آبائه إلا شرف النفس . وهو ما نعبر عنه باللسان العلمي بالغرائز والالهامات الراقية العالية .

يدلنا على ذلك أخلاقه قبل البعث ! وقار وحشمة . واحترام لنفسه ولم يرتكب زلة أدبية مما كانت تبيحه عادات الجاهلية . فلم يسكر ولم ينهب ولم يقتل الى غير ذلك مما كانوا يعدونه من ضروب الشهامة .

وكانت أخص صفاته احترام النفس والغير . فلم يعتد على أحد ولم يطلب عنده حق لغيره .

كان هذا قبل النبوة . وقبل أن توجد عداوات وحزازات . شهدت بها وفود أعدائه عند ملك الروم .

وهذا أرقى انواع الغرائز والالهامات .

ولتمش قليلا بعد ميلاده . فتراه ولد يتيم الأب ولم يلتصق بأمه بل بعث به الى الصحراء .

مسألة غريبة في هذه الحياة الحافلة . فقد علمت ان الالتصاق بالوالدين فيه مضيعة للاعتماد على النفس . وفيه معنى من معانى الرخاوة في الطباع وقد يكون في الالتصاق باحدهما مفسدة للأخلاق .

ولقد تيتم من أمه طفلا فلم يكن له أمل في الاعتماد على أحد من الناس اعتمادا قد يقتل من عزمه . أو يفسد من طباعه

ولننظر الي اليتم وأثره في النفس .

أنا شخصيا جربت ذلك ،فقد ولدت يتيم الأب وفي كفالة الأم وقد أورثني ذلك عوامل نفسية مؤلمة . ما تحدثت بها الا أمضني الحزن والألم .

ان أول ما يشعر به اليتيم متى شب هو الاقرار بالواقع والاستسلام للقضاء والقدر. والرضا بما قسم له من نصيب محزن . لفقدان عطف الآباء . والمرشد الخبير في أوقات حرجة من ظروف الحياة التي تحتاج الى قرار حاسم من مطلع خبير . ويكون الدافع النفسي موجها الى الخضوع والوحدة . لا الى حب السلطان والمظهر البراق . كما تتعود النفس الخشونة وعدم العطف. فلا يتعود اليتيم التدلل ولا المرح وهما اهم خواص الطفل في سن الصغر ،وذلك كله نتيجة الاخفاق في اشباع رغبات الطفل . والفشل المتوالي في نوال كل شيء يتطلبه أو يتطلع اليه

أضف الى ذلك نوعا من الشفقة المؤلمة ، ونوعا من العطف أقتل للنفس من العقاب الصارم ، ذلك هو الحنان الذي يستجدى كأنه حسنة أو نافلة ، اذ ترى قوما يظنون انفسهم على شيء من حسن الصفات يعطفون على اليتيم عطفا هو اشبه بالصدقة منه بالعطف ويشفعون عطفهم بالاشارة الى انهم فعلوا ذلك ليتم الشخص .

دعيت مرة الى مهرجان زواج ،وانا غلام صغير فوزعت الحلوى على الرجال

والغلمان وكان كل والد يحضر لنجله نصيبه من الحلوى ، وخرجت من الاحتفال وليس معي غير دمعة تترقرق، فلم أصب من الحلوى قليلا او كثيرا ، ولم يلاحظ اخفاقي انسان ، فآليت على نفسي بعدها ان لا أذهب الى مهرجان (١)

وتوفيت احدى قريباتنا وانا غلام ، وكانت تحبني لقرابتها من المرحوم والدي وكنت في نحو العاشرة من عمري ، فانسللت وحدي من المنزل لامشي في جنازتها اعترافا بهذا الحنان الذي كانت تظهره نحوي ، وبكيت عليها كثيرا لانها ما كانت تراني حتى تذكر والدي وتبكيه ، وكانت هذه السيدة أصيبت بشلل : فكانت تهتز في بكائها الى درجة اني كنت اشعر أن نوبة اغماء تعتريها فاذا افاقت قبلتني فيتبلل وجهي من دمعها

رأيت وفاء لها ان أسير في جنازتها وان اشيعها الى مقرها الاخير بتلك الدموع التي أرهقتها لذكرى أبي

ودفنت ، ووقفت على قبرها أبكي ، وكنت ألاحظ ان الناس ينصرفون في مركبات أعدت لهم ولم يدعني انسان لمركبته ، وبعد قليل ، وكانت الشمس قد قاربت المغيب ، وجدتنى وحيدا بين المقابر ، لم يعرنى أحد اهتمامه ، ولم يسأل عنى سائل

هناك عرفت ان لا نصير لي في الدنيا ، ولا من يسأل عني ، وضربت يدي الى جيبي فوجدتني خالي الوفاض ، فافترشت الارض انتظر ما قدره لي الله لولا ان أسعفت بمكار له حمار أعرج ، يسوقه امامه وسط القبور ، وهو يغني بصوت مهدج فأوصلني الى البيت على أجر اتفقنا عليه

(١) ولعل أمثال هذه الحادثة هي التى جعلته عليه السلام يرضى بالواقع، فلم يذهب الى سمر ولم يحضر ناديا

بعد تلك الحادثة لم أكن أذهب الى مكان الا بعد ان أفكر في طريق العودة وحدي

هذه العوامل كلها تورث في الطفل شيئا كثيرا من الحسرة والاعتماد على النفس ، وتعلمه الحياة ومعناها وهو طفل فيعوض بنفسه ما فاته من عون والده ولذلك لم أشك في رواية بحيرا حين قال عن النبي ﷺ (ما ينبغي لهذا الغلام ان يكون أبوه حيا) لان مثله يجب ان يكون أستاذ نفسه ولا فضل لاحد عليه .

على ان هناك عاملا نفسيا قويا يختلج في نفس اليتيم وهو ذلك الشعور الذي يتولاه بانه ضحية القدر وانه بريء مظلوم في العالم ؛ فقد مرح الطفولة وابتسامتها العذبة ، وسرورها المستمد من عطف الوالدين وارشاد الوالد . فينظر الى العالم بالمنظار الاسود ، ويفكر في الانتقام من العالم لو استطاع الى ذلك سبيلا

هذا سر من أسرار بعض النفوس ، فغريزة التخريب والهدم كامنة في النفس ولكن عوامل الضعف قد تكبر هذه الغرائز ولا يجمحها غير التربية والوسط ، ولم يكن محمد ﷺ في وسط يساعده على تكوين نفسه ولكن الظروف هيأت له ان يكون رقيق القلب وكأني بهذه الظروف ليست بنت المصادفة ولكنها إلهام وتوفيق من قدرة أقوى ، فكيف تهذبت نفسه وكيف صار بارا بالعالم والفقراء واليتامى . وكيف استطاع ان يعرف نفسه وكيف تربت نفسه على العظمة ، ولم تفقد كبرياءها مع اليتم والاملاق

ان (نشأته راعي غنم) هي السر في انتصاره على افكار ثورية تمليها الطبيعة البشرية وغرائز الهدم والتخريب وشعوره بظلم الحياة بفقد والديه

فلما كان غلاما تحمل مسئولية رعاية الاغنام التي هي مضرب المثل في الوداعة ، وهي لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا . وهي أحوج ما تكون لرعايته

من الذئب الذي يهاجمها

ولقد توفرت في هذه الصناعة كل العوامل التي يحبها اليتيم كما أسلفنا من العزلة عن الناس اتقاء ما يصيب اليتيم منهم من اهمال وعدم عطف والزهد والاحتكاف حتى لا تتأثر النفس بضعفها في الحياة . فهى نوع من التربية النفسية لنمو غريزة المسئولية ورعاية الضعيف والعطف على الوداعة . والشعور بالسلطان. والاعتماد على النفس

وان محمدا ﷺ ليشعر وهو يرعى الاغنام بانه ملك صغير له رعيته وعليه واجبه . وأهم هذا الواجب هو حمايتها ، من الذئب أو من اللص ، وهو في أثناء ذلك يمشي في الارض ويفكر في الطبيعة بين السهل والوادي، والجبل والصحراء، يبحث عن رزق أغنامه ورزقه ، أليس ذلك يصرفه عن البطش بها ؟ أليس يعرف انه مسئول عن ضياعها ؟ اليست هذه مسئولية تربى فى نفس كنفسه الشريفة كل تقدير للواجب وتعده أن يكون راعيا كبيرا ؟ يرعى الناس فيما بعد.

« ٥ »

حياته وهو غلام

في حياته عليه السلام أثر واضح للغرائز النبيلة ، وان عقله الباطني كان أنشط من عقله الواعي ، والهامه الطبيعي أشرف من الهامات الناس كافة

لقد عاش في وسط ليس للتربية القويمة أي أثر فيه . وقد يكون الوسط العربي في بلاد العرب اليوم مشابها له ، أي إن الغلمان لا يجالسون الكبار ، فلم يكن له فرصة التربية العملية تلقينا أو مشاهدة ، ولكنه كانت تربيه غرائزه الخاصة اذا صرفنا النظر عن القوة الالهية التى نعتقد انها كانت مشرفة على اعداده .

يتجلى لك ذلك في حوادث جمة نسوق لك منها حادثتين : الاولى ماذكره

ابن هشام وغيره نقلا عن الحديث الشريف :

لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان وكلنا قد تعرى وأخذ ازاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة فاني لاقبل معهم كذلك وأدبر اذ لكمني لا كم ما أراه لكمة وجيعة(١) ثم قال : شد عليك ازارك، قال فأخذته وشددته علي ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وازاري علي من بين أصحابي

والحادثة الثانية هي الحادثة المشهورة اذ أراد أن يسمر بمكة وتتمتها كما جاء في قوله عليه السلام : فخرجت لادنى دار من دور مكة فسمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت : ماهذا ؟ فقالوا : فلان زوج فلانة لرجل من قريش فلهوت بذلك حتى غلبتني فنمت

فما هو التعليل النفسي لهاتين القصتين اذا صرفنا النظر عن العامل الالهي الا كبر - فان هذا الهاتف وهذه الكلمة هما نشاط العقل الباطن نشاطا غير معتاد نتيجة الغرائز الشريفة التي أخفاها الرقيب العقلي على حكم البيئة التى يعيش فيها عليه السلام ، فسمعه صوتا وشعر به لكمة وهذا كثير الحصول في الامراض العصبية اذ يرى الشخص أو يسمع أو يشعر بأشياء لا وجود لها نتيجة العقل الباطني وكذلك تعلل الحادثة الثانية بمغالبة دافع السمر بغريزة الاقتصار والرضا بالواقع ، ومواجهته ، فشغل حتى نام

وليس هناك فرق بين العقل والجنون الا قوة الرقيب فاذا ظهرت الغرائز التي لا تلائم المجتمع سمينا ذلك مرضا ، واذا ظهرت الغرائز التي ترقي المجتمع وتسمو بالشخص الى منزلة رفيعة ومثل أعلى سمينا ذلك شخصية فذة وعبقرية، وعزونا ذلك الى الغرائز الشريفة الراقية التي لم يستطع الرقيب التغلب عليها بحكم الوسط ، فالوسط الذي كان فيه عليه السلام يبيح للاطفال تعرية سوءاتهم أما غريزته فكانت أرقى من ذلك ، ولذلك نشط عقله الباطني ونهاه عن العري ويمكنك أن تؤول كل تصرفاته وهو طفل على هذا النحو فلا تجد هناك

(١) يظهر أن الرواية بالمعنى والا ففي استعمال وجيعة نظر

الا تعليلا واحدا وهو أن غرائزه كانت نبيلة غاية النبل مما اشتهر به من الامانة والكياسة إلى غير ذلك من جميل الصفات

محمد تاجر

هذه الصناعة هى ألصق الصناعات باخلاق الناس ودراسة نفوسهم وفضل السياحات عظيم في تربية الشخص الخلقية . وقد ظهرت لك غرائزه في أمانته . ولنذكر الآن المناحي الجوهرية في هذا البحث وهي صلة محمد ﷺ بالاديان الاخرى وهل هى التي أثرت فيه في التحنث بالغار أم لا ؟ يقول لنا جماعة المستشرقين إن صلة محمد ﷺ في سياحاته بالاديان الاخرى عرفته الشيء الكثير عن تلك الاديان ودراستها ويخيل إليك انها كانت دراسة عميقة كدراسة الطالب الذي يتخصص في علم الطب والحقوق مثلا. ومثل هذه الدراسة لا بد ان يلزم الطالب فيها باب أستاذه مدة طويلة جدا من الزمن . توازي على الاقل مدة دراسة تلاميذ سقراط . ولكن ظهر لك انه لم يصرف في الرحلة الثانية غير ثلاثة أشهر منها نحو ثمانين يوما في الطريق . ويلوح لنا ان هذه الرحلة لم يكن الغرض منها سوى التربية النفسية . وتحمل مشاق السفر والمحافظة على الامانة التي عهد اليه القيام بها وهي توصيل التجارة والعودة بالثمن . كما بينا ذلك مفصلا في الفصل الثاني الذي مر بك .

ولقد ادعى درمنجنام وغيره انه عليه السلام ذهب إلى اليمن ولم تؤيد كتب السير هذا الزعم . ولكنها أضيفت فقط للتهويل .

دين محمد قبيل الوحى

فلننظر ما ذكره ابن هشام ونستنبط منه دين محمد قبيل الوحي وهل تعبده له صلة بالاديان الاخري أم لا ؟

لم يرو لنا أحد من المسلمين وأعداء الاسلام شيئا عن دين سيدنا محمد قبل الوحي . بل كل ما قالوه هو انه ﷺ (ابن هشام صفحة ٢٢٤) كان يجاور في حراء في كل سنة شهرا و كان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهليه والتحنث لغة هو التحنف

وقال عبيد — صفحة ٢٢٥ — فكان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه فاذا قضى ﷺ جواره من شهره ذلك كان اول ما يبتدىء به اذا انصرف من جواره الى الكعبة فيطوف بها قبل ان يدخل بيته

هذا هو كل ما كان يفعله عليه السلام من التعبد قبل بعثه وانطبق ذلك على علم النفس ايضا .

لقد نشأ محمد عليه السلام في الجاهلية التى كانت تحترم الكعبة وقد اوجدت الظروف التي طرأت على بناء الكعبة فرصة انقسام القبائل على حمل الحجر الاسود فكانت فرصة سانحة له اعطته ميزة الفصل بينهم وان يكون رداؤه محمل الحجر وان يكون له ميزة وضعه بيديه الشريفتين مكانه

فالمامات محمد ﷺ الطبيعية وغرائزه لم تجعله ينفر من الكعبة وهو يجهل ما سيكون لها من الشأن على يديه مستقبلا . وليس في التوراه والانجيل ما يدل على ان هذا هو بيت الله الذي بناه ابراهيم . فهو على حكم البيئة التي نشأ فيها لم يشذ عن احترام الكعبة . ولكنه نفر مما حوت من أصنام . مما كان المجموع يدين به

نقف هنا وقفة قليلة لنتأمل هذا الفرق الهائل بين احترامه للكعبة ونفوره من الاصنام .

فالكعبة كما رأيت لا تمت بصلة لليهودية ولا للنصرانية . ولكن العرب كانوا يحترمونها احتراما متوارثا وكانوا يعرفون أنها بيت ابراهيم

ولقد روى الكلبي في كتابه (الاصنام) أن منشأ هذه الاصنام هو شدة تعلق ابناء اسماعيل بالكعبة فكانوا كلما كثروا ورحلوا إلى جهة أخذوا حجرا من الكعبة ووضعوه في مكانهم الجديد وطافوا به تبركا

ثم دار الزمن بهم فعبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه

فانت تري من هذا ان احترام الكعبة موروث في ابناء اسماعيل ومنهم محمد ﷺ ولكنه نفر من الاصنام .

وهذا فارق كبير . وتاريخه عليه السلام يكاد يحوي كل صغيرة وكبيرة من تعبده . بل كان يسأل بعد الاسلام من كل شيء . ولم يجد في عمل من أعماله دليلا على اتصاله بالاديان الاخرى

ولكن هناك أمر واحد تمحك فيه جماعة المبشرين بعد أن غذاهم به فريق المستشرقين تلك هي القبلة الاولى وزعيم هذه الفرقة هو ستوك هرجرونيه وفنسنك طريد المجمع اللغوي الملكي . وسنبين هذه الشعوذة عند الكلام عن هذا الرجل الذي وقفنا معه موقفا خالدا في هدم المستشرقين . على ان ذلك كان بعد البعث ولا شأن له بموضوعنا الآن . وعلى ان الاعمال الثلاثة التى كان يدين بها قبل البعث هى المجاورة في الغار وإطعام المساكين والفقراء . فاذا انتهي ذلك الشهر طاف بالكعبة سبعا .

فهل هذه الاعمال تمت بالصلة لاي دين من الاديان السابقة ؟

إذا كان هذا التعبد ان صح تسميته بهذا الاسم مصدره الغريزة والالهام وحده فهو على حكم الوراثة من جده الاعلى ابراهيم واسماعيل قد شق له طريقا وحده

ولم يقل لنا المستشرقون ومن جرى مجراهم أنواع هذه الصلة التي قالوا عنها بل اكتفوا بهذا الوضع للتشكيك لاغيره والا فاني اتحدي من يقول بأن هذه الاعمال التى كان يقوم بها محمد ﷺ متخذة من الاديان السابقة اللهم الادين الحنيفة دين الاسلام وملة ابراهيم ، ومحمد بغرائزه والهامه شق له طريقا وحده ولم يتشيع لدين ما قبل بعثه . وإلا لكان الكافرون من أهل زمانه حاجوه بما كان يعترف به أو يعمله وليس في القرآن إشارة ما إلى ذلك مع انهم حاجوه بكل انواع الحجج وطعنوه بجميع انواع المطاعن الا هذا . فهل ماخفى عن معاصريه اكتشفه المستشرقون في آخر الزمان . ؟

سبحانك هذا بهتان عظيم

الفصل الرابع

محمد صلى الله عليه وسلم وروح لاجماع عند البعث

رأيت في الفصل السابق ان دين محمد صلى الله عليه وسلم وتصرفاته قبل البعث كانت كلها من منبع الغرائز والالهامات العالية

وقديما قال الحكماء ان السر في عدم انجابه ذكرا ان أي ولد يخرج من صلبه كان محتوما ان يكون في درجة من النقاء يصل بها إلى درجة النبوة . وموت أولاده الذكور كان قضاء وقدراً لانه ممهد لتلك الرسالة العظمى التي ختمت به

ويقول انا درمنجهام إن موت أبنائه قد زعزع عقيدة زوجته السيدة خديجة في الاصنام . وانى لنا بقصص كلها خرافية جديرة بان نهملها (١)

والآن نقف وجها لوجه مع جماعة المستشرقين كلهم الذين كتبوا ويكتبون عن حياته كرجل عظيم . ونريد ان يتمشى معنا القاريء في هذا الفصل انرى هل كان محمد صلى الله عليه وسلم رجلا عظيما فحسب أم نبيا ورسولا ؟ ولو جدت عبقرية عظماء الرجال في عصره وفي بيئته كانت تقوم بما قام به أم لا ؟

رأى الباحثون من المؤرخين أن العالم كان في وقت البعث في حالة انحلال أدبي وسياسي عم شطري الكرة الارضية

في الشرق كانت الصين والتبت تمزقهما الحروب الداخلية، والهند كانت

---

(١) يقول درمنجغام ان سبب زعزعة عقيدة السيدة خديجة فى الاصنام انها كانت تقدم النذور والحلي لتلك الاصنام طلبا لحياة ابنائها الذكور من سيدنا محمد ولما لم تفلح هذه القرابين تزعزعت ثقتها وأغرت سيدنا محمداً بهدم كيانها

على ان الواقع ان أولاده الذكور كلهم ماتوا بعد الاسلام فلو كان استنتاج درمنجغام حقيقيا وينطبق على نفسيته عليه السلام لكان موت ابراهيم آخر انجاله سببا فى ثورته عليه السلام على العالم أجمع . ومع ذلك فكل ما قال معاصرو النبى عند موت أولاده الذكور أن الله قلى محمدا فنزلت سورة (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وماقلى)

في فوضي أخلاقية نتيجة انتشار المذهب البرهمي الذي يعد من أركانه هبة البنات الابكار للآلهة وأن يقوم البرهمي في دور الالهة في الاستمتاع بالعذارى مما لا يزال له أثر حتى اليوم ، وهبة البنات للاستمتاع الديني في المعابد ويطلق عليهن اسم فتيات المعبد

وكان شمال غربي آسيا في حالة ركود وغموض ، وشمال افريقيا في حالة يرثى لها من الظلم الفاضح على ايدي فلول الرومان التي فقدت سمعتها الادبية ولم يبق منها الا بقية أنفاس تتردد كما تتردد آخر انفاس المشرف على الموت

وكانت اليونان تعاني ما تعانيه بقية البلدان لتبعيتها للدولة البزنطية . التي كانت مشتبكة في حروب مع الفرس الذين كانت جنودهم تعيث في أرض الروم فسادا حتى انحلت أمة الفرس نفسها

***

ومن هذا يتضح لك أن العالم كان في غمرة انحلال أدبي وسياسي ومادي وأخلاقي ولا يمكن تجديده الا بقوة خارقة تهديه سواء السبيل ، على أن العالم لم يكن خاليا من بذور الاصلاح فقد كانت اليهودية معروفة . والنصرانية لها بابوية روما . ومازال هذان الدينان منتشرين للآن . كما توجد انقاض المدنيتين اليونانية والرومانية .

هنا نقف بالقاريء قليلا لنستعرض الآراء التي يقول بها منكرو رسالة محمد ﷺ ونتمشى معهم قليلا في استنباطاتهم لنرى إذا كانت تهيء لهم مثل تلك الدعوى

قال المستشرقون ومن لف لفهم إن محمدا كان على اتصال علمي بالاديان الاخرى . وانه استقى معارفه ومعلوماته من سياحته في الشام وباحتكاكه بمن يحضرون إلى مكة للتجارة . وقد زاد الغامزون اللامزون بانه كان يحسن القراءة والكتابة (مرجوليث) بدليل الآية الكريمة (إقرأ وربك الأكرم)

وادعوا أن هـذا اعتراف بانه كان يعلمها . وانه قرأ عن كل شيء

إن تصديق مثل هذا الكلام فيه كل العبث بالعقل البشرى ، أما سياحاته في الشام فقد سبق عنها الكلام في الفصلين السابقين

وهناك رأي آخر يقول به بعض المستشرقين وهو أن محمدا كان يقتدي بموسى عليهما السلام وأن دعوته كانت لحب السلطان.

يقول هذا القول المستشرق مرجوليث في كتاب تاريخ العالم العام ونقول رداً على هذا إن غرائزه والهاماته كانت واضحة تمام الوضوح وتصرفات الشخص في صغره دليل علي غرائزه وميوله . ولم يكن في غرائزه عليه السلام مايؤخذ منه حب السلطان وحب المال والتملك أو غرائز الهدم والافساد وحب الظهور وهى أظهر الغرائز في حياة الاطفال الذين يرجح أن يكون لهم شأن في المستقبل بل بالعكس كانت غرائزه العاملة هى التواضع والوحدة ونفي الخلاف، ولم يعرف عنه انه استغل سلطانه في الاستفادة المادية وهي أهم مايطمح اليه العظماء.

كذلك لم يشتهر بالشعر ولا بالدعاية لنفسه وهما أقوى المؤثرات في عصره وفي كل عصر مما كان يهيء له أن يجمع حوله جماعة الانصار يعدبها العدة للمستقبل الذي يتهيأ له لو انه شخص ذو مطامع

هذان هما الرأيان السائدان في كتب المستشرقين وهنـاك رأي ثالث يستنبطه بعض المشتغلين بالفلسفة الحرة وهو أن محمداً عليه السلام كان على علم قليل بالاديان السابقة غير انه رأى أن العالم محتاج للاصلاح المعنوى والنفسي وان لا وسيلة لاصلاح المجتمع الا بهدم الخرافات والمعتقدات الزائفة فبدأ بالدعوة لهدم كل هذا

وانك لتجد في هذا الرأي أثراً واضحا للثقافة والتعليم الراقي، فأصحاب هذا الرأى ما حكموا هذا الحـكم الا بعد الاطلاع على تاريخ العالم الذى لخصناه لك في أول هذا الفصل ثم درسوا المعتقدات التى كانت شائعة في ذلك العهد وكذلك

تعلموا الموازنة بين الاديان ثم درسوا التاريخ السياسي والاقتصادي للامم كلها حتى القرن العشرين ولذلك كان هذا الاستنباط لا يعد استنباطا بل يعد تقريرا لما حصل . ووليد الاطلاع على الاسباب والنتائج وهو تفسير لسر الدعوة التي قام بها الاسلام .

فهو كان يتسنى لرجل عاش في الجاهلية الاولى أن يعلم كل ذلك على غير معلم في صحراء جرداء قحلة ؟ وهل من الممكن لعقل بشري أن يسع كل هذا التحصيل والانتاج والتشريع وحده من غير معين من الاساتذة والجهابذة . مع ما علمنا علم النفس اليوم أن للعقل طاقة وللذاكرة احتمالات لا يمكن تجاوزها من غير ان يختل توازنها اختلالا عصبيا .

فأصحاب هذا الرأي يعرفون المقدمات والنتائج باجمعها فينسبون له عليه السلام قوة لا يتسنى لاحد من البشر ادراكها في ذلك الوقت الذي بدأ فيه الوحي وهنا سر اختلال هذا المنطق — وهذا الرأى . ففرق كبير بين أن تدرك الامر من أوله وبين أن تعرفه بعد نهايته باربعة عشر قرنا . وان تعرف أسباب نجاح الدعوة وتضيف اليها استنباطا من عندك - بعد ان تقرأ كل ذلك في كتاب واحد مأخوذ من آلاف المصادر .

ولو أدت دعوة محمد ﷺ إلى نتيجة عكس ما ادت اليه لما عدم أصحاب هذ الرأي الف حجة على خطئها وعدم ثقافة الداعي لها مما سنشرحه فيما بعد .

وهنالك رأي آخير وهو على مافيه من تهاون جدير بالذكر والتمحيص وهذا رأي أصحاب الفسلفة الحرة ايضا . وهو أن ليس لعظماء الرجال حاجة إلى التعليم وان اكثر العظماء لم يكونوا من المتثقفين بل يكفي للنجاح فكر صاف وقلب طاهر جبار وعزيمة صادقة واخلاص حر عميق وايمان ثابت

وانا لنقف برهة أمام هذا الرأي لنقلبه ونقف علي كنهه لان نواحى عظمة

الرجال متعددة . فاذا صدق هذا القول عن رجل سياسي يقيم ثورة أو يهدم عرشا او يفتتح دولة ، أو يستأثر بسلطة فانه لاينطبق على صاحب دين أساسه قوة الحجة وسلامة المنطق ، ويتناول التاريخ القديم والحديث في زمنه فينفي ويثبت ويناقش ويجادل ولا بد لهذا كله من ثقافة واطلاع لا وسيلة للالمام بها

فاذا كانت الالهامات والاخلاص والايمان وحدها هي مصدر كل هذه المعلومات فاننا لانشك ان مسافة الخلف بين منكري النبوة والمؤمنين قد قربت إلى أدنى حد لان الالهامات التي تتحدث بالغيب وتعلم المجهول وتحيط بتاريخ الاوائل والاواخر وتنفي وتثبت بطريق القطع واصواب هذه الالهامات هي فيض من قبس الرحمن ورسالة من الملأ الاعلى

وليس الصدق الصرف والاخلاص الحر والايمان الثابت الذي لايتحدث به صاحبه ولا يكتسب به شيئا من حطام الدنيا بل احتمل مرارتها لهداية البشر وانقاذ الانسانية — ليس ذلك كله — الا مرتبة من مراتب النبوة .

وهناك مسألة جديرة بالنظر والتفكير وهي أن الاسلام ليس للزهد والآخرة فحسب . بل نظم أعمال الانسان في الدنيا لتكون وسيلة الى الآخرة . وشرع من القوانين في الحياة المدنية ما ينظم الهيئة الاجتماعية . وعلاقات الافراد والامم . وهذه ليست طريقة عظماء الرجال رجال الدول . أو رجال السيف . بل المعروف عن كل عظيم انه استعان بالاحكام العسكرية ليمنع حرية الناس في حدود القوانين التي يضعها لصالح الدولة أو الفكرة التي يقيمها وهذا هو الامر الشاذ في دعوة الاسلام . فلقد كانت مبادئه عامة

ولننتقل الآن إلى مسألة أخرى جديرة بالنظر والبحث وهي اننا لوفرضنا محمدا صلى الله عليه وسلم رجلا عظيما فحسب هل كان يتبع تلك الخطة التي اتبعها في نشر دعوته ؟ وهل كان ينتخب لها ذلك الوسط والزمن اللذين قام فيهما ؟ وهل كان من صالحه أن يقوم بهذا النوع من الدعوة لله

لقد أجمع المؤرخون أن مكة كانت وثنية حقا . ولكن ما ضرر الذي يصيب العالم من عبادة الاوثان أو الاحجار مادام ذلك لا يؤثر في حياتهم ومعاشهم . وهذه أمة اليابان مثلا تغلغلت في الوثنية إلى العهد الحديث ومع ذلك طفرت إلى المجد طفرة واحدة فالضرر الذي يحصل من عبادة الاوثان إن هو الاضرر فى نوع من انواع التفكير الصحيح . وإذا كان الدين هو معرفة حقيقة الله فقط من غير أن يكون وراء هذه الحقيقة مبادىء أخرى تنقذ البشرية من براثن الاوهام واستغلال العقول لتساوت جميع الاديان . وهناك أديان تكاد تمس التوحيد ولكنها خالية من روح المنطق فترى في هذه الاديان أن البقر معبود يقدس . ويعد روثها بركة وتشرب أبوالها في حين تعد فريقا من الناس نجسا لا يصح لمسه ويجمل هذا الفريق من الناس محكوما عليه أن يعمل في الاقذار والاوساخ . فما الفائدة التى تعود على العالم من مثل هذا غير العبث بالانسانية .

وهناك بعض الفرق التي اخترعت لها مذاهب في الاديان السماوية ورجعت بالانسان القهقري الى انواع عبادة الاصنام والاشخاص . فيوزن صاحب المذهب بالذهب كل عام ويؤخذ هذا الذهب من اتباع مذهبه ، ومن هذا يتضح لك أن التوحيد هو تحرير الفكر من كل شيء ؛ ولنرجع إلى ما كان سائداً في مكة .

فالمهم والواضح أن اليهود — اتباع الدين الالهي الاول — كانوا يستغلون أموال هؤلاء الوثنيين بالربا الفاحش إلى حد استعباد الناس ودفعهم بيناتهم للبغاء تسديداً للديون الباهظة التي جرها الربا الفاحش

وقد كانت حالة العرب الوثنيين من الفقر والاملاق والبؤس والتشريد مما يستوقف النظر العادي . وكانت مصيبتهم الاقتصادية والادبية مما يبعث على التفكير في هدم اليهودية لا الوثنية . فاذا أضفت إلى ذلك أن مكة ليست بلداً زراعياً بل واد غير ذي زرع تكتنفه الجبال والصحارى علمت أن كل أرزاق

الناس كانت من التجارة ورعاية الماشية في الاماكن البعيدة .

ومكة على حالها الآن أهون بكثير من مكة قبل الاسلام . فورد مياهها الآن متوفر من [عين زبيدة] الذي جر اليها بعد الاسلام وكانت قبل بلقعا جافا .

وإذا عرفنا أن محمداً ﷺ كان تاجراً فان هناك مسألة لابد أنه كان يعرفها . وهي أنه رأى بعينيه وسمع باذنيه . صدر الم الناس وفقرهم هذا الفقر الذي يقاسيه أهله وعشيرته من الربا والاملاق نتيجة طغيان أصحاب رؤوس الاموال من اليهود الذين استأثروا بتشريع القوانين بمكة ، فاذلوا بهذا التشريع أعناق العرب ودفعوهم دفعا إلى استثمار اعراضهم في البغاء (١) .

فالرجل العظيم الذي يوجد في مثل هذه الظروف لو كان غير محمد ﷺ ونصب نفسه للدفاع عن المظلوم ونصرة الضعيف فانه كان يتخذ طريقا مباشرا للقضاء على أصل الداء من منابته والتاريخ يدلنا على أن عظماء الرجال الذين عاشوا في مثل تلك العهود وجهوا جهودهم لاقصر الطرق فقاموا بالدعوة للاشتراكية ومحاربة أصحاب رؤوس الاموال ، أو البلشفية أو غير ذلك مما تراه مفصلا في كتب التاريخ عندما يستأثر بعض الناس بالامن ويستبدوا بالنفوس ، ولعل دراسة أعاظم الرجال تدعونا الى تأييد هذا الرأي — فنابليون مثلا لما رأى الثورات تمزق فرنسا لم يقم بدعوة الى الزهد بل عمل على حصر السلطة في يده من طريق الحرب والقيادة ، وانتظم في سلك الجنود حتى وجه الانظار الى مهارته كقائد وأظهر نفسه وكبر من شأن عبقريته بفتح ايطاليا ثم عمد الى كل الطرق التي تجعله قنصلا فامبراطوراً

ومحمد على باشا . عمل مثل هذا أيضا

---

(١) نعم إن البغاء كان فاشيا في الاماء وكن يشترين للاتجار باعراضهن وفي ذلك نزل النهي في القرآن (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا) وقلما كانت تزني حرة

وكان أسهل طريق أمام سيدنا محمد ﷺ أن يستغل عبادة الاوثان ولم يكن فيها وفي مبادئها شيء عن الربا ، فاذا جمع القلوب حوله وقبض على ناصية السلطة ضرب نفوذه على ما حوله واستغله في الاصلاح وأول ما يوجه نظره هو الحالة الاقتصاديه والادبية من طريق مباشر يمنع كل ما كان يشكو منه الناس

والمطلع على تاريخ العرب في الجاهلية يرى أن الدعوة كانت ممهدة لمثل هذا الرأي ، وما كان عليه الا أن يستثير عواطف الناس في سوق من أسواق العرب ويدعوهم الى دعوة اقتصادية صرفة فيلتف حوله جماعة من أشداء السواعد ومفتولي العضل ويهاجم بها بيوت اليهود فيأخذ أموالهم ويطردهم ويحرر الناس من رقهم المادي . ويدلنا على صحة هذا الرأي ما نراه متجليا من روح الكراهية لاصحاب رؤوس الاموال . وانتشار الدعوة الي الرفق بالمظلوم فقد كانت الشعراء والخطباء مهدت فعلا الطريق الى مثل هذه الدعوة وتألف فعلا أنصار لمن يقومون بمثل هذه الدعوة يدلك على ذلك اشتات من قصائد وأشعار جاهلية في وصف هذه الحالة كقول بشر بن المغيرة عن اليهود :

وكلهم قد نال شبعا لبطنه   وشبع الفتى لؤم اذا جاع صاحبه

وقال الاعشى :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم   وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

كما يدلك علي ذلك عادة وأد البنات في طبقة الاشراف ضنا بهن ان يكن في يوم من الايام موضع استغلال للبغاء

فمن من عظماء الرجال يكون في مثل تلك الظروف ولا يقوم بحرب مباشرة ويستغل هذا الشعور الملتهب ويضرب في الصميم بنهب اليهود وقتلهم ، هذا هو الرأى الذي توحيه الظروف ، معاداة اليهود وكراهيتهم وطردهم ، ولكن جماعة المستشرقين يقلبون الحقائق ويقولون ان محمداً أراد استغلال اليهود وهذا هو المنطق المعكوس والكلام الهراء الذي لا يقوم عليه برهان ، فالعلل التي كانت

تشكو منها الانسانية لم تكن متجهة الى العقيدة بل الى انواع المعاملات المدنية والاجتماعية .

اما أن يقوم محمد ﷺ ويفكر في طريق شاق ملتو ويبدأ بمعاداة أهله في عقائدهم . ويسفه جيرانه وقومه في آرائهم ويهزأ بعقليتهم فأول ما يقابل به هذا النوع من التفكير في تلك الظروف هو تلك تهمة التى اتهموه هم أنفسهم بها أنه مجنون . لان هذا يثير الرأى العام عليه وما كان يقوم به عاقل حكيم — لو كان عليه السلام مستقلا لنفسه وحدها من غير قوة عليا تؤيده وتوحي اليه وتدفعه دفعا الى هذا الطريق الشائك المملوء بالمخاطر .

كما أن مكة البعيدة السحيقة لم تكن أصلح مكان لمثل هذه الدعوة لان الشخص العادي الذي ينظر الي اصلاح العالم لا ينتخب أقل البلدان عمرانا لدعوته . وماذا يكون رأي العقلاء لو قام رجل في أقل قرى الصعيد شأنا ليدعو دعوة اصلاح سياسي أو عمراني في مصر كافة . أو في العالم أجمع ؟

ومن المدهش أن الدعوة من أولها انبنت على مبدأ واحد هو الدعوة لله وحده .

أليست هذه طريقة ملتوية ؟ وما الذي جعله يتمسك بدعوته هذه بعد أن سعي اليه زعماء العرب وأهله يولونه رياستهم ويعرضون عليه السلطان المطلق في الامر والنهي فأبى ولو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في يساره ؟

لقد كان في استغلال شعورهم هذا ملكا كبيراً ودولة يطرد بها مصادر ألم العرب وشقائهم . وكانت فرصة ذهبية لجمع القلوب حوله وضرب المرابين واصحاب رؤوس الاموال ومفسدي الاعراض

لنقف قليلا ولنتدبر . ألم يستغل كل عظماء الرجال مثل هذا الظرف ؟ ألم يخلق نابليون ومحمد علي وكرومول وغيرهم مثل هذا الظرف ؟ وان تاريخ عظماء الرجال يخبرنا أن أول عمل يقومون به هو استغلال عواطف الناس .لا معاداتهم في عقائدهم وأخلاقهم .

أما ان يبدأ شخص ما بمعاداة الناس وتحديهم كلهم . وضرب كرامتهم وعزتهم وعقولهم . فضرب من السياسة لم يعرف قبل سيدنا محمد ولم يعرف بعده.

وهذا تاريخ سيدنا موسى وسيدنا عيسى أمامنا وإنا لنرى ان دعوتهما تخالف هذا كل المخالفة . ولكل نبي ظروف وآية

والخلاصة :

(١) ان نفسية أي رجل عادي عاش في ذلك الزمن ما كانت لتتخذ من وسائل الاصلاح مثل هذا الطريق الشاذ

(٢) ان أسهل الطرق لاستغلال الشعور لم يكن قاعدة . بل كانت القاعدة تحدى الناس أجمعين وهذا ضرب من الاعجاز

(٣) ان الذين يعترفون بالالهامات العالية في نفسية سيدنا محمد ﷺ يقتربون من الحقيقة لو عرفوا أن هذه الالهامات فوق مستوى البشرية

(٤) الذين يحكمون اليوم على السيرة الشريفة باسبابها ونتائجها لو عاشوا في ذلك الزمن لكان لهم رأي آخر .

****

الفصل الخامس

التوحيد هو روح الحرية

كان بودي أن أجمل مقدمة البحث في التوحيد ملخصا لنشأة فكرة الاديان في العالم وأن أتناول بالتحليل كل دور من أدوار التفكير الانساني الاول على ثقافته الضئيلة ليعثر على سر الوجود ويتفهم تلك القوة المسيطرة على العالم فتسير به على هذا النمط المحكم الذي أدهش عقل الانسان منذ تكوينه إلى الآن

الا أن هذا البحث يعد من قبيل المعلومات العامة في التاريخ القديم وكثير منها معروف وفيه الدليل على أن فكرة الانسان في وجود قوة أكبر من قوته تكاد تكون في قدمها وعهدها كعهد الانسان على ظهر البسيطة وان العقل أدرك بفطرته أن هذه القوة موجودة ولما أعيته الحيل في حسها ولمسها جهد ان يدركها من مظاهرها وأثرها في الحياة فعبد النيل لانه يقوت الشعب ويعود بالخير والبركات وعبد النار لانها مصدر قوة عظمى ويشعر بضررها فعبدها خوفا منها . وعبد الحيوانات المائية كالتماسيح لانه ظن أن الروح القوية أو روح القوة تحل فيها وقدس الابقار لان في لبنها قوة له ، ثم عبد أشخاص الابطال في صور من تماثيلهم لانه رأى فيهم قوة انسانية تفوق قوة الانسان العادي، ثم فكر في أقوى المؤثرات في العالم فعبد الشمس وحدها.

كان الانسان في كل هذه الظروف يتلمس إيجاد سر الوجود والعثور على معرفة الحقيقة لروح الحياة

يقول بعض المشتغلين بالفلسفة الحرة أن الانسان لم يبحث بغريزته عبثا عن مصدر تلك القوة إلا لانه ضعيف في كثير من أوقات حياته وقليل الحيلة فيما يس

من قدرته . وقليل الادراك لظواهر الطبيعة التي تبهر نفسه فهو في حال المرض لايقوى بنفسه على محاربة الداء وفي حال الجدب لايقدر على انزال الماء من السماء . فلجأ من ضعفه أن يستمد العون من قوة أخرى تخيلها انها أكبر منه سلطانا على الوجود ورمز لها بتماثيل يسجد بين يديها يستمد العون منها ولو تمشينا قليلا مع هذه النظرية والفرض لخرجنا منها بنتيجة لاتقبل الشك وهي اعتراف الانسان أعترافا صريحا بعجزه منذ القدم إلى يومنا هذا في حل سر الوجود بعقله المطلق . وفكره الشخصي مهما علت ثقافته . ومهدت أمامه أسباب العلم .

وهذه النتيجة هامة فليتذكرها القارىء لاننا سنعود اليها فيما بعد . غير اننا نشير الان الى أن اعتراف الانسان صراحة بعجزه وضعفه جعله ينظر الى العالم نظرة فلسفية من غير أن يشعر ، فقد اعتقد أنه لم يوجد لا ليكون ضعيفا ذليلا فتناهى في طلب الذل والتقشف والزهد والخنوع ، فاخذ يتلمس طرق ارضاء خياله عن القوة المسيرة للعالم من طريق اذلال النفس وقتلها بانواع شتى من التعذيب ترى صورا منها في الاديان القديمة التي ما زالت آثارها باقية حتى اليوم كفقراء الهنود الذين يتعبدون بالجلوس على المسامير أو رفع ايديهم الى أعلى حتى تجف أو تتقدد أو غرس شص من الحديد في ظهورهم أو يعلقون على الاشجار . وقد تغالى الانسان في زعمه هذا منذ القدم حتى قدم الدم الانساني قربانا لاستجلاب الرضا .

وقد يقال إن العالم تطور كثيرا ووجد فيه من العلماء والفلاسفة من أرشدوه الى معرفة شيء عن النفس الانسانية ومع ذلك لا نشك أن فطرة الانسان قد جعلته يفكر في القوة التي أوجدت هذه الكائنات وكانت فكرة الدين جزءاً من عقلية الانسان ، ونرى ذلك متجليا عند استكشاف (كورتس) لامريكا الوسطى

وتوغله في بلاد المكسيك لاول مرة حيث حدثنا عن وجود ديانات فيها لا تختلف كثيرا عن ديانات العالم القديم ووصف لنا المذابح البشرية قربانا للآلهة ، مما يدل على ان فكرة الدين واحدة في العالم القديم والجديد متأصلة وجزء من تكوين الانسان ، وان كان الطريق لعبادة مرسوما على قدر تفهم الانسان معنى الحياة كما يوحيه اليه ضعفه وعجزه والتماس معرفة تلك القوة العظمى التي أوجدته وصيرت العالم بذلك النظام البديع الذي يبهر نفسه

واذا تتبعت تاريخ هذا التطور وجدت أنه حتى بعد ظهور أديان سماوية استمر تعذيب النفس واحتمال الاذى وكانت منتشرة في أوربا في البلاد التي يفتحها المسلمون حيث يحدثنا التاريخ ان بعض المتقشفين أخذوا يعذبون انفسهم تقربا لله بأنواع من العذاب كربط الساق حتى يتعفن ويفسد ويتساقط منه الدود . وكعدم الاستحمام وعدم تغيير الملابس حتى تتساقط من نفسها ، وكالجوع باستمرار حتى الاشراف على الموت أو غير ذلك من ضروب الاحتمال للآلام (١)

---

(١) جاء في صحيفة ٦٠٣ من كتاب دنيانا الغريبة — أن المسيحية في القرنين الاولين منها كانت تعد تعذيب الجسم أرقى صفات التقى فالقديس هيلاريون لم يحلق الا مرة في العام في عيد الفصح . ولم يغتسل أبدا حتى صار جسده كالحجر الخفاف ولم يغير ملابسه حتى تتساقط من نفسها

والقديس مكاريوس كان يحمل دائما ثمانين رطلا من الحديد وينام في مستنقع لكي تلدغه الهوام . والقديس يوزيبس عاش ثلاثين سنة في بئر جافة وكان يحمل مائة وخمسين رطلا من الحديد . إلى غير ذلك من أنواع التعذيب

our wonderful world p. 603

والحكيم العربي يقول : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ، وجاء في الأثر : ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض لنفسك عبادة الله ، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ،

وفي كل ظرف من هذه الظروف نرى ظاهرة أخرى في تفكير الانسان وهي ان هناك واسطة بين الانسان وتلك القوة القادرة التي تخيلها فاستغل قديما جماعة الكهنة في مصر ذلك حتى نازعوا الملوك سلطانهم وفي البلاد التي ما زالت في الوحشية الاولى أقامت أمثالهم مقام السحرة أو غير ذلك مما يطول شرحه وفي الهند نرى سلطان كهنة المنبوذين يكاد يشاطر الرجل رزقه وانهم يعيشون عالة على الناس من قبيل الاستهواء الديني

***

بعد هذه المقدمة الوجيزة لتاريخ فكرة الدين نعتذر عن عدم الاطالة لان هذا الموضوع من المعلومات العامة التي يستطيع الباحث ان يجدها في الكتب المتعلقة بهذا الموضوع ولعله يستطيع اذا اطلع عليها ان يلم بها إلماما تاما وان يعرف أن التوحيد في الله كان معروفا حتى قبل ظهور الاسلام لان هناك اديانا سماوية سبقته ولكن كبار عقول الفلاسفة حتى بعد ظهور الاديان أخذوا يتلمسون اسبابا منطقية ليقنعوا انفسهم بوجود خالق

ويطول بنا أيضا شرح هذا . إلا أننا نشير إلى أنهم انقسموا ثلاث فرق

(١) فريق نظر إلى الاديان بفكره الفاحص فقط ثم اقتنع

[٢] وفريق فرض الشك وأراد أن يقنع نفسه من طريق التشكيك في كل ما أمامه من الاديان

[٣] وفريق ترك كل هذا واراد أن يبحث عن سر الوجود بنفسه . فاما الفريق الذي اقتنع بنفسه ببحث الاديان التي أمامه فلا مناقشة لنا معه

وأما الفريق الذي أخذ يتشكك ليقنع نفسه من طريق الشك فعلى رأسه [ديكارت] وهذا مذهب أقل ما فيه أنه مبنى على زعزعة المنطق وان الرجل يفرض نفسه مثلا أعلى في الكمال العقلى فيريد أن يقنع نفسه بنفسه لا من طريق

تفهم الشيء بذاته بل طريق التشكيك فيه . وهنا لا بد أن تعترض الشخص أمور أكثر تعقيداً من أن يحلها بنفسه ولنضرب لك مثلا ديكارت نفسه لا يعرف شيئا من العربية فلا يمكن أن يعرف إعجاز القرآن . وديكارت لا يعرف شيئا من علم الفلك فلا يمكنه أن يفسر الآيات التي تعد إعجازا في علم الفلك . كما توجد آيات أخرى تعد اعجازا في الطب لا يمكنه فهمها .

ومن عيوب العقل الانساني انه كثير الزهو بنفسه وان الفيلسوف يظن نفسه بطلا في كل شيء . مع ان دينا كالدين الاسلامي تناول كل أنواع التفكير والتشريع وهذا أكثر من ان يحكم عليه انسان واحد .

أما فريق الماديين فليس من موضوعنا مناقشتهم لاننا نري في القرآن اعجازاً يقنعهم وان الاسلام يتمشى مع العلم جنباً الي جنب وان في آيات « خلق الانسان من علق » و « خلقناكم من طين » و « خلقناكم أطواراً » لادلة اذا تفهمها هؤلاء الناس لخروا ساجدين إلا اننا لا نتكلم في هذا البحث الآن . وانما نقتصر على الاعجاز النفسي في الاسلام . على اننا نرى من وجهة أخرى ان الموضوعات العلمية الفنية تتمشى جنباً الى جنب مع الاسلام فأول آية من آيات القرآن الكريم « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم »

فأنت ترى أن أول نداء للاسلام كان على دعامتين . الله والعلم . وتري كثيراً من آيات القرآن أحالت على العلم تفهم دقائق الحياة وعناصرها . وتركت للعقل البشري حريته في البحث والاستقصاء . وتركت للتفكر والسمع والبصر والافئدة سبيلا لمعرفة الله عن طريق العلم : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » ولقد قامت الدعوة الاسلامية على مناقشة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان .

والظاهرة الغريبة جدا أن الاسلام لم يجعل فاصلا بين المرء وربه وجعل الناس كلهم سواسية . ان أكرمكم عند الله اتقاكم . وما محمد لا رسول قد خلت من قبله الرسل وهو انسان كجميع الناس لولا انه نبي كريم وبهذا ترى أن التوحيد ضرب الحجر على العقول ضربة قاضية . وضرب استضعاف المرء لنفسه ضربة قاتلة . وساوى بين الناس جميعهم ، كما هدم كل أساس للافكار الخيالية في التقرب من الله بطريق تعذيب النفس — ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق كما ضرب الوساطة بين العبد وخالقه ضربة لاقيام لها

انظر وتأمل هذا النبي الكريم . على جلاله وعظمته وعلى مكانته عند الله والناس لما رأى رجلا مقبلا يرتعد رهبة قال عليه السلام [خفض عليك أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة)

في هذه الحادثة وحدها : وفي هذا الحديث وحده كل معاني الحرية وكل معانى المساواة وكل معانى حكمة الاسلام فى الحريه الشخصية

ولنذكر لك أثر التوحيد في تكوين النفس ، وكيف تطور الفكر الانسانى بمبدأ التوحيد ، ونبتت عند الناس فكرة الحرية الشخصية والدينية منذ الساعة الاولى التى قرع سمع العالم هذا النداء الاسلامى

لقد كان طبيعيا أن تصادم هذه الدعوة الحرية بكل معانيها بالعقائد التقليدية التي سبقت الاسلام . وهي عبارة عن اعتراف الانسان بضعفه اعترافا صريحا — كما تقدم — واقراره بحدود ضيقة لعقله لفهم تلك القوة الهائلة المسيطرة علي العالم وعبادة البطولة والابطال والقوة في رموز من التماثيل يستلهمها وقت الضيق ، ويتقرب منها عند الحاجة ، فقام نزاع شديد بين هذه التقاليد الموروثة فى الجمود الفكري .

ورأى الناس الدعوة لله والعلم عن طريق الفهم والحجة والبرهان والعقل فنشبت معركة هائلة بين العقل والقوة ، ومظاهر القوة مادية محضة فلجأ المكذبون إلي ايذاء النبي وصحبه وانزال العذاب بهم مما يشيب لهوله الولدان ، بالضرب وبالحرق ، وبالكي ، بكل انواع الوحشية

ذلك لان عقول هؤلاء الناس لم تكن في أدمغتهم ، ولكن فى أيديهم وفي أدوات اعتداءاتهم ، كما ربا هم على ذلك هؤلاء الناس الذين استعملوا ضعفهم الفكري، فاستغلوا عواطفهم لاستدرار الاموال منهم

ولقد صبر محمد ﷺ وأصحابه علي الاذى والعذاب ، وهذا الصبر والثبات في موضعهما ضرب من ضروب تطور الفكر الانساني من حال إلى حال، فالناس قبل الاسلام كانوا يحتملون العذاب تقربا من الله ، ويحتملون الاذى الفكرى من غير فكرة معينة عن الله ولكن أصرار المسلمين على عقيدتهم ، واحتمالهم الآلام في سبيلها ، هو دفاع عن حرية الرأي والعقيدة دفاع عن حرية التفكير ، دفاع عن الحرية بكامل معانيها ، فصاروا يقبلون العذاب في مقاومة العادات والاخلاق الموروثة ، وفي سبيل تحرير الفكر

وهناك ظاهرة غريبة . أغرب ما يتصوره العقل . فقد مضت ثلاثة أعوام على دعوته ﷺ ولم يتبعه الا ثلاثة عشر شخصاً وهذا يدلك على مقدار جمود الفكر في تلك الايام . وإذا قست ذلك بما يحصل في زمننا هذا لوجدت فرقا كبيراً . فان حرية التفكير الآن تجعل كثيراً من الناس يعتنقون المبادىء الحديثة أيا كانت . حتى المبشرين والمستشرقين تجد لهم أتباعا وأنصاراً

على ان الغريب في هذه الظاهرة في ثبات أصحاب النبي على الاذى انه لم يكن بيديه شيء ما من حطام الدنيا ولم يكن لديه من المغريات ما يغريهم لهذا الاحتمال . ولو كان رجلا عظيما فقط كما يدعي المستشرقون لغير من خطته وحبب دعوته الى الناس بتغيير وجهتها لاقرب طريق الى عقولهم.

ولكن هكذا كان ، فالاديان التي سبقت الاسلام كان لها زعماء من رجالاتها قد استغلوا العقول ، فقضوا على التفكير قضاء يكاد يكون مبرما ، ولذلك كانت رسالة محمد ﷺ شاقة في بناء التفكير الانساني من أساسه على مبادىء صحيحة هي توحيد الله ، وأما ما بقي من الدنيا فقد صار مباحا للعقل والفكر في حدود المنطق الحكيم.

ولقد رأيت فيما قدمنا من أحوال العالم وقت البعثة ان العالم كان في حالة جمود فكري وركود سياسي وأدبي وان المرأة كانت في الدرك الاسفل ، وان الرأسمالية كانت طغت على العالم وملكت أزمته ، ولم يكن هناك وسيلة لانهاض العالم من عثرته

فلما دوت كلمة التوحيد والعلم والتفكير ، عرف العقل مكانه ومقامه ومركزه في الوجود ، وعرف الناس انهم كلهم سواء لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، وان لا سلطان على العقل ولا رياسة للعقائد ، وان الثواب والعقاب ليس بيد انسان كائنا من كان والجنة لا تباع ولا توهب ، وان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة « اطلبوا العلم ولو بالصين »

وهكذا تحررت العقول وعرف الناس قدر أنفسهم ، وانه لا فارق بينهم ولا شيء يسيطر على افهامهم ، غير العلم ووحي الضمير عن طريق الفهم والحجة

هذه هي المبادىء التي لا توافق الاستعمار ، والتي يعمل المستشرقون منذ القدم على مقاومتها ، وهي التي قال عنها « سيكارد » ان الاسلام في روحه الخاصة ينافي مصلحتنا فيجب التقليل منه بين الشعوب الخاضعة لنا

هـذه هي المبادىء التي جعلت للاسلام أعداء من المسيطرين على البلاد الاسلامية فربوا فريق المستشرقين لكي يناهضوها

وهذه المبادىء هي الحرية والاخاء والمساواة التي تمخضت عنها الثورة الفرنسوية بعد عشرات السنين من الهول والمذابح البشرية وبعد اثنى عشر قرنا من ظهور الاسلام ، وبعد أن قررها القرآن حقا من حقوق الانسان ، وجعلها أساس العقيدة ، وفرضها على الناس دينا وايمانا قبل ان تكون مبادىء

ثم انظر إلى قرارة الآلام البشرية التي ولدت في الثورة الفرنسوية ما سموه حقوق الانسان في الوجود والحرية الشخصية والفكرة

على أن هذه الثورة لم تكن الا لانتزاع حرية الناس من أيدي العابثين بها ووازن بين ذلك وبين المبدأ الاسمى الذى وضعه القرآن في الحرية الشخصية والمساواة بين الناس حتى النبي نفسه لم يدع سلطاناً ولا سيطرة وانه لا يملك لنفسه شيئا إلا ما شاء الله (قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله . ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون)

أليست هذه هي مبادىء المساواة بأوسع معانيها . خصوصاً إذا أضفنا إلى ذلك آية (ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول اني ملك)

قلنا ان الانسان الاول اعترف صراحة بضعفه وتمثل القوة العليا في الاشياء البارزة القوة والفائدة كالشمس وفي الابطال فصورهم بماثيل يتذكرهم بها ويتقدم إلى هذه التماثيل بالقرابين والخشوع والاستذلال وكان أول معجبات التوحيد محو هذا أيضاً ليكون الفكر حراً من مؤثرات الاشباح التي تلوح دائما للعين فتؤثر في العقيدة . وحرية الفكر . ولئن كان في الاديان الاخرى شيء من ذلك فان من قاموا بعداوات التماثيل (١) سموا أبطالا للاصلاح الفكري الديني وهذا جزء قليل من أجزاء التوحيد وعنصر من عناصره . أفلا ترى بعد ذلك التأثير النفسي للتوحيد وأثره في حرية الفكر والصراحة في تحرير الفكر من كل قيد يؤثر فيه ؟

وهلا ترى معي ان أثر تكريم بعض الاشخاص باقامة أضرحة وقباب عالية من قبيل الذكرى التاريخية فقط بين المسلمين قد جر السذج والهمل من الناس الى الاعتقاد بأمور تنافي ودينهم . ؟

(١) مارتن لوثر . صاحب مذهب البرتستنت

اذن فالتوحيد الصريح أساس المساواة بين الناس ، وجعلهم كلهم طبقة واحدة وهذا هو الاخاء الانساني للشعوب جميعها ولم تتمخض الاجيال كلها عنه إلا بعد الحرب العظمى في جمعية الامم وان كانت هذه الفكرة لم تبد صريحة للآن . إلا ان التربية والتهذيب والرقي الفكري سيجر العالم إلى المبادىء الاسلامية على رغم من يتبجحون بانكاره وعلى رغم أنف الجمود الفكري الذي طغى على العالم . بتأثير قوم يستفيدون ويستمدون نفوذهم من تقييد العقل وتضليله وعدم تحريره

ويقول بعض المشتغلين بالفلسفة الحرة — لماذا يعتمد الانسان على الدين في فهم الفضيلة والاخاء ؟ ولماذا لا يبلغ ذلك بالتعليم وان يعمل الخير لانه عمل انساني وان يأنف من الشر لانه عمل وحشي ؟

وهذا القول على ظاهره مسحة من العقل ولكن منطقه ناقص وغير سليم ، لان العقول البشرية تتفاوت في تقديرها للخير والشر . وما تراه بعض الامم خيراً يراه غيرها شراً في العادات البسيطة ، وقدمر بك ان الامم التي لم تتمدن جعلت الذبائح البشرية قربانا للآلهة عملا خيراً . وقد تدهش اذا علمت ان الرقي والتعليم مهما كان تقدما لم يغيرا شيئا من عقائد البوذيين في الهند . وان اكبر الزعماء كغاندى على علمه وفضله يقول ان الزلازل غضبة من الله . ولامانع من الاعتقاد بذلك ، وان كان لها أسباب طبيعية معروفة ، وقد يكون ذلك من باب موافقة أقدار لاقدار . ولا زالت المرأة التى في حالة النفاس قذرة تعامل بالاهمال في أقذر مكان . ولا زالت القابلة التي تولدها تدخل عليها بأقذر الثياب ولا يزال للكهنة على كل شيء ضريبة حتى أصبح ربع السكان من الكهنة الذين يعيشون على هذه الاموال . وكذلك نرى في حياة المرأة حتى في اليابان أمراً لم تألفه النفوس في جميع أصقاع الارض وهو تقديم صاحب البيت

زوجته هدية لضيفه اذا بات في منزله (١) . مع ان اليابان من أرقى البلاد مدنية وتعلما ، وهذا يدلنا على انه لا يوجد ضابط للتعليم ولا حد للعادات

ومن هذا كان الدين الاسلامي عالمياً يضع حدود الغرائز والعادات ويضع قوانين لمعنى الانسانية ومعنى البشرية ، وان العالم الآن مدين بنشاطه الحاضر الى تحرير الفكر الذي أوجده الاسلام ولو كره المبطلون .

وهنا قد يعترض انسان فيقول لنا ان تحرير الفكر كان جزءاً من الفلسفة اليونانية ومن ضمن تعاليم سقراط وافلاطون وارسطو . ثم يكرر لنا الاقوال التي نقرأها دائما في الكتب الغربية من ان العالم مدين بحرية الفكر لليونان .

وان فضل العرب لم يكن الا بنقل الثقافة اليونانية وتسليمها الى أوروبا الحديثة وان العرب أنفسهم مدينون للفلسفة اليونانية ونحن نعلم ذلك حق العلم ولكننا نقول ان حرية التفكير شيء ومبادىء العلوم الطبيعية والمنطقية شيء آخر ، وان دساتير اليونان القديمة ومناقشاتهم الجدلية كانت ضرباً من التجارب الاولى كان بعضها ناجحاً وكثير منها كان خطأ صريحاً كما نرى في علوم العناصر المكونة للعالم والامزجة البشرية ، فالفلسفة اليونانية هي مبادىء العلوم ، ولكن حرية الفكر وتحديد الايمان على وجهة واحدة ، وجعل العلم مرتبطاً بالايمان ، وان لا حرج على العقل أن ينشط من عقاله ، وان تكون هناك شريعة بالقدر الذي يكفل الفضيلة ويمحو الضعف ويساوي بين الناس في حقوقهم المدنية والدينية — فهذه أمور لم تكن معروفة من قبل في أي شريعة أو دين .

أضف الى ذلك ان الفلسفة اليونانية قد خدمتها أوروبا ، وخدمها العرب

(١) وأبطلت هذه العادة حديثا من كثرة نقد الاوروبيين « جولة في ربوع الشرق » لمحمد ثابت

قبلهم خدمة جليلة فمباحثها مستفيضة ولها الكتب الكثيرة المؤلفة بروح الانصاف والتضخيم والتكبير والشرح والتفسير فكانت هذه دعاية لتلك الفلسفة قد غطت على سمعة فلسفة أجل منها وسأعطيك مثلا ترى معه أثر هذه الدعاية

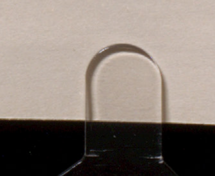
فأنت تعلم أن الاسلام وان كان دينا تاما الا انه في الحقيقة تشريع يعامل الغرائز الطبيعية ونزعات النفس في حدود العقل والحكمة وترى أن مدارس الحقوق في العالم الغربي تدرس القوانين الرومانية ونظام التشريع الدستوري في اليونان والرومان درسا مستفيضا، وأما التشريع الاسلامي على ما فيه من جلال فليس موضوع دراسة علمية فنية ولا يعرفه أحد من المشرعين الاجانب.
أفلا ترى معي الآن أن الدعاية للقانون الروماني والدستور اليوناني أكبر من قيمتهما بالقياس على القانون الاسلامي المدني والجنائي ودستور الشورى والحكومة الديمقراطية ؟

أليس هذا من قبيل تعصب أوروبا لاصلها اللاتيني حتى في الدراسات الحرة ؟ وقل لي كم متشرع في مقارنة القوانين يعرف ما في الاسلام من قانون مدني وجعله موضوع بحث في رسالة خاصة

ألست ترى معي أن دراسة حرية الفكر الاسلامية على مبادىء التوحيد موضوع جدير بالنظر والبحث المستفيض ؟ ألم يكن للتوحيد ذلك الفضل العظيم في جمع القلوب فكون وحدة بشرية بين الممالك المختلفة التي دخلها العرب ولا زالت هذه الوحدة باقية الى اليوم على رغم تلك الخلاوت التي يوقد لظاها المستشرقون والمبشرون وخلق مسائل الاقليات الدينية ؟ ولم يكن الفضل في كل ذلك الا لفكرة التوحيد التي متى اقتبستها الافهام واستوعبتها الافئدة كانت كلها في اتجاه واحد نحو الوحدة الانسانية والنهضة العقلية التي لا تفهم رجعية

ان المستشرقين والمستعمرين يفهمون ذلك حق الفهم ولذلك هم يعملون على مقاومة الاسلام

ولنتحدث لك الآن عن طرق تضليلهم



الفصل السادس

أثر التوحيد الاجتماعي

لم يكن الفضل في مبادي. الاسلام لشخص معين . قد علمت أن محمداً عليه السلام كان يضع نفسه موضع الانسان ، لا موضع صاحب السلطان . وكان هو وحده المثال الكامل في البذل ، وفي العدل ، فلم يستغل يوما مركزه ودعوته العظمى لنفسه ولا لشيء من حطام الدنيا بل كانت دعوته خالصة لله ، ولتحرير الفكر ، فلم يأخذ نصيبا من غنيمة يزيد على نصيب سواه ، ولم يدع لنفسه شيئا خارقا ، ولم يقل ان صلته بالله تعالى تزيد على صلة العبد — وكلنا عبيد الله — ولم يفضل الناس الا بأنه رسول الله ، وهذه منزلة اختاره لها الله سبحانه وتعالى

وكان أصحابه عليه السلام ينظرون اليه هذه النظرة أيضا ولذلك قال أبو بكر حين توفي عليه السلام ودهش الناس للخبر : (من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت)

وفي حياته عليه السلام لم يكن مستبداً برأيه في أمور الدنيا بل كانت أمور المسلمين شورى . وكان أصحابه يختلفون معه في الرأي ، والتاريخ يدلنا على ان سيدنا عمر اختلف في الرأى مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في نحو عشرين مسألة وعزز الوحي رأي عمر دون رأي رسول الله ، أشهرها : مسائل قتل أسرى بدر ، ومسألة الحجاب . ومسألة الخمر ، ومسألة الاستغفار للمنافقين ، الى غير ذلك

هذه الحقيقة ترشدنا الي مغزى كبير ، وغاية كبري من مغازي التوحيد والنظر الى ان الاسلام لا يجعل سلطاناً على النفوس والعقول والافهام الا لله

وحده . وما دون ذلك فالجميع سواء وآراء الناس كلهم قابلة للشورى والفحص ولو كان الرأي لرسول الله نفسه

وليس بعد ذلك وضوح لتقديس حرية الفكر ، التي هي دعامة من الدعامات الاصلية في الانسان وهذا هو أظهر معنى من معاني الاسلام

ولكن جماعة المستشرقين يعمدون الى القاموس ويتفهمون منها معنى كلمة الاسلام . ويقولون عنه ما قال مرجوليث ان معناه (الذل والخضوع) ومع ذلك لا يقولون انه استسلام لله ، بل يقولون انه — الخضوع فقط —

ولقد رأيت في فصل التوحيد ان المعنى الذي تعبر عنه كلمة الاسلام هو معنى تضيق به صفحات الكتب الضخمة ، وان له معنى روحيا واجتماعيا كما سبق ذلك .

ولذلك كان أول أثر من آثار توحيد الله وترك المعتقدات القديمة هذا التوحيد بين القلوب في قبائل العرب ، وهذا التوحيد في الاخاء بين الشعوب المتفرقة ، وهذه النهضة الكبرى التي جمعت الامم كلها تحت طابع واحد حين افتتح العرب الاقطار وورثوا ملك الفرس والرومان

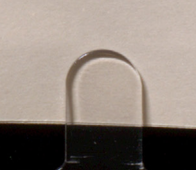
وانك اذا تصفحت التاريخ علمت ان الامم الفاتحة الغازية لا تخرج عن واحدة من ثلاث

١ — أمة تتخذ الحرب صناعة وحرفة وموردا للرزق كالاتراك الاقدمين في فتوحاتهم فلا يعمرون ما يفتحون

٢ — أمة تجارية كالفينيقيين وانجلترا تغزو الممالك لفتح اسواق لتجارتها

٣ — أمة تطلب السعة من الارض لضيق اهلها بها فتغزو البلاد طلبا لمنفذ جديد يعيش أهلها فيه

وهناك من الامم من يفتتح الممالك حبا في الفتح ، كالاسكندر ونابليون



وأمثالهما وهؤلاء تموت فتوحاتهم بموتهم

ولم يحدثنا التاريخ ان أمة من الامم فتحت الممالك لاجل بث فكرة أو نشر مبدأ غير العرب بعد الاسلام ، فالعرب قاموا بفتوحاتهم لنشر المبدأ والفكرة وتعميم الوحدة البشرية

يتجلى لك ذلك من كتب رسول الله ﷺ للملوك والا كاسرة ، ولم يكن في هذه الدعوة غير نشر فكرة التوحيد ولم يكن عليه السلام من زخرف الدنيا بحيث يحاكي من كاتبهم في الارستقراطية والعظمة ولكنه كان يدعوهم دعوة ديمقراطية متواضعة

يقول مرجوليث — ان الاسلام هو الدين الحربى ، مشيرا بذلك الى الغزوات والى مبدأ القتال في الفتح الاسلامي والى تخيير الامم غير الاسلامية بين القتال والجزية

وليست المسألة في غموض يدعو الى كل هذا الغموض واللغز فالجزية شيء نوع من الزكاة على غير المسلم (١) ، والاسلام دين فيه كل معاني الديمقراطية لاشتراكية والحرب وسيلة

ليس من ينكر ان للجهل عقوبة ، وليس من ينكر ان الجمود الفكري والاستسلام للتقاليد نوع من الرجعية العالمية وليس لمستشرق ان يلوم الاسلام على هذا وليس له ان يضع رأيه في كفة ميزان ورأي عقلاء العالم اجمع في الكفة الاخرى .

فها نحن أولاء قد عرفنا أن دعوة الاسلام لله ، وللعالم وليس في هذه الدعوة عار على الانسانية

(١) لاجل حمايته ومعاملته بما يعامل به المسلمون ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم فان عجز المسلمون عن حماية الذمي لم يكن لهم الحق فى اخذ الجزية

وقد رأيت أن الزكاة فرض على كل مسلم . فكيف يعيش غير المسلم في هذا الوسط من غير زكاة .

وليس بيت مال المسلمين بمقصور على معاونة المسلم فحسب ، بل وغير المسلم بلا قيد ولا شرط

وليس أدل على تفسير هذا لمعنى من مبادىء الاسلام التي شرحها النبي ﷺ والخلفاء الراشدون بعده ، وقد رأينا من أعمالهم المساواة المطلقة بين المسلم وغير المسلم ، وفي قصاص سيدنا عمر من ابنه لاجل حق امرأة مسيحية قبطية ألف دليل ودليل

وفي قوله رضي الله عنه « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » كل مبادىء الاسلام من الحرية والاخاء والمساواة

وفي وصايا سيدنا علي للاشتر النخعي الذي ولاه على مصر ما يزيد الشرح ويجلي البيان ، ولقد قال له :

« . . . اعلم يامالك أني وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول من قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم ... ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم فانهم صنفان اما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق .

الى قوله : ثم الله الله في الطبقة السفلى ، من الذين لا حيلة لهم . والمساكين وأهل البؤس والزمنى فان في هذه الطبقة قانعا ومعترا واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل بلد فان للاقصى منهم مثل ما للادنى ـ وكل قد استرعيت حقه ، فلا يشغلنك عنهم بطر ، فانك لا تعذر بتضييعك التافه لاحكامك بالنظر في الكثير المهم . »

ومن هذا ترى ان الجزية والخراج هما تنظيم للاحسان ، بلا فرق بين الاديان . لانهم متساوون في نظر الاسلام من جهة الخلق وليس جعل الاحسان قانونا بعار على الانسانية . وقد أبنا ان استجداء الضمائر للاحسان أخفق ولم يثمر في كثير من البلاد المتمدنة . والارتكان على العاطفة الانسانية وحدها لم يكف منذ هجر الناس مبادىء الاسلام الى اليوم .

ولعمري انك لو اتخذت رسالة سيدنا علي هذه على حقيقتها لوجدتها تفسيراً واضحاً للسياسة الاسلامية ويكفي قوله لعامله « ان الناس إما أخ له في الدين أو نظير له في الخلق » أن يعرف الناس جميعا أن الاسلام لا يفرق بين الاديان في المعاملة وبالاخص في الاحسان والحق في بيت مال المسلمين .

والتفسير النفسي لكل ذلك هو أن الاسلام يعامل الغرائز البشرية بميزان العقل والحكمة والتشريع الاوروبي يعامل الناس بالتجارب والاختبار، ولم يهتد إلى الآن الى أن الاسلام مبني على معرفة أدق بعلم النفس فالله الذي خلق النفوس حدد عقوباتها وحدد مصرفها . فاذا علمت ذلك فلا اعتراض . ومن يقل ان هذا ليس من عند الله فليأت ببرهانه المنطقي الذي لا شعوذة فيه ويكفى ان مبدأ تحريم الربا أخذ الآن يتطور في أوروبا الحديثة الى شكل الافلاس في الدفع بتغيير أسعار العملة وتخفيض قيمتها فلا يدفع المدين لدائنه شيئاً ويكفي ان ألمانيا قللت من سعر عملتها الى الصفر لتجمع ذهب العالم ثم ألغت هذه العملة .

وليس من المجهول أن عقوبة الجحود لازمة .

فالتعليم الاجباري في كل بلاد أوروبا له قوانين محمية، وعقوبة الحبس توقع على من لا يعلم أولاده . وعقوبة السجن لمن يزور في ايراداته حتى لا يدفع ضريبة الدخل . وضرائب الدخل والربح أصبحت مبدأ أوروبيا بعد ان قررها الاسلام بشكل أدق منذ أربعة عشر قرنا . في ركن من أركان الاسلام وهو الزكاة .

فهذه المبادىء التي تتقدم اليها أوروبا نتيجة الاختبار والتجارب هي المقررة في الشريعة الاسلامية . فطلب العلم فريضة على كل مؤمن ومؤمنة والنظام الاجتماعي في الشورى والسياسة العامة في الامن والعلاقات الشخصية كلها من تعاليم القرآن .

واما أبلغ رد على تعامل أوروبا بالربا وهي المعاملة التي حاربها الاسلام وحكم عليها بالموت هي تلك الظاهرة الغريبة التي تبدو في أوروبا اليوم من قيام حكومات اشتراكية محضة تحرم الرأسمالية وجمع الثروة في أيدي فئة خاصة وهو سر تحريم الربا . لعدم استئثار فئة من الناس بالسلطة المالية والاستبداد بالعالم .

فهناك . لما وقعت أوروبا في الازمة المالية التي تنبأ بها الاسلام من التعامل بالربا . لجأت أوروبا وامريكا الى طرق الحيلة بفصل العملة عن الذهب فهبط ثمن النقود وأخذت تراوغ في دفع الفوائد بعد أن نقصت رأس المال تخلصا من ذلك الكابوس الاقتصادي .

أفليست بهذه الطريقة تتلمس طريقها في الظلام لتهتدي الى طريق الخلاص وشعاع واحد من أشعة الاسلام يجلو عن العالم ذلك الظلام الدامس . وهو عدم التعامل بالربا . ثم أنظر الى الخراب الذي حل بمن استدانوا من المصارف المالية وبيعت أطيانهم بأبخس الاثمان . وما في ذلك من العبر

ان العالم يسير اليوم على نظام اقتصادي أصبح ثابتا وليس من السهل زعزعته بين يوم وليلة . ولكنه علي أي حال نتيجة اعتماد الناس على تفكيرهم . ولكنهم أيضا يلجئون الى التخلص منه من طريق التجارب وهم يقتربون نحو الحقيقة بخطوات وئيدة .

الفصل السابع

تعليقات المستشرقين على التوحيد . وحياة محمد

لقد رأيت في الفصول السابقة أثر التوحيد في تحرير الفكر ، ومنع الوساطة بين الله وبين الانسان وان من مبادىء الاسلام أن يشعر الانسان بكفايته وقدرته العقلية على الفهم ، والمساواة بين الناس أجمعين ، وتحديد العلاقة بين الناس ، واجب صاحب السلطان نحو رعيته ، وواجب الرعية نحو الراعي ، كما يتجلى في كتاب سيدنا علي كرم الله وجهه « وقد تقدمت نبذة منه »

هذه المبادىء لا ترضي المستشرقين ، وليس من صالح الامم الغربية أن يعرفها أهلها حتى لا يندفعوا أيضاً الى تلك المبادىء ، ومن هنا كان عمل المستشرقين مزدوجاً به تشويه الاسلام ، وتنفير أوروبا وحمايتها منه

ولذلك رأينا من فلاسفة أوروبا آراء أقل ما نقول فيها إنها عربدة في قالب مزخرف وجهل في ثوب منمق

فانظر الى رينان في كتابه عن ابن رشد ومذهبه اذ يقول : (ان خواص النفس السامية (أى التى منها العرب) تتجلى في انسياق فطرتها إلى التوحيد من جهة الدين والى البساطة في اللغة والصناعة والفن والمدنية ، أما النفس الآرية (التي منها أوروبا) فيميزها ميل فطري الى التعدد وانسجام التأليف)

وكثير من المستشرقين على هذا النمط المضحك من الاستنتاج ويريدون بذلك أن يقولوا إن دين العرب على قدر عقولهم

وليس أدل على عدم المنطق واغفال الحقائق في هذا القول من أن العرب قبل الاسلام كانوا مشركين غاية في الشرك فكيف اتفق ذلك مع ميولهم ولماذا

قاوموا الدعوة الاسلامية في مبدئها وكيف وصفوا في القرآن بقوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون)

وكان من شرك الجاهلية أن تلبيتهم في حجهم كانت الشرك المجسم فكانت قبيلة نزار تقول :

لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك

تملكه وما ملك

(راجع كتاب الاصنام)

ثم ارجع معنا إلى الفصل السابق من التوحيد وتدبر معنا سر الوحدة العربية وان الاسلام طبع الامم التي انتشر فيها بالطابع العربي وان لم يكونوا من المسلمين وليس أدل على العدل المطلق من أن يتكافأ الشخصان على تباين دينهما أمام الاسلام في القضاء . وأن لا يكون المسلم مميزة على غيره كما سبق

هذه المسألة وهى التوحيد في المعاملة والتوحيد في النظر الى الاجناس المختلفة في ظل الاسلام لا ترضي جماعة المستشرقين لانهم طلائع التفريق وتشتيت الوحدات العربية والبلاد الاسلامية

فاستغلوا علومهم في البحث والتنقيب واختراع النظريات الملفقة والدعاوى المشعوذة فهاجموا أسماء قواد المسلمين وعظماء الفاتحين وأخذوا ينسبونهم الى غير العرب وغير الاسلام

وبذلك أصبحنا نقرأ من نفثات أقلام المستشرقين مباحث علمية عويصة - اقرأ واعجب - أن أهالى مراكش من البربر ماعرفوا الاسلام وما آمنوا به في يوم من الايام وانهم ولا زالوا غير مسلمين وان العرب الذين فتحوا الاندلس وغزوا فرنسا وايطاليا كانوا مسيحيين وان طارق بن زياد القائد المظيم والذي رفع منار الاسلام في الاندلس لم يكن عربيا ولا مسلما ولكنه كان بربريا مسيحيا -

وقد استعمار جيرو هذه النظرية للاصلاح القانوني في مراكش (راجع تقرير لجنة العمل المغربي المقدم للؤتمر الاسلامي ببيت المقدس صفحة ٤)

وليس من غرضنا أن نتكلم في موضوع السياسة والاستعمار ولكن هذه النظريات ليس الغرض منها سوى تشتيت الامم وتمزيقها وخلق عصبيات متعددة فيها مما أصبح مألوفا لدى كل من له أقل المام أو اطلاع على تاريخ الاستعمار وطرق استثمار الخلافات في الجنس والدين

أما وحدة اللغة العربية فقد عمل المستشرقون كل ما يمكن عمله لتشويهها واظهارها في مظهر أضعف لغات العالم . وان اللغات واللهجات العامية خير منها استعمالا .

وصار يعدها المستشرق برينو اللغة اللاتينية للعربي ، ويقول عنها في مقدمة كتابه الذي يدرسه الطلبة الفرنسيون باللغة العربية

« أتريد ياصاح أن تتعلم الكلام مع الاهالي الذين حولك ... »

الى أن يقول لا تظن « انني سأعلمك لغة القرآن فهذه اللغة قد ماتت ولا يتكلم بها أحد فهي لاتينية العربي . وهي اللغة المستعملة في جنة محمد وسأحبب اليك دراستها في المستقبل اذا أردت أن تتذوق حلاوة الاجتماع بالحور العين »

وبهذه الطريقة أصبح المستشرقون يناصبون اللغة العربية الفصحى العداء فيتشككون في النثر الجاهلي والشعر الجاهلي ويلقون الشك في كل شيء يتصل باللغة العربية ولهم في ذلك مباحث أقرب للتهويج منها الى العلم الصحيح ولمرسيه في ذلك آراء منقوضة وأفكار مردودة (راجع كتاب النثر الفني)

بقيت مسألة القرآن الكريم الذي هو الدعامة الثابتة التي عجز العالم عن التحرش بها . والصخرة العظيمة التي اذا أراد أكبر مستشرق أن ينطحها تكسرت جمجمته قبل أن يصل الى حرمها ، ولذلك رأينا آراءهم في ذلك هوجاء وشعوذة

هاك المستشرق مرجوليث أستاذ اللغة العربية بجامعة اكسفورد لم يترك نقيصة في العالم الا نسبها لسيدنا محمد ولم يترك فحشا من القول إلا نسبه للقرآن واليك أمثلة من ذلك

قال في صحيفة ٢٣٦٤ من تاريخ العالم العام ما يأتي :

« وان كان محمد لم يترك تاريخا مفصلا لحياته إلا أن في القرآن كل عواطفه وإحساسه . والقرآن كسجل تاريخي ليس مرتبا حسب الحوادث والتاريخ ثم يقول

« وربما كان الكثير منه مما لم يتذكره الرواة تماما عند روايته وقد يكون بعضه دخيلا في عصر متأخر وبعضه مسلم به أنه في عصر الرسول ولو انه نسب اليه خطأ »

ثم يستفرغ مرجوليث من فيه كل انواع المطاعن فيقول من المشكوك فيه اننا لا نعلم اسم والد النبي لان لفظة عبد الله معناها في العهد الأخير الشخص المجهول وربما كان لها هذا المعنى عند إطلاقها على والد النبي وقصة يتمه التي وردت في القرآن لايلزم أن نأخذ بها على معناها الادبي .

والعلاقة المفروضة بين أمه وبين أهل يثرب مسألة مشكوك فيها كالقصص التي جعلت الاسكندر الاكبر فارسيا أو مصريا بالنسبة لوالدته

إلى هذا الحد بلغ ذوقه وأدب المستشرقين عند كلامهم عن رسول الله ﷺ وأن الحياء ليمنعني أن أذكر المعنى العادي الذي قصده مرجوليث من قوله (ابن عبد الله) نسبه إلى الاب المجهول ومع ذلك يعجب بعض الناس بالمستشرقين وهم لايعرفون من أمرهم شيئا

وأنتقدنا طريقة مرجوليث هذا في هذا النوع من التهريج العلمي من غير سند أو دليل والقائه الكلام على عواهنه من غير اثبات فهذا — الخواجه — قال إن القرآن ملفق . وقال إن سيدنا محمداً — على أبسط تعبير — لايعرف له أب أو أم

ونشرنا هذا الرد في مجلة المعرفة فأرسل مرجوليوث خطابا يعلق فيه على ما قلنا هذا نصه (١)

أما ما كتب الدكتور حسين الهراوي في ذم المستشرقين فلو كان ما أودع مقاله من الشخصيات تلق بالآداب لم يكن مايمنع من الخوض في الموضوع والتمييز بين الخطأ والصواب . أما المسائل التي ذكرها فلست أرى فائدة في مداخلتها ، لأنها أقرب إلى منابر الخطباء منها إلى مجالس الادباء

د . س . مرجليوث

وردا على ذلك نقول إننا تناولنا من آراء مرجوليث مسألتين مما كتبه في تاريخ العالم العام فى الفصل التاسع والثمانين

الاولى أنه ذكر عن سيدنا محمد انه مجهول الاب والام

والثانية قوله إن إعجاز أسلوب القرآن يفسر إما بأنه لايمكن تقليده، أو الاخبار بأمور يمكن التحقق منها — ولم يكن للنبي وسيلة لمعرفتها وننا نعلم من القرآن أن كلا من هذين الادعائين — عندما أذيع — لم يسلم من النقد فالامر الاول أن الذوق الكتابي يختلف كباقي الاذواق وعن الامر الثاني لوأنه وجدت وسيلة للتحقق من صدق النبي فهذا يفهم منه أنه أمكنه بنفس هذه الوسيلة معرفة الامر الذى ذكره

وكذلك قال مرجوليث ، إن محمدا اعترف في مبدأ رسالته بمعرفة القراءة والكتابة :

ولنناقش مرجوليث الحساب في هذه المسائل التى يرى أن ردنا عليها فيما مضى أقرب إلى منابر الخطباء منه الى مجلس الادباء

---

(١) المعرفة فبراير سنة ١٩٣٣

أي بعبارة أخرى ليس له علاقة بالادب العربي ولا بعلم من العلوم فاما عن والد سيدنا محمد فنحن ننكر على أدب أستاذ في جامعة اكسفورد ان يوجه مثل هذا الطعن في نبي يدين بدينه ملايين المسلمين . وان يتفوه بتهمة تترفع ابسط قواعد الآداب الاجتماعية العامة عن ان توجهها لاقل الناس مركزا - وثانيا - ان مرجوليث لايعرف شيئا عن الادب ولا الادب العربي . والا لعلم ان العرب كان فيهم نسابون ولو انه تكلم أولا عنهم — وعن مصادر الشك في أقوالهم وتنسيبهم — لكان لنا ان نناقشه بالادلة العلمية أما وهو لم يذكر شيئا من هذا فدليل على انه لايعرفه — وثالثا — لان جد محمد عليه السلام وعمه هما اللذان كفلاه صغيرا ولو كان مجهول الاب ما عرف له عم ولا جد وهذا يدل على ان مرجوليث لايعرف شيئا من تاريخ سيدنا محمد عليه السلام — ورابعا — ان عصبية محمد عليه السلام حمته في مبدأ رسالته ولو كان مجهول الاب ما كانت له عصبية فاذا كان مرجوليث لايصدق شيئا من ذلك ولا بد ان يكون قرأه . فليقل لنا هو كيف يريد ان نصدق كلامه . وكيف امكن وجود أشخاص تربطهم بالنبي الكريم صلات العصبية حتى بعد الاسلام . اذا كنا ننكر كل ذلك لان مرجوليث قالها إذن فعلى العقول السلام .

ثم فليفسر لنا مرجوليث كيف مكنته نفسه وكيف مكنه ضميره ان يقول هذا . وعلى أي المراجع الوثوق بها عول في بحثه فهو اما لا يعرف شيئا مطلقا واما يريد التشهير والتشنيع ! وهذا مالا يشرف الباحثين .

ثم فليجبنا .. أليست الانساب والنسابون جزءا من صميم التاريخ والادب العربي أم هي ضروب من خطب المنابر ؟!

واذا كانت ضروبا من خطب المنابر فكيف حفظ التاريخ انساب قوم لم يكن لهم مرتبته عليه السلام من الوجهة الاجتماعية والاثر الخالد

وكيف امكن معرفة نسب والدته وزوجه خديجه ؟ ثم كيف امكن تنسيب شعراء مشهورين مثل امرىء القيس وغيره . ؟

أما القول في مسألة اعجاز اسلوب القرآن بانها مسألة ذوق فاني أرى ان مرجوليث - كما يستدل من اسلوب خطابه - ذو اسلوب ملتو ركيك يجعله آخر شخص يؤخذ برأيه في مسألة الذوق الكتابي بعد ان تحدى القرآن نفسه الناس كلهم بل الانس والجن مجتمعين ان يأتوا بسورة من مثله فما استطاعوا . فلم يبق في نظر صاحبنا مرجوليث الا نقد الاسلوب بميزان الاذواق التي تختلف دقة ورقة

ونحن معه على ان يكون الشرط الاساسي ان تكون هذه الاذواق سليمة تتفهم روح العربية . والمستشرقون هم ابعد الناس عن تفهم تلك الروح ولهذا فانهم ينشرون مؤلفاتهم باللغات الاجنبية . وان كانت بعض مقدمات الكتب التي طبعوها قد كتبت باللغة العربية إلا ان الحكم على أساليبهم قد لا يرضيهم من الادب الكتابى الفني

واذا كان مرجوليث حصر اعجاز القرآن فى الاسلوب والاخبار بالغيب فقد فاته ان ضروب الاعجاز في القرآن كثيرة ومنوعة . وليس من موضوعنا شرحها .

على اننا نسائل أستاذ الادب الاكبر ! ما قوله دام فضله في انواع الاعجاز العلمى التى اثبت العلم الحديث مدى صدقها ونذكر منها على سبيل المثال (وجعلنا الرياح لواقح) و (خلق الانسان من علق)

أي دور الحيوانات المنوية - و (وقد خلقكم اطوارا) وهي تتمشى مع العلم جنبا الى جنب ؟

فهل كشف العلم عن اعجاز هذه الآيات إلا حديثا ؟ وهل كان الميكروسكوب « المجهر » وعلم تكوين الاجنة معروفا من قبل عند نزول القرآن الكريم ؟؟

ولا يفوتنا ان نتكلم عن النقد فالنقد هو اسهل شيء في العالم . وبابه أوسع

الابواب — فقد ينتقد شخص ما الخلقة البشرية بأن عيني الانسان في وجهه وليس له مثلهما في قفاه لينظر من خلف كما ينظر من الامام ؟؟

وقد ينتقد البهلوان طريقة السير على الاقدام ويستحسن ان يمشي الانسان على يديه رافعا قدميه في الهواء . كل هذه أنواع من النقد قد يراها أهلها صحيحة ولكن الذوق السليم والعقل السليم بصفة خاصة يأبيانها على ناقد .

وهذا هو النقد الذي يوجه الى تجاهل نسب النبي العظيم واسلوب القرآن لايقصد به إلا مجرد تشهير وتشنيع

وكيف يفسر قوله تعالى (اقرأ وربك الاكرم) بانها اعتراف من النبي الكريم بمعرفة القراءة وهل هذا يدل على انه يفهم روح القرآن ؟

وقد اطيل البحث اذا استقصيت آراء مرجوليث في مصادر القرآن التي يقول بها ويقول بها معه المستشرقون الذين ينحون نحوه فقد أدعوا ان النبي عليه السلام قد درس كل الفلسفة اليونانية ثم حفظ التاريخ الفارسي ثم عرف كل الاديان الهندية القديمة كما اطلع علي كل حكم الصين واخرج من كل هؤلاء كتابا سماه القرآن .

ومعنى ذلك ان الدراسات التي استنفدت القرون الاولى حتى القرن العشرين وتخصص لها العلماء الذين عكفوا على دراسة لغتها المتعددة والجولان بين آثارها البالية كل هذا قد تعلمه محمد عليه السلام في سياحته للشام

فاذا رجعت الى التاريخ وجدت ان هذه السياحة لم تكن إلا ثلاثة أشهر كما تقدم

فهل في هذا منطق يناقش ؟ وهل هذا اسلوب المنابر أم في صميم الادب العربي والتاريخ ؟

ولما نشرت المعرفة هذه المقالة للرد على مرجوليث . قطع اشتراكه من المجلة ولم يعد يراسل صاحبها وكان هذا هو الجواب . فتأمل !!

الفصل الثامن

حكاية فنسنك والمجمع اللغوي الملكي

سنوك هرجورونيه(١) هو رئيس أكاديمية هولاندا ومكث سبعة عشر عاما في جاوه مستشارا للحكومة في الشؤون الاسلامية: وقيل لنا أنه اتقن العربية وأدعى الاسلام وسافر إلى مكة ومكث فيها خمسة اشهر . وكان يأتم به المسلمون في صلاتهم. وفنسنك تلميذه . وساعده الايمن الآن في هولاندا . وفنسنك رئيس تحرير دائرة المعارف الاسلامية التي ملؤها الطعن الجارح في الاسلام والحشو بأقذر السباب . يحررها جماعة المستشرقين ومنهم مبشرون وقسس وخصوصا الاب لامانس . وتصور قسيسا مبشرا يكتب عن حياة سيدنا محمد أو عن القرآن أو التاريخ الاسلامى . وأى روح تملي عليه وأى مبلغ من المال يأخذ أجراً ؟!

ونحن نعرف الشيء الكثير عن المبشرين وطرقهم وأساليبهم وطالما تمنيت هذا اليوم الذي أقابل فيه سنوك هذا و فنسنك لاقول لهم رأيي فيهم في صراحة وجرأة وليس الاسلام بخاف عن أحد . وليس القرآن بغريب في العالم وليست العقول التى تفهم بمعدومة .

ان عصابة فنسنك في تحرير دائرة المعارف الاسلامية تكتب على أسلوب القرون المتوسطة . وتفرض على الناس فرضا أن تعلمهم كل شيء ضد الاسلام . وأن تشعوذ في التاريخ وتخترع أساليب التهريج كما شرحناه لك في الفصول المتقدمة من هذا الكتاب

واسم فنسنك دائما يتردد على لساني وأعتقد أن هذا الرجل قضى الشطر الاكبر من عمره يعمل على السخرية من الاسلام . ولم يفضح عمله أنسان ولم

---

(١) ولد في ٨ فبراير سنة ١٨٥٧ وتوفي في ٤ يوليو سنة ١٩٣٦

ينتقد سنوك هرجرونيه . ولطائفة المستشرقين تلاميذ تعلموا في أوروبا وسرقوا مطاعنهم في الاسلام وروجوها باللغة العربية في أثواب مباحث علمية فكان مقتي لهذه الفئة أشد من مقتي للخواجة فنسنك .

وصدر المرسوم الملكي ووجدت فيه اسم فنسنك ، فنشرت في اهرام ١١ من اكتوبر سنة ١٩٣٣ المقال الآتي :

لما اشتدت وطأة المبشرين في الاغواء ، والتضليل ، وغزو عقل المسلمين بمختلف الطرق عكفنا على دراسة شيء غير قليل من طرقهم ومؤلفاتهم وخرجنا بنتيجة رسخت في عقيدتنا رسوخا قويا ، هي ان المستشرقين هم طلائع المبشرين وانهم هم الذين يمهدون السبيل لتشكيك المسلمين في عقائدهم ، وانهم هم الذين يمهدون للمبشرين سبيل الطعن في الاسلام وفي نبيه الكريم وانهم هم الذين يزودونهم بانواع شتى من الشعوذة العلمية باسم الاستنتاج التحليلي ، والنقد الفني وحرية الفكر ، والمباحث العلمية الحرة

وخرجنا من كل مباحثنا هذه الى ان المستشرقين يتعمدون عند البحث في كل ما يختص بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ان يلغموا استنتاجاتهم العلمية بآرائهم الشخصية على ما فيها من خطأ وما فيها من غرض بما تمليه عليهم روح الاستعمار ومقاومة الاسلام في شخصية سيدنا محمد ﷺ أو في القرآن نفسه

وقد قسمنا المستشرقين ثلاث فرق ، قسم يختص بمباحث القرآن ، وقسم يختص بمباحث سيدنا محمد ، وقسم يختص بالتاريخ العربي الاسلامي

على ان من واجبنا ان ندرس كل مستشرق من جميع نواحيه وندرس كل مؤلفاته خصوصا اذا كان ممن يبحثون في القرآن أو حياة سيدنا محمد لان الخطأ اللفظي في كلمة عربية قد يجر الى البحث في العقائد الاسلامية وقد يكون له أثر شديد في الاسلام نفسه

ولقد فكرنا هذا التفكير عندما أردنا أن نباحث أحد المستشرقين أو اشباه المستشرقين ورأيناه يقلب قواعد اللغة العربية رأسا على عقب لكى يدخل شكا في الاسلام واليك مثلا من ذلك

كان أحدهم يدعي أن الاسماء لابد أن يكون لها معنى . فقلنا له أن الاسم ما دل على مسمى وليس من الضروري أن يكون له معنى يشتق منه . أو أصل معروف ، والمسألة بسيطة . هكذا تعلمنا في المدارس الابتدائية وهكذا تراها في القاموس فأصر على رأيه . ولكنه أعطانا مثلا غريبا هو أصل كلمة (حراء) وهو اسم الغار الذي تعبد فيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقلنا لم يرد في اللغة العربية ما يجعلني أعرف مصدره أو معناه فقال ان (حراء أصلها (هيرا) وهولاتينى ومعناه المقدس قلت انني أعرف ما تريد أن تستنتج . ان هيرا وهو الجبل المقدس هو اسم أطلقه الرومان على هذا الجبل الذي تعبدوا فيه فأنت تجعله في مكان (جبل الاوليمبيا) في اليونان ، ويتأتى من هذا الاستنتاج أن محمداً عليه السلام اتبع الاديان الاخرى فاعطنى الدليل المساوي على استنتاجك لانك تتكلم بلسان تحركه عواطف ضد الاسلام . فسكت

والحق أن عقلية هؤلاء المستشرقين وأشباههم مدهشة فأي لفظة عربية لها مشابه في اللغات الاخرى قالوا ان العربية استعارتها واذن فما قولهم فى لفظة « نبل ونبيل » التى توجد في كثير من اللغات والعربية أيضا بنفس المعنى

نقول هذا مقدمة للبحث الذى سنكتبه عن فنسنك وهو الاسم الذي ورد في ضمن أعضاء المجمع اللغوي . وسنناقش رأيه الحساب لان استنتاجاته ستؤخذ علينا وقد أصبح عضوا رسميا علينا أن نحترم رأيه

قالت دائرة المعارف الاسلامية تحت لفظة ابراهيم :

كان اسبرنجر أول من لاحظ أن شخصية ابراهيم كما وردت في القرآن

مرت بعده أطوار قبل أن تصبح في نهاية الامر مؤسسة الكعبة

وجاء سنوك هرجرونيه بعد ذلك بزمن فتوسع في بسط هذه الدعوى فقال ان ابراهيم في أقدم ما نزل من الوحي (في الذاريات آية ٢٤ وما بعدها ، الحجر آية ٥ وما بعدها ، الصافات آية ٨١ وما بعدها ، الانعام آية ٧٤ وما بعدها ، هود آية ٧٢ وما بعدها ، مريم آية ٤٢ وما بعدها ، الانبياء آية ٥٢ وما بعدها ، العنكبوت آية ١٥ وما بعدها) هو رسول من الله أنذر قومه كما تنذر الرسل ولم تذكر لاسماعيل صلة به . والى جانب هذا يشار الى ان الله لم يرسل من قبل الى العرب نذيرا (السجدة آية ٢ ، سبأ آية ٤٣ ، يس آية ٥) ولم يذكر قط أن ابراهيم هو واضع البيت ولا انه أول المسلمين

أما السور المدنية فالامر فيها على غير ذلك . فابراهيم يدعى حنيفا مسلما . وهو واضع ملة ابراهيم رفع مع اسماعيل قواعد البيت المحرم . البقرة آية ١١٨ وما بعدها ، آل عمران آية ٦٠ الخ)

وسر هذا الاختلاف أن محمداً كان قد اعتمد على اليهود في مكة فما لبثوا ان اتخذوا حياله خطة عداء فلم يكن بد من أن يلتمس غيرهم ناصرا . هنالك هداه ذكاء مسدد الى شأن جديد لابى العرب ابراهيم ، وبذلك استطاع أن يخلص من يهودية عصره ليتصل بيهودية ابراهيم ، تلك اليهودية التي كانت ممهدة للاسلام . ولما أخذت مكة تشغل جل تفكير الرسول أصبح ابراهيم أيضا المشيد لبيت هذه المدينة المقدس »

والذي يكون خالي الذهن عن المستشرقين واعمالهم يظن لاول وهلة أن هذا بحث جليل مستفيض استقصى اصحابه سبرنجر وسنوك وفنسنك كل آيات القرآن واستخرجوا منها مواضع الضعف ، ويخيل الى الناظر في هذا الموضوع ان الاسلام قد زعزعت اركانه وانهم اكتشفوا اكتشافا من

الخطورة ، كان حين يدعون أن محمدا عليه السلام أراد استغلال اليهود ثم اخفق ثم هداه ذكاؤه المسدد لشأن جديد لا في العرب

اما اليهود فقد سبق ان شرحنا مركزهم في الكلام عن الوسط والبيئة التي سبقت الاسلام ، وأما هذه القائمة الكبيرة من الايات التي تخدع الناظر اليها فهي في نظرنا دليل على الضعف المطلق وهم بهذا أشبه بما يفعل الممثلون ، اذا وجدوا الرواية ضعيفة جملوا المناظر أخاذة ، وأكثروا من أشخاص الرواية ودفعوا بين الجماهير قوما مأجورين للتصفيق

كل هذا فكرنا فيه قبل أن نتقدم لنقد هذا البحث لاننا نعرف طريقة المستشرقين الملتوية وشموذتهم العلمية

وما علينا الا أن نراجع السور المكية جميعها والسور المدنية جميعها ونوازن بينها لنعرف اذا كانت السور المدنية هي وحدها التي انفردت بذكر نسب سيدنا محمد الى سيدنا ابراهيم بأبي البيت العتيق أولا ؟ وفيما اذا كانت الحقائق التاريخية التي في متناول يدنا تتفق مع استنباط فنسنك أم لا . وما غرضه في التعريض بسيدنا محمد الى هذه الدرجة ؟؟

علينا اذن أن نراجع كل ذلك لنتمشى معه في بحثه فان كان ما قاله حقيقيا كان لنا أن نبحث فى استنباطه أيضا وعن السبب في عدم ذكر تلك الصلة في السور المكية اذ ربما كانت من المعترف بها ولا توجد مناسبة لتوكيدها في القرآن . أما اذا كان ما نقل من الآيات خطأ كان الرجل قد عثر من أول الطريق فلنتركه في تلك الحفرة التي وقع فيها ولننظر اليه كيف يجاهد في الخروج منها

ونحن لا يخامرنا شك في أن هذا الدين متين وان فنسنك وسبرنجر وسنوك أقل علما بفهم روح القرآن فضلا عن نقده

اذن فلنسر في البحث على بركة الله

قال فنسنك : - انه لم تذكر في السور المكية صلة سيدنا اسماعيل بسيدنا ابراهيم . فهل هذا حقيق ؟ وذكر لنا سورة الانعام بالنص فهل هذا حقيقي ؟ لقد ذكر لآية الرابعة والسبعين بالنص أيضا فانظر الى الآية الخامسة والثمانين حيث ذكر اسماعيل صراحة « واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين » نعم ان أسماء الانبياء وردت جملة ولكن لكل واحد منهم نسبه المعروف . والمسألة الجديرة بالنظر هي لماذا حذف فنسنك رقم هذه الآية من ثلاث القائمة الطويلة التي استقصاها مع انها في نفس السورة التي ذكرها ؟ الجواب سهل وهو انها تهدم نظريته من أساسها . ولان هذه الآية نسبت هؤلاء الانبياء الى ابراهيم ثم الى نوح

ثم انظر الى سورة ابراهيم وهي مكية الآيتي ٢٨ و٢٩ وانظر الى الآية ٣٤ وما بعدها حيث يقول ابراهيم :

« ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم - الى قوله تعالى - الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل »

اذن فقد ورد في السور المكية التي اعتمد عليها فنسنك أن اسماعيل هو ابن ابراهيم وان ابراهيم دعا ربه عند بيت الله المحرم وقد ذكر هذا البيت في السور المكية التي أنكر وجودها فنسنك

نحن لا ندهش من اكتشاف الحقيقة فما كنا نشك فيها ولكننا ندهش أن قوما ينتسبون للعلم ويخدعون الناس جهلا أو تجاهلا

المسألة الثانية :

هل ورد في الآيات التي ذكرها فنسنك أن الاسلام دين قديم يمت الى ملة ابراهيم ؟ واذا كانت هذه الحقيقة قد وردت فلماذا لم يذكرها فنسنك ؟

ارجع الى نفس السور التي ذكرها فنسنك ففي الذاريات في الآية ٢٣ وما بعدها تجد حديث ضيف ابراهيم المكرمين يبشرونه بابنه ويقصون عليه قصة

لوط ومدينته وفي الآية ٣٤ يقول « فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين »

اذن ففي هذه الآية اعتراف صريح أن الاسلام دين قديم . هو ملة ابراهيم حيث يحدثه ضيفه عن بيت المسلمين :

اذن فدعوى فنسنك كلها خطأ . واستنتاجه كله خطأ

المسألة الثالثة :

يقول فنسنك أن آيات السجدة وسبأ ويس تشير الى أن الله لم يرسل من قبل للعرب نذيرا . ولم يذكر قط أن ابراهيم هو واضع البيت ولا انه أول المسلمين :

يريد فنسنك أن يقول بعبارة أخرى أن التاريخ المأخوذ من الاناجيل هو الحقيقة . وان ابراهيم لم يذهب الى مكة . وان هذه الدعوى لم تذكر في القرآن الا بعد الهجرة الى المدينة

وسياق هذه السورة من الآية ٣٤ وما بعدها :

« واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الاصنام ، رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني . ومن عصاني فانك غفور رحيم ، ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم . وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »

هذا يدل دلالة واضحة على أن ابراهيم كان أول من أسس هذا المكان المنعزل السحيق في واد غير ذي زرع لا تهوي اليه أفئدة الناس . ولا رزق فيه فدعا ربه : فاستجاب له

على انه يؤخذ من ذلك أيضا أن هذا كان أول عهد هذا المكان بالانبياء

وبتأسيس البيت ولم يذهب ابراهيم ليقيم دينا جديدا بين الناس في بلد أهل وهذا يستقيم مع معنى آية ٤٣ من سبأ في قوله تعالى « وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير »

يكفي أن نذكر لفنسنك انه لم يذكر الحقائق ولم يستقص مبحثه . وانه يستنبط قبل أن يبحث

أما الغرض من ذلك . فواضح لان الاستشراق مهنة ضد الشرق . وضد الاسلام



تاريخ هذا العدد

وضع تاريخ العدد الثالث نفسه على هذا العدد وصحة التاريخ انه : ٩ صفر سنة ١٣٥٥ — ٣٠ ابريل سنة ١٩٣٦

فرصة لمشتركي المنار

رأينا ان نخفض لمشتركي المنار قيمة الاشتراك اذا سددوا اشتراك المجلد الخامس والثلاثين وذلك لنهاية رجب القادم فجعلناه خمسين قرشا للمشتركين في خارج القطر المصري وثلاثين للمشتركين في مصر فعلى الذين يحبون المنار ان يعملوا بالسداد انتهازا للفرصة ومساعدة لنا اذا أرادوا حياة المنار ولهم الشكر سلفا

الفصل التاسع

حكاية فنسنك «١»

﴿ المقال الثاني ﴾

اذا قلبت أي كتاب اجتماعي أو عمراني باللغات الغربية يتكلم عن مصر أو الشرق أو الاسلام وجدت أشياء كثيرة لا يقرها عقل ولا يستسيغها منطق وليست من الحقيقة في شيء

ويوجه نظرك بصفة خاصة ما يوصف به الاسلام من الصفات التي لا تنبو عن قواعد الذوق السليم والحقيقة فحسب . بل ان الكتاب الاوروبيين يصورون الاسلام بصورة بشعة قبيحة لا تكاد تقرؤها حتى يقشعر بدنك من هول ما تقرأ

فاذا كنت شرقيا صميما أولت ما يكتب في تلك الكتب الاجتماعية بانه جهل من المؤلفين بأحوال الشرق وعاداته . واذا كنت مسلما أسفت كثيرا أن يوصف الاسلام بصورة بشعة بعيدة عن الواقع وأسفت على أن الاوروبيين لا يعرفون شيئا عن حقيقة الشرق بصفة عامة وعن الاسلام بصفة خاصة فليس حقيقا ما ذكره مارشال في كتابه « الزواج » أن الام في مصر لا يباح لها أن ترى وجه ابنتها بعد سن الرابعة عشرة من أثر الحجاب فى الاسلام

وليس صحيحا ما جاء فى هذا الكتاب أيضا من أن الفتاة الريفية المصرية يباح لها أن تعري جسمها كله أمام الرجال أما وجهها فلا يراه انسان

«١» ملخص مقال ٣٠ اكتوبر فى الاهرام وأول يناير سنة ١٩٣٤ فى الهلال

وليس صحيحا ما وصف به الحجاب وما ذكره عن تعدد الزوجات . كما جاء في كتاب « نسبت عن الزواج والوراثة »

وليس صحيحا أن سيدنا محمدا كان رجلا شهوانيا محضا يشبع شهوات الشيخوخة بزواجه بالشابات « كما جاء فى هذا الكتاب »

فأول ما نلاحظه في تلك الآراء انها مجرد تشنيع خال من الحق ومن العدل ويتجلى فيها سوء النية تجليا لا يقبل تأويلا أو تعليلا . ولا يمكن الدفاع عنه

ومن محاسن الكتب الافرنجية انها تكتب المصادر التي اعتمدت عليها في ابداء رأيها وتشير الى المراجع التى استقت منها تلك المعلومات . وكنت اتتبع تلك المراجع فأجدها راجعة الى بيئة واحدة هي جماعة المستشرقين

وفي الادب الافرنجي الحي كتب قيمة جدا تبحث في التاريخ العام والخاص وتاريخ الامم والنهضات العلمية ، وهذه الكتب محترمة عند الاوروبيين فكنت أطالع فأجد فرقا كبيرا فيما تكتب من التاريخ القديم أو الحديث بلباقه ودقة علمية كوصف مصر القديمة وآثارها وسوريا وتاريخها . بل رأيت في تلك الكتب تاريخ بلدان ورسوم أماكن لا تستطيع أن تعرف موقعها على الخريطة ما لم ترجع الى معجمات مطولة ، وبين ما تكتب عن الاسلام ونبيه

فاذا تكلمت عن الاسلام والمسلمين أو عن حياة سيدنا محمد أجد تحريفا ظاهرا وكذبا واضحا . وتهريجا قبيحا

وانظر الى مرجوليوث حيث يقول : ربما كانت الطبيعة الجغرافية أو المناخ الاقليمي هو السبب في تأخر المسلمين ولكن نظرية وجود رجل واحد « أي سيدنا محمد » يكون هو وحده الرسول بين الله والناس ويكون هو وحده آخر طريق لهذه النظرية هى ثاني سبب لتأخر المسلمين »

فرجوليث لا يقول هذا لانهاض المسلمين ولكنه يقول هذا تشنيعا وهو

الذى لم يترك نقيصة إلا ألصقها بالاسلام من غير سبب وها هو ذا كما ترى يتخيل نفسه على الاقل موزونا أو معقولا فيتكلم عن الاسلام . ولكي تفهم مقدار تحصيل مرجوليث هذا للغة العربية نأتي لك بالمثل الآتى الذي ساقه صديقنا الدكتور زكى مبارك

فقد تعرض مرجوليث لشرح هذه الابيات

يقول لي الواشون : كيف تحبها؟ فقلت لهم: بين المقصر والغالي

ولولا حذارى منهم لصدقتهم وقلت هوى لم يهوه قط أمثالي

وكم من شفيق قال مالك واجما فقلت: أبي مالي وتسألي مالي

والشطرة الاخيرة من هذه الابيات فيها خطأ كتابي فقط وصحته (فقلت ترى ما بي وتسأل عن حالي) ولكن مرجوليث العالم الضليع الذى ينتقد القرآن وأسلوبه ويتعرض للنبي صلى الله عليه وسلم ويحقق تاريخ آبائه فيقول :انه ابن عبد الله يعني لرجل المجهول هذا العالم العلامة والحبر الفهامة يقول إن الشطر الاخير صحته:

(فقلت أنا مالي وان تسألي مالي)

وليس هذا التصحيح هو المضحك وحده وان كان اشنع من الغلط الاول ولكن المضحك حقاً أن يكون المصحح أستاذ لغة عربية ويتعرض لاسلوب القرآن أو يدعي نقده!!

ولسنا في مقام الرد علي أسباب وعوامل تأخر الامم الاسلامية فلأي المستشرقين أنفسهم الاسباب

***

والظاهر أن المستشرقين جمعية دولية حتى إذا ألف مستشرق كتابا أو كتيبا ظهر في ثلاث لغات حية دفعة واحدة في فرنسا وانجلترا وألمانيا مع أن طبع هذه الكتب قد يستنفد كل ثروة المستشرق في الطبع والمدهش انك ترى في

مقدمة كل كتاب مستشرق قائمة بأسماء الذين عاونوه وساعدوه في البلدان الاخرى

واني لاعلم أن المستشرقين تنقصهم في مباحثهم عن الاسلام الروح العلمية وأن لهم في الاستقصاء طريقة لا تشرف العلم . وهي أنهم يفرضون فرضا ثم يتلمسون الدليل عليه فاذا وجدوا في القرآن ما يهدم نظريتهم تجاهلوه والتمسوا الآيات التي تتناسب والمعني المراد ولا مانع من بترها اذا اقتضى الحال أو تحريف معناها حسب الرغبة فيخرج القاريء من كلامهم وهو يتهم الاسلام بالتلفيق كما يقولون كما سبق شرحه في كلام مرجوليث .

بمثل تلك النواحي التي ألفناها أصبحنا لا نقرأ لمستشرق شيئا إلا ونحن نحرص على تفكيرنا وان نمنى بتعرف الغرض الذي يرمي اليه قبل أن نثق بما يكتب وأن نقتفي أثره فيما يبحث وفي مستنداته لانه دائما يبتر الحقائق فيقول ان القرآن فيه آية (لا تقربوا الصلاة)

وسنعطيك مثلا آخر فيما قال فنسنك تحت كلمة كعبة في دائرة المعارف الاسلامية صفحة ٥٨٧ النسخة الانجليزية .

« نحن لا نعلم شيئا عن شعور محمد الشخصي في شبابه نحو الكعبة أو العبادات المكية ولكن المفروض انه لم يشذ عن الجماعة

« وان ما ذكر في سيرته عن هذه المسألة مدة وجوده في مكة لا يوثق من جهة القيمة التاريخية

« وان الآيات المكية لم تخبرنا شيئا عن هذه العلاقات في تلك المرحلة الهامة من حياة النبي . على انه لم يظهر حماسته في حادثة نحو الحرم المكي . وفي المرحلة الاولى بعد الهجرة كان محمد في شاغل بمسألة أخرى مختلفة عن هذه جد الاختلاف ولكن أخفقت العلاقات الطيبة المنتظرة مع اليهودية واليهود . وهناك حصل تغيير حيث أنه — بعد مضي عام ونصف عام على الهجرة ذكرت الكعبة

وذكر الحج في الوحي

« وأول مظهر من مظاهر التغيير كان وجهة القبلة . فلا يتجه المؤمنون في صلاتهم الى القدس بل الى الكعبة — (قد نرى تقلب وجهك في السماء — الآيات) ومن الوجهة الامرية فان هذا التغيير في القبلة برهانه استئناف ملة ابراهيم — وهي — أي ملة ابراهيم — اخترعت خصيصا لهذا الظرف (السورة ١٢٩ — آية — و٣ — ١٩ — كما بين سنوك هرجرونيه

« وقيل ان ملة ابراهيم هذه كان اليهود قد أخفوها ثم أظهرها محمد ومن ثم ادمجت فيها عبادات مكة »

وبعد . فقد انتهت الفقرة التي ننقلها من دائرة المعارف الاسلامية بقلم فنسنك ، فلنتعرف أغراضها ومراميها وحقيقتها

وأول ما يعترضنا عند النظر الى هذه الفقرة أن فنسنك رجل مقلد في السب والشتم والهجاء وان تقليده أعمى يقوده عكاز ضعيف من الاطلاع السطحي والظاهر انه في هذه المسألة يتبع آراء سنوك هرجرونيه ويتلمس أدلة جديدة ليضيفها الى أدلة أستاذه السخيفة

والمدهش أن هؤلاء المستشرقين يختلفون في كل شيء الا في هجاء محمد عليه الصلاة والسلام

فهذا فنسنك يقول : انه لا يعرف شيئا من شعور محمد عليه الصلاة والسلام نحو الكعبة في شبابه وبعد رسالته إلا بعد الهجرة بعام ونصف عام وان ما لديه من تاريخ حياته عليه الصلاة والسلام لا يصح أن يؤخذ أساسا تاريخيا

وزميل له في الاستشراق هو اميل درمنجام يزعم أن محمدا كان يتعبد على مبادىء اليهودية أو النصرانية

ومرجوليث يقول ما قاله مالك في الخمر

(الجزء الخامس)　　(المجلد الخامس والثلاثون)



قال عليه الصلاة والسلام «ان للاسلام صُوًى » و «مناراً » كمنار الطريق

غرة جمادى الثانية سنة ١٣٥٨ هـ　　١٨ يوليه سنة ١٩٣٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي

شيخ الجامع الأزهر

كانت مجلة المنار مرجعاً من المراجع الاسلامية العالية تحل فيها مشاكل العقائد والفقه وتبحث بالمسائل الاجتماعية الاسلامية وأخبار العالم الاسلامى وما فيه من أحداث وأمراض وعلل وكان صاحبها السيد رشيد رضا رحمه الله رجلا عالما عاملا غيورا مخلصاً للاسلام محبا لكتاب الله وسنة رسوله وآثار السلف الصالح . وقف حياته لخدمة دينه والأمم الاسلامية ، وكان شجاعا فى الحق لا يهاب أحداً ولا يجامل ولا يحابى

نشأ على هذا واستمر فيه إلى أن لقى ربه واحتجبت بعد ذلك مجلة المنار

فأحس العالم الاسلامى بفداحة الخطب وشدة وقع المصاب فانه لا يوجد فيما أعلم الآن ذلك الرجل الذى له من سعة الاطلاع وحسن التدبير وحكمة الرأى وقوة الادراك فى السياسة الشرعية الاسلامية مايضارع به المرحوم السيد رشيد

ذلك ماض جليل نودعه مع الفخر به والأسى عليه والآن فقد علمت أن الأستاذ حسن البنا يريد أن يبعث المنار ويعيده سيرته الأولى ، فسرنى هذا فان الأستاذ البنا رجل مسلم غيور على دينه يفهم الوسط الذى يعيش فيه ويعرف مواضع الداء فى جسم الأمة الاسلامية ويفقه أسرار الاسلام ، وقد اتصل بالناس اتصالا وثيقاً على اختلاف طبقاتهم وشغل نفسه بالاصلاح الدينى والاجتماعى على الطريقة التى كان يرضاها سلف هذه الأمة

(وبعد) فانى أرجو للاستاذ البنا أن يكون على سيرة السيد رشيد رضا وأن يلازمه التوفيق كما صاحب السيد رشيد رضا والله هو المعين عليه نتوكل وبه نستعين .

« روائع »

من قطعة للرافعى رحمه الله فى وصف الصحابة يفتحون مصر

إن هؤلاء المسلمين هم العقل الجديد الذى سيضع فى العالم تمييزه بين الحق والباطل وإن نبيهم أطهر من السحابة فى سمائها وأنهم جميعاً ينبعثون من حدود دينهم وفضائله لا من حدود أنفسهم وشهواتها وإذا سلوا السيف سلوه بقانون وإذا أغمدوه أغمدوه بقانون . . . ولأن تخاف المرأة على عفتها من أبيها أقرب من أن تخاف عليها من أصحاب هذا النبي فأنهم جميعاً فى واجبات القلب وواجبات العقل الضمير الاسلامى فى الرجل منهم يكون حاملا سلاحا يضرب صاحبه إذا هم بمخالفته

« افتتاح »

في الميدان من جديد

بعونك اللهم وفي رعايتك وتحت لواء دعوتك المطهرة وفي ظل شريعتك القدسية وعلى هدى نبيك الكريم العظيم سيدنا محمد ﷺ تستأنف هذه المجلة « المنار » جهادها وتظهر في الميدان من جديد

رحمة الله ورضوانه ومغفرته « للسيد محمد رشيد رضا » منشيء المنار الأول ومشرق ضوئها في الوجود ، فلقد كافح وجاهد في سبيل الدعوة إلى الاسلام والدفاع عنه وجمع كلمة المسلمين وإصلاح شئونهم الروحية والمدنية والسياسية وهي الأغراض التي وضعها أهدافاً لجهاده الطويل حتى جاءه أمر ربه بعد أن قضت المنار أربعين عاماً كانت فيها منار هداية ومنهج سداد وإرشاد

ولقد ترك السيد رشيد فراغه واسعاً فسيحاً وقضى وفي نفسه آمال جسام وشاهد قبل وفاته تطوراً جديداً في حياة الأمة الاسلامية فاستبشر بهذا التطور الجديد وشام منه خيراً وأمل فيه كثيراً وعزم على أن يساير هذا التطور بالمنار ودعوة المنار وأن يجعل منها في عامها الجديد (الخامس والثلاثين) لسان صدق لجماعة جديدة « بالدعوة إلى الاسلام وجمع كلمة المسلمين » تخلف جماعة الدعوة والارشاد وتقوم على الاستفادة بالظروف الجديدة التي تهيأ لها المسلمون في هذا العصر ، فقد كتب رحمه الله في هذا المعنى في فاتحة هذا المجلد ما نصه :

« سيكون المنار منذ هذا العام لسان جماعة للدعوة إلى الاسلام وجمع كلمة المسلمين أنشئت لتخلف جماعة الدعوة والارشاد في أعلى مقصديها أو قواعدا التعليم الاسلامي المدرسي منه الذي ضاق زمان هذا العاجز عن السعي له وتولى النهوض به فتركه لمن بعده التوفيق الإلهي له من الذين يفقهون دعوة القرآن وتوحيده ووحدة أهله وجماعته ، ولا يصلح له غيرهم .... ثم ذكر بعد ذلك طرفاً من تاريخ مدرسة

الدعوة والارشاد وما انتيت من عقبات ومعاكسات انتهت بالقضاء على فكرتها الجليلة ثم قال بعد ذلك ... وجملة القول إنى على هذه التجارب وما هو أوجع منها وألدغ من أمر مشتركى المنار وعلى ما أقر به من عجزى عن النهوض بالأعمال المالية الخاصة والعامة بالأولى وعلى دخولى فى سن الشيخوخة وضعفها لم أزدد إلا ثقة ورجاء بنجاح سعيى لأهم أصول الاصلاح الاسلامى وتجديد أمر الدين بما يظهره على الدين كله حتى تعم هدايته وحضارته جميع الأمم .. ولم أيأس من قيام طائفة من المسلمين بذلك تصديقاً لبشارة رسول الله ﷺ بأنه «لا يزال فى أمته طائفة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة» رواه الشيخان فى الصحيحين وغيرهما بألفاظ من عدة طرق . وهذه الطائفة كانت فى القرون الأخيرة قليلة متفرقة , إنى منذ سنتين أكتب عناوين خيار الرجال المتفرقين فى الأقطار الذين أرجو أن يكونوا من أفرادها على اختلاف ألقابهم وصفاتهم وأعمالهم لمخاطبتهم فى الدعوة إلى العمل وأرجو من كل من يرى من نفسه ارتياحا إلى التعاون معهم على هذا التجديد والجهاد أن يكتب إلينا عنوانه وما هو مستعد له من العمل معهم إلى أن تنشر دعوتهم الرسمية - وأهم ما يرجى من الخير لأمة محمد ﷺ فى هذا العصر الذى تقارب فيه البشر بعضهم من بعض فهو فى تعارف هذه الطائفة القوامة على أمر الله وتعاونها على نشر الدعوة وجمع كلمة الأمة بعد وضع النظام لمركز الوحدة الذى يرجى أن تثق به فهى لا ينقصها إلا هذا وقد طال تفكيرى فيه وقضى أن أبشرها قريبا بما يسرها منه - وأعجل بحمد الله تعالى أن تجدد لى على رأس هذه السنة ما كان لى ولشيخنا الأستاذ الامام (قدس الله روحه) من الرجاء فى مركز الأزهر . وهو الذى يعبر عنه فى عرف عصرنا بشخصيته المعنوية وهذا الرجاء الذى تجدد بتوسيد أمره إلى الشيخ محمد مصطفى المراغى عظيم .. كان الأزهر كنزاً خفيا أو جوهراً مجهولا عند أهله وحكومته وعقلاء بلده لم يفطن أحد قبل الأستاذ الامام لامكان إصلاح العالم الاسلامى كله به والاستيلاء على زعامة الشعوب الاسلامية فى الدين والأدب

والفقه باصلاح التعليم العام فيه ولكن تعليم الاستاذ الامام رحمه الله وأفكاره هما اللذان أحدثا هذا الرجاء فى طائفة من شيوخه والاستعداد فى جمهور طلابه ولم يبق إلا الجد ولله الحمد ، انتهى

هكذا قضى السيد محمد رشيد حياته وفى نفسه هذه الآمال الجسام :

أن يكون المنار بعد سنته هذه لسان حال جماعة للدعوة إلى الاسلام وأن تتألف هذه الجماعة من ذوى العقل والدين والمكانة فى الشعوب الاسلامية وأن يشد الأزهر أزر هذه الجماعة وتشد أزره فيكون من تعاونهما الخير كله

ولقد كان السيد رحمه الله صادق العزم مخلص النية فى آماله هذه فاستجابها الله له وشاءت قدرته وتوفيقه أن تقوم على المنار « جماعة الاخوان المسلمين » وأن يصدره ويحرره نخبة من أعضائها وأن ينطق بلسانها ويحمل للناس دعوتها

يا سبحان الله . إن جماعة الاخوان المسلمين هى الجماعة التى كان يتمناها السيد رشيد رحمه الله ولقد كان يعرفها منذ نشأتها ولقد كان يثنى عليها فى مجالسه الخاصة ويرجو منها خيرا كثيرا ولقد كان يهدى إليها مؤلفاته فيكتب عليها بخطه « من المؤلف الى جماعة الاخوان المسلمين النافعة » ولكنه ما كان يعلم أن الله قد ادخر لهذه الجماعة أن تحمل عبئه وأن تتم ما بدأ به وأن تتحقق فيها أمنية من أمانيه الاصلاحية وأمل من آماله الاسلامية لقد تمنى السيد رشيد رضا فى الجماعة التى اشترطها أن تقوم بأعلى مقصدى جماعة الدعوة والارشاد أى ماعدا التعليم المدرسى ثم رجا أن توفق الجماعة الجديدة لهذا أيضا وستحقق جماعة الاخوان المسلمين هذا الرجاء بتوفيق الله فان إصلاح التعليم المدرسى الرسمى من أخص مقاصدها وإن أثرها فى طلاب الجامعة المصرية والمدارس المدنية من ثانوية وخصوصية لعظيم وسنواصل الجهد حتى نصل إلى الغاية إن شاء الله ويصبح التعليم كله مركزا على أصول سليمة مستمدة من روح الاسلام وسماحة الاسلام وتعاليم الاسلام وحضارته ومجده والله المستعان . ولقد أدرك الاخوان المسلمون منذ نشأت دعوتهم أهمية التواصل بين عقلاء المسلمين فأخذوا

يعملون لهذا وأصبح لهم بحمد الله عدد عظيم فى كل قطر يعطف على فكرتهم ويؤيد دعوتهم ولقد اقترح علينا أخونا المفضال السيد أنيس أفندى الشيخ من وجهاء بيروت أن نعمل ما عمله السيد رشيد فنجمع عناوين ذوى المكانة من عقلاء العالم الاسلامى ونتصل بهم ونكتب فى جرائدنا عنهم حتى يتعرف بعضهم إلى بعض والآن ننتهز هذه الفرصة فنوجه الرجاء الذى وجهه صاحب المنار من قبل إلى كل من يأنس من نفسه الغيرة على الاصلاح الاسلامى والاستعداد للعمل له من رجالات المسلمين أن يكتب الينا عن الناحية التى يؤمل أن يعمل فيها ويحبذ لو تكرم فأضاف إلى ذلك إرسال صورته الشخصية وستفرد لنشر هذه العنوانات والصور صحيفة خاصة بالمنار نسميها (صحيفة التعارف) بين أنصار الدعوة إلى الاسلام حتى إذا تكامل جمع يعتمد عليه فكرنا فى الطريقة المثلى لتبادل الآراء والأفكار .

ولقد أدرك الاخوان كذلك منذ نشأت دعوتهم ما للأزهر من شخصية معنوية وأنه أعظم القوى أثرا فى الاصلاح الاسلامى لو توجه إليه فاعتبروا أنفسهم جنوداً له فى مهمته وتوثقت الروابط القوية بينهم وبين شيوخه وطلابه وكان من هؤلاء الفضلاء ما بين علماء وطلبة طائفة كريمة لها أبلغ الأثر فى نشر دعوة الاخوان وخدمة فكرتهم التى هى فى الحقيقة أمل كل مسلم غيور وواجب كل مؤمن عاقل .

وإننا لنرجو أن نكون أسعد حظا من صاحب المنار رحمه الله فى حسن معاملة المشتركين فيها فإن مال الدعوة مهما كثر قليل بالنسبة لنواحى نشاطها وتشعب أعمالها فليقدروا هذه الحقيقة وسيجدون ما ينفقون فى هذه السبيل عند الله هو خيرا وأعظم أجرا

ستعود المنار ان شاء الله إلى الميدان تناصر الحق فى كل مكان وتقارع الباطل بالحجة والبرهان وشعارها الدعوة إلى الاسلام والدفاع عنه وجمع كلمة المسلمين والعمل للاصلاح الاسلامى فى كل نواحيه الروحية والفكرية والسياسية والمدنية . ولقد كان للمنار خصوم وأصدقاء شأن كل دعوة إصلاحية فأما

أنصارها فنرجو أن يجدوا فى مسلكها الجديد ما يعزز صداقتهم لها وصلتهم بها وأما خصومها فإن كانت خصومتهم للحق بالحق فإننا على استعداد تام للتفاهم معهم على أساس كتاب الله وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم والعمل لخدمة هذه الحنيفية السمحة

لم يكن الشيخ رشيد رحمه الله معصوماً لا يجوز عليه الخطأ فهو بشر يخطىء ويصيب ولسنا ندعى لأنفسنا العصمة فنحن كذلك وما من أحد إلا ويؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم ولا نريد أن نعرف الحق بالرجال ولكننا نريد أن نعرف الرجال بالحق ومتى كان ذلك رأينا جميعا ومتى كان شعارنا أن نرد التنازع الى الله ورسوله كما أمرنا فقد اهتدينا ووصلنا إلى الحقيقة متحابين وانقضت الخصومة وولى الباطل منهزما زهوقا

على هذه القواعد ندعو الأمة والهيئات الاسلامية جميعا إلى التعاون معنا سائلين الله تبارك وتعالى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه والله حسبنا ونعم الوكيل —

حسن البنا

روائع

« إن هذا الدين سيندفع بأخلاقه فى العالم اندفاع العصارة الحية فى الشجرة الجرداء . طبيعة تعمل فى طبيعة . فليس يمضى غير بعيد حتى تخضر الدنيا وترمى ظلالها . وهو بذلك فوق السياسات التى تشبه فى عملها الظاهر الملفق ما يعد كطلاء الشجرة الميتة الجرداء بلون أخضر . . . شتان بين عمل وعمل وإن كان لون يشبه لوناً »

الرافعى فى وحى القلم

« لا تكون خدمة الانسانية إلا بذات عالية لا تبالى غير سموها — الأمة التى تبذل كل شىء وتستمسك بالحياة جبنا وحرصا لا تأخذ شيئا ، والتى تبذل أرواحها فقط تأخذ كل شىء »

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

بهذه الأوصاف قدم السيد محمد رشيد رضا رحمه الله تفسير المنار للناس كما كان يقدمه بأنه التفسير الذي فسر به القرآن من حيث هو هداية عامة للبشر ورحمة للعالمين جامع لأصول العمران وسنن الاجتماع وموافق لمصلحة الناس في كل زمان ومكان بانطباق عقائده على العقل وآدابه على الفطرة وأحكامه على درء المفاسد وحفظ المصالح

ولقد بدأ هذا التفسير حكيم الاسلام الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده على هيئة دروس يلقيها في الأزهر على نخبة من خيرة الطلاب وكان تلميذه السيد رشيد يلخص مايسمع من هذه الدروس وينشر هذه الملخصات تباعا في المنار ثم استقل بعد ذلك بالتفسير مسترشداً بطريقة أستاذه مجتهداً أن يكون تفسيره للقرآن الكريم محققاً لهذه الأوصاف التي صدره بها حتى وصل إلى قوله تعالى (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) فكانت آخر آية كتب فيها ثم أدركته الوفاة

ولقد أتم الأستاذ السلفي المحقق الشيخ بهجة البيطار في الجزأين اللذين صدرا بعد وفاة صاحب المنار بقية سورة يوسف وتوقفت المجلة عن الصدور حتى تعرضت للنهوض بهذا العبء جماعة الاخوان المسلمين وانتدبني أعضاء مكتب الارشاد العام لكتابة التفسير مع رياسة التحرير فلم أر بداً من النزول على حكمهم والامتثال لرأيهم احتراما للجماعة وإيثاراً للطاعة رغم المشاغل الكثيرة والأعمال المتراكمة

سأكتب التفسير فى المنار مستمدا من الله تعالى الحول والقوة

وسأحاول أن يكون فى هذه الحدود المرسومة - سلفيا - يتجه القصد فيه أول ما يتجه إلى استجلاء روح القرآن واستطلاع مقاصده فى بعد عن المماحكة اللفظية و المجادلة الشكلية الصناعية ، كما كان يفهم السلف رضوان الله عليهم كتاب الله — أثريا — يستمد من هذه الثروة المباركة التى تركها لنا الرواة الصادقون عن رسول الله ﷺ وعن صحابته الأكرمين ومن تبعهم باحسان — مدنيا يربط قواعد الحضارة الاسلامية التى وضعها القرآن الكريم بالأصول الصالحة لهذه المدنية الحديثة ويبين فضل الأصول القرآنية على ما ابتدع الناس لأنفسهم من أصول جرت عليهم الشقاء والوبال . فليست مدنية هذا العصر شرا كلها وليست خيراً كذلك والقرآن الكريم خير كله فعلى ضوئه نتبين الصالح من نظم الاجتماع وغير الصالح - عصريا - يصل روح القرآن الخالد بروح هذا العصر ويقرب فكرة القرآن المشرقة إلى العقل العصرى فى أسلوب قريب المأخذ سريع الافادة — اجتماعيا — يعرض لمشاكل الاجتماع وأصوله النافعة ويبين حلولها وصلاحيتها كما جاءت من لدن الحكيم الخبير — سياسيا — يصور الأمة المسلمة المثالية والأمة المسلمة الحالية ويكشف عن الفرق بين الحالين ثم يشخص الداء ويصف الدواء للحاكم والمحكوم على السواء

على هذه الأصول سأكتب تفسير المنار إن شاء الله فان وفقت فمن الله وهو ولى التوفيق وإن كانت الأخرى فحسبي أن حاولت أداء الواجب واجتهدت فى تحرى الفائدة ورجائى إلى القراء الكرام أن يتكرموا ببيان ما يبدو لهم من ملاحظات حتى نتعاون جميعاً على الوصول إلى الكمال الممكن والله حسبنا ونعم الوكيل

« سـورة الرعد »

يرى بعض العلماء أن من حرمة القرآن وتوقيره ألا يقال سورة النحل

وسورة الرعد وسورة البقرة الخ ولكن يقال السورة التى يذكر فيها النحل والسورة التى يذكر فيها الرعد وهكذا . ولقد جرى على ذلك شيخ المفسرين الطبرى فعنون لهذه السورة فى تفسيره بقوله « أول السورة التى يذكر فيها الرعد » وقد رد القرطبي على من قال بهذا الرأى فقال : هذا يعارضه قوله ﷺ « الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما فى كل ليلة كفتاه » أخرجه البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود — ولعل هذا هو الأقرب إلى سماحة الاسلام وابتعاده عن التعقيد الشكلى وفى اللغة والمجاز مندوحة:

مكان النزول

قال ابن الجوزى : اختلفوا فى نزولها علي قولين: أحدهما أنها مكية رواه أبو طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة ، وروى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية إلا آيتين إحداهما قوله تعالى « ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة » والأخرى قوله تعالى « ويقول الذين كفروا لست مرسلا » والقول الثانى أنها مدنية رواه عطاء الخراسانى عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد ، وروى عن ابن عباس أنها مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة وهما قوله « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال الخ » وقال آخرون المدنى منها قوله « هو الذى يريكم البرق إلى قوله تعالى « له دعوة الحق » وقال آخرون : نزلت آية منها بالجحفة وهى قوله تعالى (وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى) الآية وتكاد الطبعات فى المصاحف تجمع على أنها مدنية نزلت بعد سورة محمد ﷺ

ويلاحظ اضطراب الروايات عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تحديد المكى والمدنى منها ولعل ذلك من اشتباه الأمر على الرواة

والذى يتفق مع القواعد العامة فى تعرف المكى والمدنى أن معظم هذه السورة الكريمة مكى فقد جعل العلماء من علامات المكى غالباً أنه يتعرض للعقائد وأدلتها من النظر فى الكون واستجلاء عجائب صنع الله فيه مع الزجر والوعيد وبيان جزاء المخالفين والمؤمنين لأن ذلك هو الموافق لحال المخاطبين

من الكفار والمشركين ، أما المدنى فغالبه : تقص فيه الأحكام التفصيلية من عبادات ومعاملات وغيرها ، وأيضاً فمن علامات المكى أن يغلب فيه الخطاب والتعبير بيأيها الناس ونحوها من ألفاظ العموم على حين أن الخطاب والتعبير يغلب فى المدنى أن يكون بيأيها الذين آمنوا ونحوها . والناظر فى مقاصد السورة الكريمة يراها بحال المكيين وموقفهم أخلق فنحن نرجح القول بمكية معظمها والله أعلم

وعدد آياتها ثلاث وأربعون عند الكوفيين وخمس وأربعون عند الشاميين والسبب فى ذلك اختلافهم فى أن الآية الأولى « المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل إليك من ربك الحق إلخ أوإن « المر » وحدها آية « وتلك آيات الكتاب » آية ثانية وما بقى بعد ذلك آية ثالثة ، فعلى الأول هى ثلاث وأربعون ، وعلى الثانى هى خمس وأربعون مع الاتفاق على جواز الوقف بل على استحسانه فى كل موضع من هذه المواضع

المقاصد العامة فى السورة

عرضت السورة الكريمة لتقرير عظمة الخالق وإثبات المعاد والرد على منكريه مع التقديم لذلك بعرض الأدلة من ظواهر هذا الكون العجيب ، والتقفية بضرب الأمثلة الرائعة لكل من الحق والباطل

ثم عرضت بعد ذلك لقسمى المؤمنين والمخالفين وأوصاف كل منهما والأخلاق التى تنبتها فى نفسه العقيدة وتنميها ، وجزاء كل من الفريقين فى الدنيا والآخرة ثم تثبيت الرسول ﷺ وارتقاب يوم الفصل الذى يعلم فيه الجاحدون لمن عقبى الدار

وتستطيع أن تجمل هذه المقاصد السامية فى أنها إثبات التوحيد والمعاد وبيان ماينتج من الايمان بهما من أخلاق فاضلة وجزاء حسن كريم والمقابلة بين ذلك وضده كما هى عادة القرآن

المناسبة بين هذه السورة الكريمة وماقبلها

وتستطيع من ذلك أن تلمس المناسبة بين هذه السورة وبين السورة التى قبلها ، ففى السورة التى قبلها أجمل يوسف عليه السلام عقيدة التوحيد فى قوله: « ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » الآيات ، وفى هذه السورة أفاض فى بيان هذه العقيدة وتدعيمها بالأمثلة الواضحة والبراهين والأدلة

وفى السورة التى قبلها تناول بالتحليل نفوس أخوة يوسف وما استولى عليها من أخلاق . إذ ذلك دفعتهم إلى ما فعلوا بأخيهم ثم ما كان بعد ذلك من توبتهم ومسامحته إياهم واستغفار أبيهم لهم ، وفى هذه بسط لأخلاق المؤمنين كالتأكيد لما ذكر هنالك والتبيين له

وفى سورة يوسف أجمل الاشارة إلى مافى الكون من روائع الآيات وإن أعرض الناس عنها ولم يكلفوا أنفسهم عناء النظر فيها فذلك قوله تعالى : « وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » — وفى هذه السورة الكريمة تناول هذا الاجمال بالتفصيل المبين ، فذكر من آيات الله فى السماء والأرض والشمس والقمر والليل والنهار والماء والنبات والرعد والبرق الخ ما يلفت الأبصار الزائغة ، ويسترعى الأفئدة الغافلة المعرضة

ولما كانت سورة يوسف قد تناولت بالبيان والتفصيل ما كان من جحود اليهود والنصارى وهم أبناء يعقوب بالنسبة لأخيهم ثم ختمت بأن فى قصص هؤلاء وغيرهم من أنبياء الله الذين قص الله من نبئهم على رسوله عبرة لأولى الألباب ، وكان ذلك مظنة اعتراض من اليهود على عادتهم فى التحريف والعناد جاءت فاتحة سورة الرعد مؤكدة لكل هذه المعانى فذلك قوله تعالى : « والذى أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون » وبذلك ينقطع عليهم سبيل الاعتراض ويتقرر المعنى فى نفس القارىء والسامع ، ولما كان ختام سورة يوسف قد عرض لحقيقة الدعوة القرآنية وسبيلها فى قوله تعالى : (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) مع بيان أن هذه

الدعوة ليست بدعا من دعوات المرسلين ، ولا مخالفة لما جاءوا به ، وكانت المناسبة تامة بين السورتين ، فقد جاء كذلك فى ختام سورة الرعد عرض لهذه الدعوة الكريمة فى قوله تعالى : « قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب » ثم ذكر بعدها طرفاً آخر من شئون المرسلين من قبل لبيان أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن فى أحواله بدعا منهم . فقال : (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) وإذا نظرنا إلى أن سورة يوسف كلها جاءت تفصيلا لما وقع من ذرية يعقوب وأبنائه عليه السلام وأينا أن ورود هذه الآية الكريمة فى سورة الرعد إجمال فى الدليل يتكىء على ذلك وسيأتى التفصيل فالمناسبة تامة ولا شك

وثم وجوه أخرى من المناسبات يطول بنا الأمر إذا أردنا أن نتقصاها ، وسيأتى بعضها خلال التفسير إن شاء الله

(المر تلكَ آياتُ الكتابِ والذى أُنزلَ إليكَ من ربكَ الحقُّ ولكنّ أكثرَ النّاسِ لايؤمنونَ)

(المر) الكلام فى فواتح السور بهذه الحروف الكريمة تقدم مسهبا ولنختار صاحب المنار فى ذلك أنها أسماء للسور ؛ وقد يعترض على هذا القول بأن ذلك يتجه لو لم يكن لهذه السور أسماء ، أما وقد سميت بعد ذلك فما الحكمة فى تعدد التسمية ؟ ، وقد أشار الحافظ ابن كثير إلى أن كل سورة تفتتح بمثل هذه الحروف ففيها الانتصار للقرآن وبيان أحقيته مما يدل على أن المقصود بها لفت النظر إلى اختصاصه بالاعجاز مع أنه مركب من جنس هذه الحروف التى تفتتح بها السور — ومن طرائفه فى ذلك أنه نقل عن بعضهم أن مجموع حروف الفواتح فى القرآن أربعة عشر حرفا يجمعها قولك « نص حكيم قاطع له سر » ولا شك أنه استئناس طريف ولكن غير مقصود طبعا

وقد قيل فى تأكيد المعنى الأول وهو أن هذه الحروف فى فواتح السور للاشارة إلى الاعجاز أنك لو أنعمت النظر فى حروف كل سورة من السور التى تفتتح

بالحروف المتقطعة لوجدت حروف الافتتاح أكثر الحروف دورانا فيها ، وعلى هذا القول نستطيع أن نفهم حكمة اختلاف هذه الفواتح فهي أحيانا الم فقط ، وأحيانا المص وأحيانا الر وأحيانا المر ، وتتضح لك بهذا حكمة زيادة الميم في فاتحة الرعد بخلاف ما قبلها وما بعدها ، ونقل عن ابن عباس أن الحكمة في زيادة الميم في هذه الفاتحة أن معنى الفواتح السابقة في الر فقط أنا الله أرى ، وأما في هذه فمعناها أنا الله أعلم وأرى بزيادة أعلم على ما نقل عن ابن عباس في أن هذه الحروف أجزاء كلمات والقول الأول أوضح وأبين

ومما يعجبني في حكمة افتتاح السور بهذه الحروف ما أشار إليه الحافظ ابن كثير أن المراد التحدي بنفس هذه الحروف وبيان ذلك . أن المعلوم لدى قريش ومن جاورها بل لدى كل من عرف النبي صلى الله عليه وسلم واتصل به أنه أمي لم يقرأ ولم يكتب فحين يفجأ الناس باستفتاح كهذا في أول تلاوته للقرآن فهو بلا شك - يسترعى التفاتهم لما يقرأ من جهة وسيحملهم على التفكير في مصدر هذا العلم الجديد الذى طلع عليهم به من جهة أخرى والتفكير سلم الهداية وأول خطوات الايمان الصحيح ، ثم نقول بعد هذا والله أعلم بمراده بذلك كما كان يقول سلفنا رضوان الله عليهم

(تلك آيات الكتاب والذى أنزل إليك من ربك الحق) إشارة إلى آيات القرآن الكريم وتأكيد لمعنى أحقيته ونزوله من عند الله تبارك وتعالى ، وأنه لا شك فيه ولا مرية — إنه تبارك وتعالى لما أشار في سورة يوسف إلى القرآن الكريم وبين أنه سيقص على نبيه فيه أحسن القصص ثم ختم السورة بأن هذه القصص القرآنية عبرة لأولى الألباب وتصديق لما بين يديها من الكتب السماوية السابقة والشرائع الالهية الماضية ، وهي بعد ذلك كله تفصيل كل شيء ينفع الناس في دينهم ودنياهم وهي كذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون بها ويصدقون — لما تقدم ذلك في فاتحة السورة وختامها أكد ذلك المعنى في فاتحة هذه السورة فقال تلك آيات الكتاب بخصائصها وروعتها وصفاتها النافعة الجليلة التي تقدمت وهي حق من عند الله لا شك فيه ولا مرية

« ولكن أكثر الناس لا يؤمنون » لما ذكر فى الآية السابقة صفات هذه الآيات وأنها عبرة وتصديق وتفصيل وهداية ورحمة ختم ذلك بأن الذى يستفيد هذه الفوائد جميعاً إنما هم المؤمنون المصدقون ، وقد ورد أنه ما جالس أحد إلى القرآن إلا زاد أو نقص ، فإن كان مؤمنا زاد إيمانا وهدى ، وإن كان غير ذلك نقص « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً »

لما ذكر ذلك قرر فى هذه الآية ناموسا اجتماعيا — وهو أن أكثر الناس لا يؤمنون ، وقد تكرر هذا المعنى كثيراً فى القرآن الكريم ، وقلما تذكر الكثرة إلا ومعها الضلالة والاعراض ، وقلما تذكر القلة إلا ومعها الهداية والنور والانتاج وتأمل ذلك فى قوله تعالى « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » « وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله » « ولا تجد أكثرهم شاكرين » « ولكن أكثر الناس لا يشكرون » « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا » إلى جانب قوله تعالى « وقليل من عبادى الشكور » « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم » « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » الخ تجد ذلك يكاد يكون مطرداً وأنت إذا طالعت مصداق ذلك فى شئون الناس وأحوال الدعوات وجدته صحيحا مطرداً ، فما من دعوة حق إلا كان أهلها قلائل بالنسبة لمن يناوئها من أهل الباطل والدهماء ، ولكنك إلى جانب هذا تجد أن الغلبة ، دائما للقلة المحقة والنصر دائماً إلى جانبها . وبذلك يتضح لك وجه الجمع بين ما سبق من وعد الله لدينه أن يظهره على الدين كله مع تقرير أن أكثر الناس لا يؤمنون الايمان الكامل الحق ، ولو مع الحرص على ذلك ، ومن ذلك تعلم أن قول ذلك العربى « وإنما العزة للكاثر » لا يتمشى إلا إذا تساوت الفئتان فى غير العدد من وسائل القوة وزادت إحداهما الكثرة ، أما إذا تميز أهل الحق من أهل الباطل فقد كتب الله الغلب للمحقين مهما كان عدد خصومهم كثيرا « وكان حقا علينا نصر المؤمنين »

والسر فى انصراف أكثر الناس عن الايمان أن الانسان تتجاذبه قوتان

تحاول كل منهما أن تتغلب عليه وأن توجهه وجهتها : قوة الخير التى يؤازرها العقل ويرشدها الوحى ويقويها العمل الصالح وقوة الشر التى تمدها الشهوات ويزينها الشيطان ويقود إليها الهوى ، وتغرى بها زخارف المادة وأعراض الحياة الدنيا ولذائذها وتزداد ضراوة بالمعاصى والمخالفات

ولما كان العقل والوحى وما إليهما من عالم النفس السامية الفاضلة ، وكانت الشهوات والأهواء والزخارف المادية من عالم هذا الحس ، وكان الانسان مادام فى حياته الدنيا فهو إلى الحس أقرب وبه ألصق ولا يقوى على مقاومة هذه هذه الدوافع إلى الشر إلا بتوفيق ربانى وإرادة قوية ومجاهدة دائمة وعزيمة صادقة وهو مايشق على أكثر النفوس. من هنا كان أكثر النوع الانسانى ماديا دنيويا إلا القليل الذى ملك عنان نفسه وقوى على التصرف فى عوالم حسه واستعان بطاعة الله على تثبيت هذا الايمان الكريم وسلوك هذا المسلك القويم وتأمل الاشارة إلى ذلك فى قول الله تعالى « إن الانسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون » الآيات وتأمل دوران هذا المعنى فى كثير من الآيات التى ورد فيها ذكر الانسان

وانظر كيف أن صوارف الحس ونوازع النفس وتعلق الروح بالمادة لا تزال تحاول أن تصرف الانسان عن إيمانه لأقل المناسبات حتى بعد إن تثبت العقيدة وترسخ : وانظر مصداق ذلك فى الآية الكريمة «وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون » الآيات من سورة الأعراف وإلى ما كان من بعض أصحاب النبى صلى الله عليه فى غزوة حنين حين مروا بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ، فقالوا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة والذى نفسى بيده لتركبن سنن من قبلكم) رواه الترمذى عن أبى واقد الليثى رضى الله عنه

تأمل ذلك كله لتعلم صدق هذا الناموس الخالد (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) وليس معنى أنهم لا يؤمنون أن يكونوا جميعاً كفارا ولا شك بل يدخل معنى الآية أن من الناس من لا يؤمنون لا ظاهراً ولا باطنا وهم الكفار على اختلاف أنواعهم من وثنيين وكتابيين وملاحدة وزنادقة الخ ومنهم من يؤمن ظاهراً ولا يؤمن قلبه كالمنافقين ، ومنهم من يؤمن نطقا ولا يؤمن عملا كعصاة المسلمين ، ومنهم من لا يتحقق بصفات أهل الايمان الباطنة مع قيامه بأعماله الظاهرة فيكون ناقص الايمان ، ومنهم من يتردد بين الشك والايمان وهكذا

والحكمة فى تقرير هذا الناموس فى كتاب الله تبارك وتعالى أمور

(منها) بيان أن الحق لا يعرف بالرجال بل الحق حق فى نفسه مهما قل تابعوه وكثر مخالفوه ، فعلى الناس أن يتلمسوا الحق فى البحث الصحيح والنظر الصادق والدليل القوى والبرهان المقنع بغير نظر إلى ما سوى ذلك من كثرة الاتباع عددا أوجاها أو قلتهم

(ومنها) تعزية المصلحين الذين يقضون الزمن الطويل فى الجهاد العنيف والكفاح المحض ثم يرون أنهم بعد ذلك كله لم يظفروا إلا بالعدد القليل من المؤمنين ، وفيه إلى جانب هذه التعزية إرشاد لأصحاب الدعوات أن تكون وجهتهم فى التكوين أولا الكيف لا الكم والايمان الصادق بالمبدأ والعقيدة لا العدد الكثير الذى لا يغنى شيئاً ، وهذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم شطر مدة الدعوة فى مكة يتخير لها الأكفاء حتى مكث مدة طويلة ولما يبلغ أصحابه الأربعين ولكن الرجل منهم كان أمة وحده

(ومنها) إرشاد المؤمنين إلى وجوب حياطة إيمانهم بصلاح العمل ومجاهدة النفس وسد الذرائع والبعد عن الشبهات واتباع سبيل الله حتى لا ينتكسوا ويعودوا بعد الايمان الكامل إلى مرتبة دون هذه المرتبة ، وأكثر ما يكون ذلك إذا قلدوا غيرهم من الأمم وسلكوا سبيل سواهم ممن لا يدين دينهم ولا يعتقد عقيدتهم (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من أهل الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن

يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم »

وفى الآية الكريمة إشارة إلى أن الايمان لا يكون كاملا حقيقيا إلا إذا اعتقد المؤمن أن هذا القرآن حق نزل من عند الله ثم عمل على إنفاذه وجعله حكما على نفسه والله أعلم

حسن البنا

الدعوة الى انتقاد المنار

إننا ندعو جميع من يطلع على المنار من أهل العلم والرأى أن يكتبوا الينا بما يرون فيه من الخطأ فى المسائل العلمية أو ما ينافى مصلحة الأمة ونعد المنتقدين بنشر كل ما يرسل إلينا من نقد مع بيان رأينا فيه بشرط أن يكون النقد مختصرا مؤيدا بالدليل نزيه العبارة

ونرجو عامة القراء أن يطالبوا كل من يسمعون منه انتقاداً للمنار بكتابته وإرساله إلينا لنشره وإلا أضاع الفائدة على نفسه وعلى الناس وكان نقده عقيما لانتيجة له وهو مالا يرضاه لنفسه محب للمصلحة العامة ، ونسأل الله أن يوفقنا جميعا لخير مايحب ويرضى

تحية المنار

جاءنا - بمناسبة إعادة صدور المنار . قصيدتان فريدتان إحداهما للأخ المفضال الشيخ أحمد عثمان الشاعر الأديب والثانية لأخيه المفضال المهذب محمود أفندى عثمان بينى مجد مركز منفلوط تحمل كل منهما تحية عاطرة للمنار وتمنيات طيبات له فى عهده الجديد وثناء مستطابا على صاحبه الراحل رحمه الله وعلى الاخوان المسلمين أعانهم الله وكان يسرنا نشرهما لولا كثرة المواد فنعتذر ونتقدم اليهما شاكرين هذا الوفاء جزى الله بنى مجد والاخوان فيها خير الجزاء ،

فتاوى المنار

نقدم في هذا الباب الاجابة على أسئلة المشتركين ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله وله بعد ذلك أن يرمز الي اسمه بالحروف أو بما شاء من الالقاب وسنجيب بحسب ترتيب الاسئلة في الورود ان شاء الله والله المستعان

«بين طائفتين من المؤمنين»

(حول آيات الصفات وأحاديثها ومذهب السلف والخلف)

سيدى الأستاذ محرر المنار الاغر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(وبعد) فلعلكم قرأتم مادار من الحوار بين كتاب مجلة الاسلام ومجلة الهدى النبوى حول آيات الصفات وأحاديثها ومذهب السلف والخلف فما وجه الحق فى هذا الخلاف؟ وهل يجوز شرعا أن يتقاذف الفضلاء من المسلمين بهذه التهم على صفحات الجرائد السيارة؟ وأن تذاع مثل هذه البحوث على العامة وهلا يمكن أن تعملوا على التوفيق بين الفريقين حتى تنصرف القوى الى مايعود على المسلمين بالخير أفيدوا مأجورين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد حلمى نورالدين

بتفتيش رى الجيزة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والصلاة علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

(١) قرأت مادار بين الكتاب الفضلاء على صفحات المجلتين المذكورتين وكثير من حضراتهم أصدقاء لنا وكلهم يعمل لخدمة الدعوة الاسلامية ويرجو للمسلمين النهوض من كبوتهم والاقالة من عثرتهم مخلصا من قلبه والحق أني أنا شخصيا لاأفهم معنى لاثارة هذا الموضوع فى وقت نحن أحوج مانكون

فيه إلى الوحدة والتآزر على أحياء تعاليم الاسلام فى نفوس المسلمين

إن الفريقين مؤمنان أعمق الايمان بأن ماجاء من هذه الآيات وما صح من الاحاديث التى تعرضت لصفات البارى عز وجل كلها حق لا جدال فى صدقها ولاخلاف فقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) و(يد الله فوق أيديهم)(وكل شىء هالك إلا وجهه) (وهو القاهر فوق عباده)وكل مانحا هذا المنحى من الآيات والاحاديث التى تثبت صحتها فنيا كل ذلك موضع إيمان وتصديق وتسليم من الفريقين كليهما

الفريقان كذلك مؤمنان أعمق الايمان بأن قوله تعالى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) وقوله تعالى (ولم يكن له كفوا أحد) كل ذلك حق لامرية فيه فلا يشبه البارى أحدا من خلقه فى شىء من صفاته ولا يشبهه أحد من هؤلاء الخلق كذلك. وحقيقة ثالثه يؤمن بها الفريقان أيضا وهى أن ذات البارى جل وعلا وصفاته فوق متناول إدراك العقل البشرى الصغير الذى يعجز عن معرفة حقائق ماحوله من عالم الحس فضلا عن عالم الروح فضلا عن الملأ الأعلى فضلا عن ذات الله جل وعلا وصفاته

وأسوق هنا قول شارل ريشيه المدرس بجامعة الطب فى فرنسا سابقا فى مقدمة كتاب (الظواهر النفسيه)

(لماذا لا نصرخ بصوت مرتفع أن كل العلم الذى نفخر به الى هذا الحد ليس الا ادراكا لظواهر الاشياء وأما حقائقها فتفلت منا ولا تقع تحت مداركنا ان حواسنا من القصور والنقص على حال يكادمعها يفلت من شعورها الوجود كل الافلات)

بل قول الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)

هذه الحقائق المقررة والمسلم بها من الطرفين تجعل الخلاف لامعنى له فماذا على كل منهما لوقال (استوى الله على عرشه استواء تعجز عقولنا عن إدراك حقيقته مع علمنا بأنه لن يكون كاستواء الخلق) وبذلك نرد علم الحقائق لله تبارك وتعالى ونصيب بذلك الحق كل الحق لأن الحق هو أننا فى هذا جهلاء أتم الجهل وماذا علينا لو سلكنا هذه الطريقة فى كل ما ورد على هذا النحو (قيد

الله التى ذكرها فى كتابه صفة من صفاته تعجز عقولنا عن إدراك حقيقتها مع علمنا التام بأنها لن تكون كأيدينا) وهكذا .

وقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى الى الواجب فى مثل هذه المعانى ووضع لنا أساس النظر فيها فقال (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الالباب) فتأمل قوله تعالى (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) لتعلم هل لنا أن نخوض ونفيض ، أم أن الرسوخ فى العلم أن نقول آمنا به كل من عند ربنا ، ؟

استطراد

لقد أتى على المسلمين حين من الدهر فى عصر الانتقال الاول حين نقلتهم حوادث السياسة والاجتماع من دور الجهاد العملى خلف رسول الله ﷺ والأئمة الراشدين المهديين من بعده حيث كان هم المسلم إذ ذاك أن يؤدى فريضة ربه ويراقب دخيلة نفسه ويقيم من نفسه حارسا يحاسبه على كل عمله ثم يمضى فى البلاد مجاهدا فى سبيل الله يعرض روحه على الموت فى اليوم ألف مرة فلا يظفر إلا بالحياة العزيزة وينشر لواء الله فى العالمين حتى يدركه الأجل فيودع الدنيا شهيدا سعيدا . حين انتقل المسلمون من هذا الدور إلى دور الاستمتاع بمظاهر دنياهم الجديدة والاقبال على تنظيم ملكهم الواسع والاستفادة من ثمار هذه الحضارات والمدنيات التى اتصلوا بها ودخلت عليهم آثارها من كل مكان عمرانية واجتماعية وثقافية وعلمية فترجموا العلوم الأجنبية وتوسعوا فى البحث فيها ومزجوا كثيرا منها بتعاليم الدين السمحة السهلة فسلكوا بدينهم مسلكا فلسفيا قياسيا وقد جاءهم فطريا ربانيا نبويا فوق العلوم والفلسفات يخاطب الفطرة من غير وساطة ويجذب القلوب بما فيه من جمال وروحانية وصدق توجيه فى هذا الدور وفى وسط هذه المعمعة انقسم علماء الاسلام الى معسكرين معسكر

يدعو إلى تطبيق نظريات الدين على نظريات الفلسفة والمزج بينهما وبذلك يصطبغ الدين بآراء الفلاسفة فيذهب عنه جلال النبوة وروعة الوحي وسماحة الفطرة . وتتقيد الفلسفة بقداسة الدين وجلال العقيدة فتنزل بذلك عن أخص خصائصها وإنما الفلسفة تفكير دائم متواصل فيه الخطأ وفيه الصواب وفيه الشك وفيه اليقين والخطأ فيها سلم للاصابة والشك عندها باعث من بواعث الايمان وهذا المعسكر أطلق على نفسه أو أطلق الناس عليه ألقابا كثيرة فهم أهل الرأى وهم أهل القياس وهم النظار وهم المتكلمون على تفاوت بينهم فى هذه الالقاب وفى مدى تطبيق هذه الآراء ومعسكر يدعو الى أن يظل الدين بعيدا عن كل هذا ، يؤخذ من منابعه الاولى كتاب الله وسنة رسوله ويرجع فى بيانه وتفصيله الى الطريقة التى فهمه عليها السلف الصالح رضوان الله عليه وليتناول العقل بعد ذلك ماشاء من البحوث ولتجر الفلسفة على أى غرار شاءت وليخطىء العلماء الكونيون أو يصيبوا ولكن فى ثوب نظرى بحت قياسى بحت لايتناول عقائد الناس ولا يمس عباداتهم ولا يقرب الحقائق الدينية المقررة المكفولة بتسليم العقل بأحقيتها وصدقها - وأطلق هذا المعسكر على نفسه أو أطلق الناس عليه أهل الحديث أو السلفيون أو أهل السنة أو أهل الأثر على تفاوت كذلك فى هذه الالقاب وفى مدى الأخذ بهذه الفكرة ولا شك أن الحق مع هؤلاء ولا شك أن المسلمين لو سلكوا هذا السبيل ولم يشتغلوا بهذا الجدل ولم يصبغوا فطرة دينهم بهذه الصبغة ودرجوا على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه لكان لهم فى ذلك الخير كل الخير ولنجوا من انقسامات وفتن كانت من أهم الأسباب لزوال عظمتهم وتوزيع ملكهم ومجدهم ولا شك أن كل عاقل يهمه أن يعود للاسلام مجده وعظمته الآن يدعو المسلمين الى الأخذ بهذا الرأى وهو مانعمل عليه وندعو اليه ونسأل الله المعونة فيه وفتح مغاليق القلوب لفهمه وفقهه

كان الأخذ والرد والجذب والشد قويا عنيفا بين الفريقين منذ نجم قرن هذا الخلاف وأنت خبير بأن خلافا كهذا فى صدر الاسلام أو قريباً منه ، ولما يمض على المسلمين بعد نبيهم ﷺ أكثر من قرن من الزمان وهو يتصل بالعقيدة

وهى أغلى مايدافع عنه الانسان لابد أن يصحبه من مظاهر العنف الشيء الكثير وذلك ما كان فقد تنابز الفريقان بالألقاب واشتد بينهما التخاصم حتى وصل إلى التكفير والزندقة ورمى بعضهم بعضاً بأعظم مايتصور من التهم ، واستخدمت فى ذلك الألفاظ المثيرة

فأهل الرأى والنظر — جهمية معطلة مؤولون حشوية زنادقة لايعرفون ثم ربا ولا يثبتون له صفة. وأهل الحديث والأثر — مشبهون مجسمون جامدون متعصبون لاينزهون الله ولا يقدرون عظمته قدرها ويضعونه فى صف خلقه

وألقيت إلى جانب ذلك عبارات شديدة وألفت كتب وانتصر كل فريق لرأيه وبدت الحدة فى كل ما قيل وما ألف ؛ لأن تلك طبيعة الموقف ومقتضيات الخلاف

كان ذلك فى هذا الدور الذى ذكرت لك ثم نقلت إلينا نحن الآن بعض هذه الآثار والحال غير الحال والموقف غير الموقف والفرق غير الفرق

ليس فينا أهل رأى وأهل حديث — وأنا أعلم أن هذا الحكم قد يكون محل خلاف بينى وبين بعض القارئين فهاهم يرون فريقين ينتصر كل منهما لفريق فما معنى هذا النفى ؟

ولكنى أؤكد لحضرات القراء أن طبيعة هذا العصر غير طبيعة العصر الذى شجر فيه هذا الخلاف بين المسلمين وأن المشاكل والأفكار التى تشغلنا الآن غير تلك المشاكل والأفكار — وأن الخلاف فى هذه المسائل محصور فى نطاق لايكاد يذكر فى بعض المجالس وفى جدران بعض الهيئات ؛ حتى الأزهر نفسه وتلك مهمته مشغول عن هذا الخلاف

الأمة الآن معسكرات مختلفة لكل معسكر فكرته التى يدعو إليها وينادى بها فهناك المعسكر الذى يدعو إلى الاندفاع وراء الأفكار والمظاهر الغربية فى كل شىء ، وهناك المعسكر الذى يثير المعنى القومى وحده فى النفوس ويريد أن يجعله أساساً للنهوض وهناك المعسكر الذى يأخذ بأعناق الناس وجهوده إلى المسائل السياسية البحتة التى يراد بها استقرار الحكم فى الداخل وحفظ الكرامة

فى الخارج ولا يعنيه إلا هذا وهناك معسكرات غير هذه ومن وراء ذلك كله معسكر محمدى قرآنى يهيب بكل هؤلاء إن الاسلام يكفل لكم من السعادة والقوة كل ماتريدون فهلموا إليه

أريد أن أصل من هذا الاستطراد إلى نتيجتين . الأولى . أننا ليس بيننا فى حقيقة الأمر خلاف كالذى كان بين الفلاسفة والملفقين فى القديم فلا معنى لاحياء هذا الخلاف من جديد ، ولا معنى للاحتجاج كذلك بما قال هؤلاء وأولئك وأولى لنا جميعا أن نترك ذلك الدور بما كتب فيه وما كان من أهله فى ذمة التاريخ ونرجع جميعا فى ديننا إلى المعين الأصلى الذى مازال وسيظل صافياً نقيا لاتكدره الحوادث ولا ينال منه الزمن ولا يزعزعه الخلاف ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة صلى الله عليه وسلم

(والثانية) أن ننصرف فى صف مؤمن قوى موحد إلى معالجة مشاكل عصرنا ودعوة الناس إلى محاسن هذا الدين وجلاله وتقوية معسكرنا معشر المنادين بالاسلام فوق كل المعسكرات حتى يكون له النفوذ الفكرى والعملى ، فيعود للاسلام ما كان له من هيمنة على الأرواح والأعمال

وبعد — فذلك رأيى أيها السائل فى موضع الخلاف

٢ — أما هل يجوز للفريقين أن يتقاذفا بهذه التهم على صفحات الجرائد السيارة وأن تذاع هذه البحوث على العامة فذلك مالا أقرهما عليه ولا أوافقهما فيه ، وفى لين القول وحسن الخطاب مندوحة وهذه بحوث دقيقة أولى بها أن تكون بين أهل العلم فى حلقهم الخاصة ومجالسهم المحصورة ، وأذكر الفريقين بما رواه البخارى فى صحيحه عن على كرم الله وجهه « حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله »

وما رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال « ما أنت بمحدث قوما حديثا لاتبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » فان كان ولا بد من الكلام فى هذه المباحث فليكن ذلك فى قول لين وفى بحث هادىء حتى لا تسرى عدوى الخلاف والتهاتر من الخاصة إلى العوام وفى ذلك فساد كبير كما هو مشاهد فى البلاد التى تشتد

فيها العصبية لبعض الآراء ـ أقول هذا وأنا أعلم ما سيقال حول هذا الكلام من أن العقيدة أساس كل إصلاح وأن دين الله تبارك وتعالى جلي واضح لاخفاء فيه ولايليق أن يكتم فيه شيء عن جميع الناس وبأن هذه خصومة في الحق وهي جائزة وهذا هو الغضب لله وهو فضيلة وهذا هو الدفاع عن دينه وهو واجب وهذا من الجهاد بالقول والقلم والقعود عنه إثم فكيف يراد منا بعد هذا أن ننصرف إلى إصلاح جزئي والعقيدة فاسدة وكيف يراد منا أن نجعل هذا الكلام خاصا ودين الله عام للناس جميعا

وأحب أن أقول لمن يدور بفكره أو على لسانه وقلبه مثل هذا القول: احترس أيها الأخ من خداع الألفاظ ومزالق الأسماء ـ فالعقيدة شيء والخلاف في بعض المسائل التي لا يمكن لانسان أن يعرف حقيقتها شيء آخر ـ وأحكام الدين التي هي عامة للناس جميعا شيء والأسلوب الذي تؤدي به وتقدم للناس شيء غيرها ـ والخصومة والغضب للدين شيء ـ وخلق هذه الخصومة وإثارة الفتنة بها شيء ثان ولم لا يكون هذا من الجدل المنهي عنه ومن المراء الذي أغضب رسول الله أشد الغضب على المتمارين حتى جعله يقول:

(١) « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ: « ما ضربوه لك إلا جدلا » رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح

(٢) ويقول « من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن تركه وهو محق بني له في وسطها ومن حسن خلقه بني له في أعلاها » رواه أبو داود والترمذي والبيهقي وغيرهم وحسنه الترمذي

(٣) وروى الطبراني في الكبير عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « كنا جلوسا عند باب رسول الله ﷺ نتذاكر ينزع هذا بآية وينزع هذا بآية فخرج علينا رسول الله ﷺ كأنما تفقأ في وجهه حب الرمان فقال « ما هؤلاء بهذا بعثتم أم بهذا أمرتم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض »

« ٤ » وعن أبي الدرداء وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك رضي الله عنهم قالوا « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ونحن نتمارى في شيء من أمر الدين فغضب غضباً شديداً لم يغضب مثله ثم انتهرنا فقال مهلا يا أمة محمد

انما هلك من كان قبلكم بهذا ، ذروا المراء لقلة خيره ذروا المراء فان المؤمن لا يمارى، ذروا المراء فان المارى قد تمت خسارته، ذروا المراء فكفى انما ألا تزال مماريا، ذروا المراء فان المارى لا أشفع له يوم القيامة، ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات فى الجنة فى رياضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق ، ذروا المراء فان أول ما نهانى عنه ربى بعد عبادة الأوثان المراء » رواه الطبرانى فى الكبير أيضاً وقد يقال: إذ المراء شيء وما نحن فيه شيء آخر فاقول: إن لم يكنه فهو نوع منه ومن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه واتقاء الشبهات استبراء للدين والورع أن تدع مالا بأس به مخافة الوقوع فيما فيه بأس فهل بعد ذلك مذهب لذاهب أيها الاخوان « ٣ » وأما العمل على التوفيق بين الفريقين فنعما هو وما أحبه الى النفس وما أعظم فائدته وإنا لمحاولون ذلك ان شاء الله وأعتقد أن كثيرا من المختلفين لو التقى بعضهم ببعض وتركوا طريقة التحاور الكتابى الى طريقة التفاهم الشفهى لانتج هذا التعارف خيرا كثيرا ولأدى إلى حل كثير من الخلافات فى هدوء وفى توفير للوقت والمجهود وحينئذ يستطيع كل رئيس جماعة أن يتقدم إلى جماعته برأى موحد أو بفكرة عامة فيؤدى ذلك الى الوحدة المنشودة ان شاء الله وسنترقب الفرصة المناسبة لمثل هذا الاجتماع فنعمل على تحقيقه ان شاء الله والله حسبنا ونعم الوكيل .

حسن البنا

من هم الاخوان المسلمون ؟

وسائل من هم الاخوان؟ هم فئة ... باعوا النفوس لباريها عزيزات
هم غضبة ضرمت لله سورتها ... فأرسلوها لظى للغاصب العاتى
هم ثورة حميت فى الحق جذوتها ... فجاهدت باطلاجم الكتيبات
هم فيلق من جنود الله قد حملوا ... لواءه فغدوا نور الدجنات
عزت أخوتهم فى الله فانقطعت ... من السرائر أسباب الخلافات
يوحدون قلوب المؤمنين لكى ... تزداد أمتهم بالله قوات
حتى إذا استمسكت أوصالها وغدا ... بنيانها محكما صلب العلاقات
تقدموها إلى اليوم الرهيب وللقر ... آن فى يدهم لمع المضيئات

عن ديوان البواكير لعابدين

نشأة المنار والحاجة اليه

للاستاذ عبد الله أمين

المدرس بمدرسة المعلمين بعبد العزيز بالقاهرة

(١) حال العالم الاسلامي قبيل ظهور المنار (٢) حال الدين الاسلامي قبيل ظهور المنار (٣) دعاة الاصلاح قبيل ظهور المنار (٤) صاحب المنار قبيل ظهور المنار (٥) البواعث التى بعثت صاحبه على اصداره (٦) وجهة صاحب المنار في تحريره للمنار (٧) بقاء البواعث على اصدار المنار (٨) المجلات الدينية التى يظن أنها تحل محل المنار ومميزاتها (٩) حياة المنار ولو نصف حياة خير من موته (١٠) محاولة لاحياء المنار (١١) محاولة جديدة لاحيائه مرة أخرى

(١) حال العالم الاسلامى قبيل ظهور المنار

كان العالم الاسلامى قبيل ظهور المنار لأربعين سنة هجرية خلت يهيم فى ليل دامس وظلام طامس من الضعف والاضمحلال فى حياته العلمية والفنية والأدبية وفى مرافقه الزراعية والصناعية والتجارية وفى نظمه الاجتماعية والمنزلية والحكومية وفى تقاليده وعاداته وآدابه وفى أخلاقه وعقائده وشعائره الدينية وكان يرسف فى قيود الاستبداد وأغلال الاستعباد وقد قطعت السياسة والمذاهب الدينية أواصر شعوبه فتفرقوا طرائق وتمزقوا حذائق وبسط الأجانب عليهم سلطانهم الاقتصادى والأدبى والعلمى والفنى والسياسى ، وأصبحوا عبيداً أرقاء بعد أن كانوا سادة أعزاء .

(٢) حال الدين الاسلامى قبيل ظهور المنار

وكان الدين الاسلامى نفسه مبتلى بشر المحن وأقساها (١) منها البدع والخرافات والاوهام والضلالات التى ابتدعها المسلمون بالاستحسان و الاستقباح

على مثال ماورثوه عن آبائهم السابقين الأقدمين فغيرت مظاهره وحجبت أنواره وكانت شراً عليه من كل شر إذ نفرت منه كثيراً من أنصاره وأعانت عليه كثيراً من أعدائه (٢١) ومنها مطاعن خصومه من السياسيين الذين حكموا عليه ظلماً وعدواناً بأنه دين تأخر وانحطاط لتأخر المسلمين واضمحلالهم، والحقيقة أنه دين قوة ورفعة وعزة وما ابتلى المسلمون بالضعف و لاضمحلال إلا لانحرافهم عنه وتنكبهم سبيله القويم وصراطه المستقيم (٣) ومنها حرب المبشرين بالمسيحية الذين تؤيدهم دول الاستعمار العاتية القوية بساستها وبجنودها وبأموالها لأن الاسلام وهو دين سيادة وعزة أكبر عائق لهم عن الاستعمار (٤) ومنها قعود علمائه حينئذ عن رد المطاعن والشبهات عنه وعن تحريره من البدع والخرافات بل ومشاركتهم العامة فى كثير منها (٥) ومنها شبهات الملحدين الخارجين على الأديان وهؤلاء منهم الجاهل الذى غلبته شهوته وشقوته وسئم قيود الدين وتكاليفه فأخذ يحاربه ليتخلص منه ومنهم المفتون بأمور ظنية فى العلوم يخيل اليه أنها لاتجتمع هى والدين على حين أنها لو صارت يقينية ما زعزعت أركان الدين .

(٣) دعاة الاصلاح قبل ظهور المنار

وفى هذا الظلام الحالك وفى إبان هذا النوم العميق الذى يشبه الموت تألق فى سماء العالم الاسلامى قمر الاسلام المنير حكيم الشرق السيد جمال الدين الافغانى ثم مالبث أن تلألأ بجانبه نجم الاسلام الثاقب الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده المصرى وأخذا يجاهدان أعظم جهاد فى حرب الاستبداد والمستبدين والاستعمار والمستعمرين والضلالات والمضلين والغفلة والغافلين ويهزان العالم بصوتيهما على المنابر وفى مجلة العروة الوثقى حتى انقشع الظلام واستيقظ النيام وذُعر المستعمَرون والمستبدون وأيقنوا أن للاسلام نوراً لايطفأ وحمى لايوطأ وحماة غلابين لاتلين لهم قناة ولا تهزم لهم كتيبة :

فان نغلب فغلابون قدما وإن نغلب فغير مغلبينا

(٤) صاحب المنار قبيل ظهور المنار

وكان السيد الامام محمد رشيد رضا رضى الله عنه حينئذ عالماً ناشئاً تقياً غيوراً متحمساً شجاعاً حاد الذهن كثير العلم والأدب سليم الفطرة لم يبتل بما ابتلى به أمثاله من التورط فى الضلال والخبل ، بل نشأ محباً للاصلاح بصيراً به وبالحاجة اليه ، وأخذ يجول ويصول فى ميدانه بسوريا جولات صادقات وما بلغته دعوة الامامين الحكيمين الاصلاحية إلا ملكت عليه قلبه وعقله جميعاً إذكانت هى ضالته المنشودة فما أطاق بعدها صبراً على السكوت وأخذ ينظر يميناً وشمالا فلا يجد للعالم الاسلامى كله صحيفة إسلامية إصلاحية بعد مجلة العروة الوثقى .

(٥) البواعث التى بعثت صاحبه على اصداره

فكانت كل هذه الأمور مجتمعة وهى ماانتاب العالم الاسلامى من اضمحلال وما أصاب الاسلام من عدوان خصومه وخذلان أنصاره ، وقيام الامامين الحكيمين بالدعوة إلى الاصلاح ومافطر عليه السيد الامام صاحب المنار من الغيرة على الاسلام وماتعلق به من حب الاصلاح كانت هذه الامور هى البواعث التى دفعت صاحب المنار إلى القدوم الى مصر وكانت تزدان حينئذ بالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده قدس الله روحه ونور ضريحه ، وكانت أكفل للحرية وأخصب للدعوة وأرحب صدراً من سوريا وإلى انشاء المنار فيها ومواظبته رجله واجتهاده فى تحريره ونشره حوالى أربعين سنة هجرية لم تفتر له فيها همة ولم تلن له فيها قناة ولم ينثن له عزم حتى لقى ربه راضياً مرضياً .

(٦) وجهة صاحب المنار فى تحريره المنار .

ولما كان الاضمحلال الذى أحاط بالمسلمين من كل جانب وليد فساد أخلاقهم وعقائدهم وكان فساد أخلاقهم وعقائدهم وليد انحرافهم عن أصل دينهم وكان

الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، لما كان كل ذلك مالبث جهد السيد الامام محمد رشيد رضا رضى الله عنه أن انصرف كله الى رد المسلمين إلى أصل دينهم لتصلح بذلك عقائدهم وأخلاقهم وبصلاح عقائدهم وأخلاقهم تصلح كل أمورهم الدينية والدنيوية .

وذلك الاصلاح لا يكون إلا باشهار حرب عوان على الفساد والمفسدين والبدع والمبتدعين والالحاد والملحدين والمشتبهات والمشتبه عليهم وسد أبوابها على المسلمين بالاعتماد فى بيان أحكام الدين وفضائله على الكتاب والسنة وعلى تأويل الأئمة المجتهدين وعلى نقد ماخالف الكتاب والسنة من تأويلهم وتأويل غيرهم وبما فتح الله له من أبواب الفهم السديد الصائب المنقطع النظير فأبلى فى هذه الحرب بلاء عظيما ولبث يجاهد فيها كل هذا الزمن الطويل ولتى فيها عنتاً وأذى كثيرين فما وهن ولا استكان حتى استشهد فى ميدان الجهاد بعد أن أصدر من المنار أربعاً وثلاثين مجلدة وجزءاً من المجلدة الخامسة والثلاثين ، وليس بجانبه صحيفة واحدة إسلامية إصلاحية تشد أزره وتشركه فى أمره وبعد أن انتصر على أعيان الابتداع والالحاد والهدم وبعد أن أصبح المنار أداة لاغنى عنها للدفاع عن الاسلام والمسلمين وحمايتهما من عدوان المعتدين.

(٧) بقاء البواعث على إصدار المنار

فاذا كان الامام السيد محمد رشيد صاحب المنار رضى الله عنه وأرضاه قد مات فهل ماتت بموته الحاجة إلى المنار ؟ هل ماتت البدع ومات المبتدعون ؟ هل مات الالحاد والملحدون ؟ وهل ماتت المشتبهات ومات المشتبه عليهم ؟ وهل ماتت الرذائل والمنكرات ومات أنصارهما ؟ كلا . ما مات هؤلاء ولا هؤلاء بل لايزالون أحياء يحاربون الله ورسوله والاسلام والمسلمين وما ماتت البدع والمنكرات وغيرها بل لاتزال فى تناسل وتكاثر ونماء وقوة فلم يكن لدولة المنكر فى أى عصر مضى من الأعوان الأقوياء الأعزاء المسخرين مثل ما لها الآن .

أكان للخمر والملاهى من الأنصار ومن الموائد والأندية والحفلات والمنازل

والدعاية الطويلة العريضة فى الصحف على اختلاف ألوانها ومنازعها - الا القليل النادر منها - مثل مالها الآن ؟ أ كان تهتك النساء وفجورهن من مظاهر الخيالة والمسارح والشواطىء وغيرها مثل مالها الآن أ كانت الصحف - إلا القليل منها - لاتصدر إلا إذا فخرت وتاهت بتحلية صدورها بصور العاريات الخليعات من النساء الفواجر ؟ أكانت دور الخيالة تملأ الرحب من الارض وتعرض فيها مثل مايعرض الآن ؟ من مناظر مغرية بالفسق والفجور وارتكاب عظائم الامور كما انتشرت الآن ؟ أكانت الصحف تتبارى وتتنافس فى الدعاية الطويلة العريضة للممثلات كما تفعل الآن ؟ ألم يكن كل ذلك وما هو شر من ذلك آلاف المرات فى حاجة إلى صحيفة كصحيفة المنار

(٨) المجلات الدينية التى يظن أنها تحل محل المنار ومنزلتها منه .

ليس فى العالم الاسلامى كله مجلة إصلاحية يظن أنها تحل محل مجلة المنار إلا مجلة الأزهر وهذه لسوء الحظ - قبل عهد مولانا الاستاذ الامام المصلح الشيخ محمد مصطفى المراغى - كانت حرباً على المنار لاعوناً له ثم هى الآن لاتغنى عنه لانها مرآة صادقة لمعهد لايزال فى طور انتقال من عهد اضمحلال مضى عليه قرون الى عهد قوة ورفعة بسعى مولانا الاستاذ الامام المصلح الشيخ المراغى فهى مجلة رسمية وفى عهد انتقال لاقبل لها بالحرية المطلقة التى لمجلة المنار المطلقة من كل قيد إلا قيود الكتاب والسنة ، ولو قدر لمجلة الازهر والمنار فى عهدهما الحديث أن تكونا فرسى رهان فى نصرة الاصلاح الدينى والاجتماعى ما كانتا كبيرتين على العالم الاسلامى بل ولاعشرات المجلات من نوعهما فأهلا وسهلا بهما .

(٩) المسئولون عن إصدار المنار

وإذن لم يكن العالم الاسلامى ولا الاسلام نفسه فى غنى عن المنار فان المسئول عن إصداره واحيائه هم أنصاره وأحباؤه فقد أصبح أمانة فى أعناقهم دون غيرهم من المسلمين لاتبرأ ذمتهم منه إلا إذا أحسنوا القيام عليه وأصدروه فاذا قام

بذلك ولو واحد منهم فقد سقط عن الباقين لانه من فروض الكفاية . وإن صاحب المنار ومناره فينا كرجل قوى البنية مفتول الساعدين حفر لنا بئراً عذبا ماؤها وليس لنا مانستقى منه غيرها وبقى طوال حياته يخرج لنا ماءها بسواعده أفئن مات طمسنا البئر وحطمنا الدلاء وأمسكنا عن الاستقاء حتى نموت عطشا لأننا لا نجد فينا رجلا مثله قوة جسم وقوة إرادة وعزيمة أم يجب علينا حفظا لحياتنا أن نحرص كل الحرص على سلامة البئر وأن نتعاون على إخراج مائها والارتواء به

١٠ حياة المنار ولو نصف حياة خير من موته

يقول بعض الأنصار إن المنار مجلة ذاتية حيث بحياة صاحبها الذى استقل بتحريرها حوالى أربعين سنة هجرية نسجها فيها على منواله وصبغها بصبغته وقدها على مثاله فأصبحت لاتصلح لغيره ولا يصلح لها أحد من بعده فلابد أن تموت بموته ويجب أن ندعها تموت . وهذا ليس من المنطق السليم فى شىء إذ أن الحياة ولو كانت ناقصة خير من الموت فأن الأطباء لا يمكن أن يدعوا إنسانا فقد بعض أعضائه أو كسرها يموت وفى إنقاذه أمل حتى ينقذوه ولو كانت حياته بعد ذلك شراً له ولآله من موته فكيف ندع المنار صحيفة العالم الاسلامى يموت ونحن موقنون أن فى حياته خيرا محققا لا لشىء إلا لأن هذا الخير دون ما كان له من الخير فى حياة منشئه رضى الله عنه وأرضاه ؟ كيف ندعه يموت على مرأى ومسمع من العالم الاسلامى وفيه من يستطيع أن يحييه ولو بعض الحياة كيف ندعه يموت وقد سن له صاحبه طريق الحياة من بعده إذ فتح فى العدد الاخير من المجلدة الرابعة والثلاثين وهى آخر المجلدات أبوابا جديدة له ودعا إلى الكتابة فيها أنصاره ؟ وفى مصر وحدها مئات القادرين على الكتابة فى هذه الأبواب باتقان وإجادة

١١ محاولة لاحياء المنار

لن يموت المنار ولن ينسى إن شاء الله تعالى مادام وراءه أنصاره ومحبوه ، ولقد حاولت دار المنار جاهدة إحياء المنار وعهدت بذلك إلى حضرة السيد محيي الدين رضا ابن أخي الفقيد العزيز والمحرر فى المقطم الاغر غير أن هذه المحاولة كانت عسيرة لأن المنار أصعب من أن ينهض به إنسان واحد كالسيد محيي الدين أفندى ليس فى جهده ولا فى ماله ولا فى أوقاته فضل ينفقه فى إحياء المنار وإصداره ، ولذلك لم يلبث أن مات مرة أخرى

١٢ محاولة جديدة لاحياء المنار مرة أخرى

ولقد سرت الدار سرورا عظيما حينما تقدمت جماعة الاخوان المسلمين وعلى رأسها الأستاذ الكبير حسن البنا طالبة منها أن تتولى إصدار المنار وذلك لما تعهده فى هذه الجماعة من الاخلاص والجد فى خدمة الدين والفضيلة وما تتوسمه فيها من القدرة على إصدار المنار إن شاء الله تعالى فى ثوب قشيب نافع وما تؤمله من استمرار صدوره

وإنى لأرجو وقد حيي المنار ومات ثم حيي ومات - أن يحيا إن شاء الله تعالى هذه المرة وألا يموت بعدها أبدا وأن يثبت الله سبحانه وتعالى أقدام جماعة الاخوان المسلمين ويهديهم وإيانا سبل الرشاد وأن يوفقهم لأصلح الأعمال ويقدرهم على إصدار المنار ونشره وعلى إبقائه حيا أبد الدهر إنه سميع مجيب -

عبد الله أمين

موقف العالم الاسلامى السياسى اليوم

وواجب أصحاب الجلالة ملوك المسلمين وحكوماتهم

نشبت الحرب الماضية والعالم الاسلامى كله منضو تحت اللواء التركى مستظل بظل الخلافة العثمانية إلا بعض أجزاء اقتطعتها يد المطامع السياسية الغربية من قبل

كانت مصر تحت الاحتلال البريطانى ثم صارت باعلان الحرب تحت الحماية وخاضت البلاد العربية ميادين القتال إلى جانب الحلفاء تصديقا لوعودهم وانخداعا بالأمانى المعسولة التى وضعوها أمام الأمة العربية

ولسنا بصدد اللوم أو العتاب أو تحديد مسئولية المخطىء والمصيب فى هذا كله فقد ذهبت تلك الأيام بما كان فيها وصارت مواقف الرجال والأمم فى ذمة التاريخ يحكم لها أو عليها

وانجلت تلك الحرب وويل للمغلوب وغلبت تركيا على أمرها وسلبت حق سيادتها على الولايات التابعة لها

وهنا نهضت الشعوب الاسلامية تجاهد وتكافح وتناضل وتطالب بحقها فى الحياة العزيزة الحرة الكريمة

كانت ثورة الكماليين على أرض الأناضول وانتهت بتكوين تركيا الحديثة هداها الله وألهمها الرشد

وكانت الثورة المصرية فى وادى النيل وانتهت بمعاهدة أغسطس ١٩٣٦ التى حققت جزءاً ضئيلا جداً من الأمانى المصرية ولا زالت مصر تكافح لاستكمال الباقى .

وكانت الثورة العراقية وانتهت بالمعاهدة العراقية الانجليزية التى حققت كذلك جزءا من الأمانى العراقية ومكنت العراق من السير سريعاً إلى استكمال مابقى

واستولى الملك عبد العزيز آل سعود على الحجاز وضمه إلى نجد وكون منهما المملكة العربية السعودية

وكانت سورية وناضلت وكاد يتم بينها وبين فرنسا عهد وميثاق كالذى تم فى مصر والعراق مثلا لولا أن فرنسا نكثت عهدها بعد أن وثقته وقلبت للسوريين ظهر المجن ولا زالت فى موقفها هذا إلى الآن

وتعقدت قضية فلسطين ونشبت فيها الثورات تباعا ولم يفلح ذهب اليهود ولا خداع الانكليز فى تضليل الشعب الفلسطينى الباسل وصرفه عن أهدافه الحقة وعن المطالبة باستقلاله الكامل فى أرض الآباء والأجداد التى رواها دم الصحابة الطاهر فأنبتت أولئك الأحفاد البررة

واستمرت طرابلس ثائرة على الحكم الايطالى الظالم حتى قبض على المجاهد المؤمن السيد عمر المختار وضيق الخناق على المجاهدين فقتل من قتل ونفى من نفى، وانتهى كل ذلك بأن أعلنت إيطاليا تجنيس طرابلس بالجنسية الطليانية وقذفتها بسيل من المهاجرين الطليان يلتهم الأخضر واليابس

وقامت ثورات فى بعض جهات من هذا الوطن المتمرد على الظلم والجور كان من أظهرها ثورة الريف المغربى بقيادة الأمير محمد بن عبد الكريم، وانتهت كلها بتشديد الضغط على خناق الأحرار والعاملين

هذا بسط موجز لموقف العالم الاسلامى من نفسه ومن غيره من الأمم التى ظلمته وتدخلت فى شأنه واستبدت بأمره واغتصبت حقوقه إلى الآن

***

اختل التوازن الأوربى وجرت الأحداث سراعا تسابق الدقائق والساعات وتغير الأفكار والآراء والمواقف والاتجاهات، وانجلت تلك الغمرة عن وجود معسكرين قويين فى أوربا معسكر المحور ويضم ألمانيا وإيطاليا ومن لف لفهما من دويلات أوروبا ومن ورائهما اليابان فى الشرق، ومعسكر الدول الديمقراطية ويضم انجلترا وفرنسا ومن تبعهما من دول أوروبا ومن ورائها أمريكا فى القارة الجديدة

وحرب الدعاية والكتابة والتربص والأعصاب كما يقولون قائمة على أشدها بين الفريقين ، وكل منهما يتودد إلى العالم العربى والاسلامى ويود أن يكسبه إلى جانبه فذلك هو الذى يرجح إحدى الكفتين على الأخرى فى آسيا وإفريقية على الأقل ، وإذا رجحت الكفة فى هاتين فقد رجحت فى أوربة كذلك

إن دول الشرق الاسلامى قضت عليها الحوادث والظروف الماضية والحاضرة أن تتصل بالدول الديمقراطية وأن تكون إلى جانبها وأن يرتبط مستقبلها بمستقبل هذه إلى حد كبير ـ هذا الوضع إلى جانب الخصومة القائمة بين المعسكرين فى أوربا كان يجب أن يجعل الدول الديمقراطية تسارع إلى اكتساب مودة العرب والمسلمين اكتساباً نهائيا وأن تسد الطريق على غيرها إلى ذلك الود ، وذلك فى وسعها ولا يكلفها عناء ولا عنتا بل لا يكلفها إلا أن تحق الحق وتعترف به لأهله ، وتبطل الباطل وتقاوم الذين يريدونها عليه فهل فعلت هذا ؟

العجب أن الدولتين الديمقراطيتين انجلترا وفرنسا فعلتا عكسه تماماً كأنهما تتحديان بذلك شعور العرب والمسلمين فى كل أنحاء الأرض ، فأما فرنسا فقد أساءت إلى سورية أبلغ الاساءة ففصلت عنها الاسكندرونة وقدمتها إلى تركيا رغم الصرخات العالية والاحتجاجات الكثيرة والأغلبية العربية فى هذا اللواء . وتنكرت لسورية مرة أخرى فعدلت عن إبرام المعاهدة واستبدت بالأمر فى داخلية البلاد استبدادا أدى إلى استعفاء الوزارة عدة مرات ، وتعذر قيامها بمهمة الحكم ثم أدى أخيراً إلى استقالة رئيس الجمهورية ، وهذا نص استقالته التى رفعها لمجلس النواب السورى .

« إلى رياسة المجلس النيابى السورى الفخيمة »

« منحنى مجلسكم الكريم ثقته وانتخبنى ، فى أول جلسة عقدها ، لرياسة الجمهورية على أثر عقد المعاهدة وإقامة الصلات بين فرنسا وسوريا على قواعد التحالف والمودة ، وذلك لادراك هذه الأمة الغاية الشريفة التى تسعى إليها من الاستقلال والسيادة القومية . وقد تعاقبت حكومات فى سوريا وأخذت تبذل

فصارى جهدها فى سبيل إبرام العهد المقطوع والميثاق المعقود واثقة بأنه ينطوى على الخطة الوحيدة التى تعزز جانب الوطن السورى وترفع من شأنه كما توثق الروابط بينه وبين الجمهورية الفرنسية حتى يسود علاقتهما جو من الصفاء والاخلاص وحتى تقوى هذه البلاد على مقابلة الاحداث وصد الاطماع . غير أن الجهود التى بذلت لم تسفر عن نتيجة برغم الوعود الرسمية الصادرة من رجال الوزارات التى تعاقبت فى فرنسا منذ سنة ١٩٣٦ إلى الآن فذهبت ضياعاً تلك الآمال التى توجهنا بها إلى سياسة التحالف والتضامن وشهدنا العودة إلى أساليب قديمة وتجارب جديدة تناقض ما تعاهدنا عليه ودخلنا الحكم على أساسه . على أن حوادث الماضى وقرائن الحاضر لا تترك مجالا للشك فى أن هذه الخطط التى يراد اتباعها واستئناف العمل بها تؤدى إلى استمرار المشاكل والخلافات، كما أنها تضعف كيان هذه البلاد وتوهن قواها وتهدد استقلالها

ولذلك لا أرى بدا من الاستقالة من المنصب الذى عهدت إلى الآن فى القيام به وتحمل أعبائه راجيا أن يكون فى الأيام المقبلة ما يخفف عنها الآلام والعناء ويحقق ما تصبو اليه من الكرامة والمجد »

- وقد عرضت الاستقالة على المجلس فأقرها ودعا الوزارة إلى الاجتماع فاجتمعت وقررت القيام بأعباء الحكم ولكن المندوب السامى تحداها فى هذا فأصدر قراراً بتدخل السلطة الفرنسية فوراً وتعطيل الدستور ومجلس الوزراء وعين مجلساً يتولى السلطة باسم فرنسا وهذا نص قراره

« قد نشأ عن استقالة مجلس الوزراء ورئيس الجمهورية فى سوريا فقدان تام للسلطة التنفيذية . مما يجعل تدخل الدولة المنتدبة تدخلا فوريا أمراً لابد منه ، وفى هذه الحالة ترى الدولة المنتدبة نفسها مضطرة الى وقف تنفيذ الدستور فيما يتعلق بالسلطتين التنفيذية والتشريعية . والنظر فى نظام مؤقت يمكن من إدارة البلاد ادارة منظمة طبيعية .

بناء على ذلك قرر المفوض السامى أن يعهد فى السلطة التنفيذية - تحت مراقبته - الى مجلس مؤلف من مديرى مختلف المصالح الوطنية برياسة مدير الداخلية ، ويؤلف مجلس المديرين بقرار من المندوب السامى ويجوز له أن يتخذ

قرارات بتعيين الموظفين الملكيين ، ويجوز له بناء على رأى المجلس أن يصدر مراسيم لها مفعول القوانين ولاسيما فى الشئون المتعلقة بالميزانية . وتتخذ المراسيم التشريعية بعد موافقة المندوب السامى التى تجعلها نافذة » .

هذا هو موقف فرنسا فى سورية فأما موقفها فى بقية مستعمراتها الاسلامية فعلى ما كان عليه من عسف وجور ونفى للاحرار وتعذيب للوطنيين وهؤلاء شباب المغرب وعلى رأسهم الآن محمد بن عبد الكريم لا زالوا فى أعماق المنافى والسجون

وأما انجلترا فقد أخذت تتلون كالحرباء فى حل قضية فلسطين وانتهى مجهودها وخداعها باصدار الكتاب الأبيض الذى لم يرض أحدا من الأمم الاسلامية حتى ان واحدة من الحكومات لم تشأ أن تتورط فى التوسط لدى عرب فلسطين البواسلين لقبوله

ولم تكتف بهذا بل أخذت جنودها تهاجم اليمن وتحتل أرضا يمانية بحجة كاقليم شبوه وتدعى على لسان محطات الاذاعة فيها أنها ضمن منطقة عدن المحتلة مما أدى الى احتجاج جلالة الامام لدى ملك انجلترا احتجاجا صارخا هذا نصه :

« من ملك اليمن الامام يحيى الى صاحب الجلالة الملك الامبراطور جورج السادس المعظم بلندن .

بعد تقديم وتأكيد الاخلاص والتعظيمات لذات عظمتكم أعرض لجلالتكم تأثراتى العظيمة من اذاعات راديو لندن باللسان الرسمى الحكومى وادعائها أن شبوه ومناطقها داخلة فى الأراضى العدنية المحتلة مستندة فى ذلك الى معاهدة سنة ١٩٤٠ (كذا من أصل البرقية)

وقد كنت خاطبت جلالتكم سابقا بشأن شبوه ومناطقها كلها وأنه لم يكن لأحد شأن فيها فى أى وقت كان لا من قبل ولا من بعد ، وكنت رجوت من عدالة جلالتكم طلب أوراق المخابرة الواقعة بشأنها من عدن للاطلاع على ما حدث من الوقائع بهذا الخصوص بين عدن واليمن فان ادعاء عدن بشبوه ومنطقتها مخالف لكل الوقائع وعار عن كل اثبات . فحكومتى مجبورة للاحتجاج ولا يمكن لليمن السكوت عن عمل مغاير للحق ومخالف للصداقة بكل معنى .

ومعلوم لجلالتكم أن شبوه ومنطقتها يمانيـة منذ خلق العالم الى اليوم ، وسيطرة اليمن لم تزل عليها ولاهى افترقت يوما واحداً عن أمها اليمن . وكل قرار غير شرعى بشأنها نرده بلا شك . ولم تتعهد اليمن لدولة ولا لشخص بان تسلمه حقوقها وملـكها وهل يمكن ، ياصاحب الجلالة ، بيع أو اهداء أى أرض أو زراعة ممن لايصح تصرفه فيها ؟ ومن المعلوم أن العثمانيين وغيرهم لم يدخلوا شبوه ومنطقتها فـلم يتصرفوا بشىء فيها ومنها . وهـل من المعقول والمقبول المطالبة بهدية تقدم من مالـكها ؟ ومن المعلوم أن جدنا الامام الهادى هو الذى عمر الحصون قبل ألف سنة وأن سلفنا الامام أقام فى شبوه . فنحن متسلسلون فى شبوه ، وسكانها متعلقون بحكومتنا مع جملة اخوانهم بنى جابر .

وفى سنة ١٩١٤ ابتدأت الحرب العامة وتحاربت انجلترا مع العثمانيين . ولم يبق للدولة العثمانية وجود فى العالم . وأما تركيا الحاضـرة فلم تصل الى اليمن ولم تعمل لليمن شيئاً فهل يمكن ، ياصاحب الجلالة ، أن تجيز القوانين الشرعية والمدنية العالمية الاعتداء على بلاد دولة مستقلة واغتصابها ؟ .

وهل يستطيع أى يمنى كان أن يرضى بتسليم أرض أجـداده التى حافظوا عليها الى هذا اليوم بدمائهم وجهودهم . فارجو من عدالتكم ، ياصاحب الجلالة ، أن تنظروا الى الأمر بعين العدل . ومعلوم جلالتكم أن عرشكم العالى وحكومتكم الجليلة عقدا برضائها وطلبهما معاهدة الوداد والصداقة مع اليمن .

وتصرح المادة الثالثة من هذه المعاهدة بانه لايجوز أن يتبدل أى حال بين عدن وبين اليمن الا بالاتفاق بين الطرفين ورضائهما وموافقتهما بالطرق الودية ، وأن تبقى الحالة التى كانت قائمة فى تاريخ عقد المعاهدة نافذة المفعول فهل ، ياصاحب الجلالة ، يرضى عدالـكم وهل ترضى القوانين الدوليـة والحقوق السياسيـة والانسانيـة بعد تلك المعاهدة والشروحات المذكورة الودية وبعد مرور ست سنوات من عهدها أن يعتدى على شىء من أرضنا وحقوقنا الطبيعية وهل يمكن موافقتكم على هذه الاعتداءات والتجاوزات ؟

وانى بكامل احترامى وتعظيمى لذات جلالتكم المعظمة وبتمام تقديرى لحكومة

جلالتكم السنية ولشعبكم النصف الكريم أرجو من جلالتكم تحقيق وتدقيق هذه المعاملة واصدار أوامركم العادلة الى من يلزم بان يتفضلوا باحترام حقوقنا وشعبنا بلا جرح قلوب أمتنا وبلا استحقار أصدقائكم اليمنين الذين هم ثابتون حالا ومستقبلا فى صداقتكم ، وبان لايكون أى اجحاف بحقوق بلادنا ولا مخاصمة بين الدولتين المتضامنتين المتحابتين المتعاهدتين ان شاء الله

وتفضلوا يا صاحب الجلالة بقبول عواطف حسن نيتى وصداقتى وتقديراتى الخالصة الفائقة ؟ فى ١١ جماد الاول ١٣٥٨ - ٢٩ يونيو سنة ١٩٣٩

فهل بمثل هذا الاستفزاز تريد الدول الديمقراطية أن تحصل على صداقة المسلمين والعرب .

ان الموقف الحالى يستدعى من العالم الاسلامى أشد الاهتمام وان الفرصة سانحة للمسلمين والعرب لو أرادوا أن ينتهزوا

وحضرات أصحاب الجلالة ملوك المسلمين وبخاصة جلالة الملك فاروق والملك عبد العزيز آل سعود وصاحب السمو الملكى الأمير عبد الاله الوصى على عرش العراق وجلالة الامام يحيي حميد الدين هم موضع الرجاء فى إفادة شعوبهم من مثل هذه الحوادث والله تبارك وتعالى سيسألهم عما استرعاهم وكل راع مسئول عن رعيته

ومن واجب الحكومات الاسلامية أن تتفق جميعا على خطة حازمة تعلن بها انجلترا وفرنسا فى اجماع وفى حزم وإصرار أن تبرم المعاهدة السورية على غرار معاهدة العراق وأن يكون بين انجلترا وفلسطين معاهدة تستقل بها الأرض المقدسة وتظل عربية مسلمة وأن يكفل استقلال الأوطان الاسلامية الحالية ولا يتعدى على أى جزء من أرضها

وأن يكون بين فرنسا وتونس والمغرب معاهدات سياسية كذلك تكفل لهذه الشعوب المسلمة العريقة أن تصل إلى استقلالها وحريتها فان وافقت الحكومات الديموقراطية على ذلك فهو الخير لها وللناس وإن أبت إلا الاصرار على هذا الموقف الظالم فليعمل المسلمون لأنفسهم وحسبهم مافات

لقد بدأت العراق والحجاز العمل وقامت مفاوضات بين الحكومتين

الهاشمية والسعودية أغلب الظن أنها تناولت فيما تناولته هذه النواحى الحيوية للممالك الاسلامية ولكن كل ذلك لا يكفى فانا نريد أن يكون الصوت إجماعيا من الحكومات الاسلامية جمعاء أو من معظمها على الأقل وأن تكون الخطوات واضحة بينة والوسائل صريحة حازمة وفق الله العرب والمسلمين لما فيه خيرهم وسعادتهم .

حسن البنا

بين الشرق والغرب

أيها الغرب إن للشرق شأنا — وعلى غابر الزمان العفاء
هب من نومه وكان خليقاً — أن يجافى جفونه الاغفاء
تلك صحف التاريخ تشهد أنا — خير نسل أقلت الغبراء
كم عمرنا الديار وهى خراب — وملأنا القفار وهى خلاء
وركبنا البحار وهى طوام — وألفنا الأسفار وهى عناء
يوم لادق بالحديد تراب — لا ولا شق بالبخار الماء
وملكنا بالسيف ملكا جساما — لم يشد قبل وكنه بناء
أيها الشرق حدث الغرب عما — أيقظت من سباتك الأرزاء
وإليك الأبصار من كل قطر — شاخصات وللامور انتهاء
أنسام الهوان دون المنايا ؟ — إنما الموت والهوان سواء
ليس دار الهوان للحر دارا — إنما الحر داره الجوزاء
قد تلونت يا زمان علينا — فحنانيك أيها الحرباء
قرع الدهر نابنا وقرعنا — نحن والدهر لو درى أكفاء
من تفانى فى المجد نال بقاء — وطريق البقاء هذا الفناء
ولقد آن أن يلم شتات — وتسوى أرض ويعلو بناء

محمد حبيب العبيدى

« بتصرف »

ما أحوجنا فى هذا الزمان

إلى هداية القرآن

(بقلم الاستاذ الكبير محمد أحمد جاد المولى بك كبير مفتشى اللغة العربية بوزارة المعارف المصرية)

قد وضح للمنصفين من العلماء والباحثين أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق هذا الخلق عبثا ، ولم يتخذه لهوا ولعبا ،

« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين » . « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق » . « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون » . « أيحسب الانسان أن يترك سدى » : وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون »

وسواء أريد بالعبادة ظاهرها أم معرفة الله كما ذهب ابن عباس رضى الله عنهما فالمعرفة لاتكون بدون عبادة والعبادة لاتكون بدون معرفة .

لذلك كانت حاجة الناس إلى اهتداء بشريعة الذى فطرهم ضرورية وفوق حاجتهم إلى كل شىء . ، ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب مثلا فأهل البدو كلهم . وأهل الكفور جميعهم وعامة بنى آدم لا يحتاجون إلى طبيب وهم أصح أبدانا وأقوى طباعا ممن هو متقيد بالطبيب من أهل المدن الجامعة .

ولقد فطر الله بنى آدم على تناول ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم ، وجعل لكل قوم عادة وعرفا فى معالجة ما يهجم عليهم من الأدواء حتى أن كثيرا من أصول الطب إنما أخذت من عادات الناس وعرفهم وتجاربهم

أما الشريعة فقائمة على معرفة الانسان مواقع رضا الله وسخطه فى أعماله

الاختيارية ، ولا طريق لهذه المعرفة إلا الوحى المحض بخلاف الطب فمبناه على تعرف المنافع والمضار التى للبدن وعليه . وأساسها التجارب والاختبار وغاية مايقدر فى جهل تلك المنافع والمضار موت البدن وتعطيل الروح عنه ، وأما مايقدر عند فقدان الشريعة ففساد النفس وتنكبها الصراط السوى وانغماسها فى حمأة الرذائل مما يودى بها وبالمجتمع الذى تعيش فيه وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت .

فالناس أحوج مايكونون إلى معرفة ماجاء به الرسول ﷺ والقيام به والدعوة اليه والصبر عليه وجهاد من خرج عنه حتى يرجع اليه . وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة ، ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسر ، وتاريخ الامم الاسلامية أيام اعتصامها بحبل الدين وتهاونها به ، وما نراه فى الامم الغربية من الامراض الاجتماعية والخلقية المستعصية مع سعتها وعلو كعبها فى شئون المادة شاهد على ذلك

وماجاء به الرسول هو الكتاب الكريم والسنة الصحيحة وذلك هو الاسلام وهو دين الله وشريعته فى جميع الامم منذ بدء الخلق حتى تقوم الساعة . وقد أخبر الله بذلك فى غير موضع من القرآن « إن الدين عند الله الاسلام » فدين الاسلام هو دين الاولين والآخرين من النبيين والمرسلين وقوله تعالى « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » عام فى كل زمان ومكان . فنوح وإبراهيم ويعقوب والاسباط وموسى وعيسى والحواريون كلهم دينهم الاسلام . وهو عبادة الله وحده لاشريك له والاستسلام له ظاهرا وباطنا وعدم الاستسلام لغيره كما قد بين ذلك القرآن فدينهم كلهم واحد وإن تنوعت شرائعهم . قال تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا »

وقال تعالى لنبيه ﷺ « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون » « إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض »

ولقد جاء القرآن الكريم والسنة الصحيحة بشرائع الاسلام الظاهرة وحقائق الايمان الباطنة . ففى مسلم عن عمر رضي الله عنه أن جبريل أتى النبى

صلى الله عليه وسلم فسأله عن الاسلام والايمان والاحسان فأجابه . « الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ، والايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك : »

فمن لم يقم بشرائع الاسلام الظاهرة امتنع أن يحصل له حقائق الايمان الباطنة . ومن حصلت له حقائق الايمان الباطنة فلابد أن يحصل له حقائق شرائع الاسلام الظاهرة . فان القلب ملك والأعضاء جنوده . ومتى استقام الملك وصلح استقامت جنوده وصلحت . فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال « ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهى القلب »

وإن أصل الايمان والتقوى الايمان برسل الله أجمعين ، وملاك ذلك الايمان بخاتم الرسل ﷺ فالايمان به يتضمن الايمان بجميع كتب الله ورسله .

وأصل الكفر والنفاق هو الكفر بالرسل وبما جاءوا به وذلك يستوجب العذاب الأكبر . وقد أخبر الله تعالى فى كتابه أنه لايعذب أحدا إلا بعد بلوغ الرسالة قال تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » « وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا » ؟

فالقانون السماوى سبب السعادة ومن الخطأ الاعتياض عنه بالقانون الأرضى الانسانى الذى لايخلو - وإن توفقت عليه الآراء - من أغلاط وأخطاء لاسيما إذا كان ممن لاعلم عندهم بمعانى كتاب الله وسنة نبيه الداعى إلى الله على بصيرة .

حقا إن الاعتياض عن القانون السماوى بالقانون الأرضى من أعظم أسباب المقت والحرمان وأكبر موجبات العقوبة والخذلان إذ هو إتخاذ لدين الله هزوا ولهوا ولعبا وتبديل النقمة بنعمة الله والكفران بالشكران . وشرع دين لم يأذن به الله واتباع لغير سبيل المؤمنين

مشاقة ومحادة ومحاربة وخيانة لله ورسوله وعشو عن ذكر الرحمن وإعراض عنه إلى غير ذلك من المفاسد والمحاذير التى لاتدخل تحت الحساب ولا تضبطها أقلام الكتاب قال تعالى « وذر الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا »

« ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار »

« أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله »

« ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا »

« ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم »

« إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم »

فإذا كان هذا حكم الباغين المحاربين الخارجين عن طاعة الامام الذين شقوا عصا الجماعة فما بالك بمن دعا الناس كافة عربا وعجما مؤمنهم وكافرهم إلى قانون اخترعه هو أو غيره من جنس الخيالات الباطلة فخرج هو وأخرج به عن طاعة الله وطاعة الرسول وحاربهما وحادهما وشاقهما بمخالفة أمرهما ؟ بلى وربك فانه رأس الفساد وأم الشرور والخبائث وما يعقله إلا العالمون

وقد وسم الله من خالف أحكامه واتبع غيرها فى أحكامه وأعماله بالظلم والكفر والفسق قال تعالى

« ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه »

« ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون »

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون »

« ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك

يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا . وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا »

قال أهل التحقيق من المفسرين . الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع . فطاغوت كل قوم من يتحاكمون اليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله .

فالقرآن يدعو إلى تحكيم ما أنزل الله وعدم تحكيم ما عداه إما تصريحا وإما تلويحا وله جاهد من جاهد ويجاهد من يجاهد من عباد الله المتقين من لدن بعث سيدنا محمد ﷺ إلى يوم تقوم الساعة . فقد صح عنه أنه قال « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا خلاف من خالفهم حتى يأتى أمر الله . » فبتحكيم ما أنزل الله يقوم العدل ويؤيد الملك ويستقيم أمر المعاش والمعاد وتكمل لهم الراحة والأمن والحرية التامة .

ومن شك فيما تقدم فلينظر الفرق بين حال الاسلام فى هذه القرون المتأخرة التى عطلت فيها حدود الشريعة وأحكامها وحاله فى القرون المتقدمة التى ما كانت على شىء أحفظ منها على أحكام الشريعة وأوعى لها ، فانه واجد الفرق كما بين الثرى والثريا . وكما بين الأرض والسماء

ألا ترى أن الصحابة رضى الله عنهم بعد وفاة نبيهم ﷺ فتحوا ما فتحوا من الأقاليم والبلدان . ونشروا الاسلام والايمان والقرآن فى نحو مائة سنة مع قلة عدد المسلمين وعُددهم وضيق ذات يدهم . ونحن مع كثرة عددنا ووفرة عُددنا بل ثروتنا لا نزداد إلا ضعفا وتقهقرا وذلا وحقارة فى عيون الأعداء وذلك لأن من ينصر الله يمكن له فى الأرض ومن يخذله يخذله ينصر من عنده قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » وقد بين الذين ينصرون دينه بقوله تعالى : « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »

وقد وعد الله رسله ومن آمن بهم بالنصر فى الدنيا والآخرة فقال تعالى .

« إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » .

« ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون » . « إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور » .

ولا يقدح فى ذلك انهزامهم فى بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فى بعض المغازى فإن الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم فى العاقبة ولكنه أراد لهم ذلك ليذكرهم به وليزيدهم إيمانا بأن النصر من عنده « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين »

فمن نصر دين الله نصره الله ومن خذل دينه وخالف رسوله خذله الله فى الدنيا والآخرة .

ألا ترى أن أهل أحد لما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يثبتوا فى مكانهم عند الجبل ولا يزايلوه سواء أكانت الدولة للمسلمين أم عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعاً فلما اختلفوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ها هنا ؟ وقال بعضهم لا نخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة فى نفر دون العشرة وغادر نفر مكانه يجمع الأسلاب .

كر عند ذلك المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموا وقتل من قتل وذلك كله بشر مخالفة بعضهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانهم له وذلك معنى قوله تعالى : « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم » .

ولقد كان أهل المدينة فى خلافة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى أفضل أهل الدنيا والآخرة لتمسكهم بطاعة الرسول واعتصامهم بحبل الله ثم تغيروا بعض التغير فجرى عليهم من المصائب مالم يجر عليهم من قبل « ولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم »

وكذلك الشام كان أهله أول الاسلام فى سعادة الدنيا والدين ثم قامت فتن بما كسبت أيديهم وبما اجترحوا من السيئات وسلط عليهم أعداؤهم فأذلوهم وضاع الملك من أيديهم .

وهؤلاء الأندلسيون كانوا رقودا فى ظلال الأمن وخفض العيش والدعة فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر .

فاشتغلوا بمعاصى الله تعالى وأكبوا على لهوهم ولم يتقوا مواقع سخط ربهم ومقته ففعل الله بهم مالم يحصه قلم كاتب فسلط عليهم عدوهم حتى مزقهم كل ممزق وفرقهم أيدى سبأ ومن قرأ تاريخهم علم ما كان القوم عليه وما صاروا إليه وفى التاريخ أكبر عبرة لمن اعتبر « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون »

صورة كتاب

الشيخ محمد عبده إلى صديق جوابا على تنصل من هفوة بعد عتاب شديد

لو عرضت على نعم الله وفيها عزة الأمراء ، وبرة الأغنياء ، ووفاء الأولياء لما اخترت منها غير الوفاء ، ولعددت نفسى به أسعد السعداء هذه خلتى ـ تقبلها الله ـ وفيها لمهجتى أحياء . بهذا تعلم ما أدخلت من السرور على ، فيما كتبت إلى ، ولو جعل الله للمحبة شكراً أوفى بحقها منها لبذلته ، ولوقدر لها أجراً أجزل عائدة منها نفسها لالتمسته وقدمته . نعم كنت وجهت كتابى إلى شيطانك ، فلاقى الكتاب أكرم نفس فيك ، فانصرف والحمد لله عنك إلى حيث لا أراه فاهنأ بكرم محتدك وزكاء منماك والسلام

تطور الاسلام

لأديب غير معروف

كان نشاط الاسلام الغريب مدعاة دهشة لعقول البشر ، منذ تلك الأيام الممعنة فى الزمن . التى حملت لواءه من فرنسا إلى الصين . ولكن هذه الشعلة الروحية المتقدة مالبثت أن أخذت تخمد على الأيام : حتى ظهر الاسلام فى القرن الثامن عشر فى حال من الاحتضار . فأخذ العلماء يلتمسون المعرفة فى آفاق محدودة من الدين – لا كما نزل به القرآن وجاء به النبي ﷺ : مشرقاً بالنور : سمحاً إلى أبعد الحدود – بل كما فهموه ، هزيلا ضيقاً ، بل على أكثر مايكون عليه الدين من الهزال والضيق حين يبدأ فيسمح لظل آدمي أن يقوم بين العقل البشرى والله .

إن الاسلام ، دين الفكرة المتحرر ، الذى استطاع أن يطرد الخرافات الكهنوتية من البلدان التى استظلت بظله ، انتهى إلى أن يكون هو نفسه مثقلا بأنواع العبودية والخرافات .

فرض الاسلام على معتنقه أن يطلب العلم من المهد إلى اللحد ، ونقل عن النبي ﷺ أنه قال « فضل العلم أفضل من العبادة » . ولكن هذا الفرض أهمل فى عصور انحلال الثقافة العربية إهمالا مخجلا اطرحت معه دراسة العلوم الطبيعية من زمان . فكان ذلك من أهم الأسباب لتأخر الاسلام فى العصر الأخير . قال المستعرب الفرنسى الشهير ، « كازانوفا » :

منذ أن خبت شعلة الثقافة العربية زمن الغزو العثمانى ، ومنذ أن أخذ الاسلام الأول تثقله ربقة « أرثوذكسية » متحرجة ، ونحن ننظر إلى عقل العرب الحديث كشىء يختلف عن عقولنا ، ونعتقد أن المسلمين ليسوا بقادرين على أن يفهموا فكرنا ويمثلوه ، ناسين كلمة نبيهم الرائعة ، التى كانت مصدر الهدى لحضارتهم الأولى ، والتى تقول : « فضل العلم أفضل من العبادة » . إنى لأتساءل : أى رئيس دينى ، أو أى مبشر عظيم جرؤ فى يوم أن يتلفظ هذا الكلام الجسور ، الذى يكون « دستور الايمان » لعالمنا الثقافى اليوم ، فى حين

أن كلاماً كهذا كان يعد — لزمن غير بعيد — كفراً عند الجمهرة الكبرى من العقول المثقفة . بل أستطيع أن أتساءل أى أوربى فى عصر محمد استطاع أن يفكر بامكانية فظاعة كهذه ! . وعلى هذه ، فأصح البديهيات عن حرية الفكر ، هـذه البديهيات التى تدع وراءها أجرأ آراء « لوثر » و « كالفن » وأمثالها ، إنما فاه بها عربى من أهل القرن السابع ، هو مؤسس ذلك الدين الذى يزعم كثير منا أنه منحط انحطاطاً لا يرجى له علاج . وفى الحق ، ان تذوق العلم ، والتأملات الفكرية فى شتى الميادين ، وان حب الفكر الاغريقى والاعجاب بمآثره ، وهذا الفضول الملح لمعرفة مافى الطبيعة ، والرغبة الحادة فى رفع النقاب عن هـذه الطبيعـة — كل أولئك كان يمثل المزايا الصحيحة للروح العربية . إن هؤلاء العرب العظام الذين فقناهم فى الأربعة القرون الخالية ، كانوا الأساتذة الكبار للفكر الحديث قبل عصر النهضة » .

بيد أن العلماء الذين كان عليهم أن يرعوا تعاليم الاسلام الصحيحة مالبثوا مع الزمن ، أن رقفوا كل اهتمامهم على الفرعيات الصغرى من العبادات ، فكانت ، بذلك مفارقة خطرة لجمود الشرع الأول ، وكانت أن نشأت فى البلدان الاسلامية رجعية متحرجة ، وتعصب مخالف لروح الاسلام ، وطغت على مراكز الثقافة العربية مدرسـية متطرفة كالتى عرفت فى القرون الوسطى ، تشوبها طائفة من الخرافات الفارغة . فمد الجهل رواقه على الطبقات الدنيا ، فرغبت عن كل تجديد وأصبح المجتمع الاسلامى فاسدا على الجملة .

إن روح الاسلام لا تمنى — على أى حال — الاطمئنان إلى هـذا الوضع الذي يسود العالم الاسلامى ، أو القناعة به . لأن الجبر (أى الاعتقاد بالقضاء والقدر على أنهما اجبار) لا يؤلف قسما من العقيدة الدينية . أما العامة ، فقد تملكتها بسبب الجهل والعبودية السياسية فيما بعد روح قناعة وتسليم تكفى لاحداث ركود عام فكان بذلك سبب رئيسى من الأسباب التى عاقت التقدم السياسى والاقتصادى للدول الاسلامية .

لقد تقدمت دول النصرانية فى ميدان الحياة المادية ، كما تقدم المسلمون

زمان كانوا يخضعون لتعاليم الشرع التى نادت بحرية الفكر ، وحضت على طلب العلم . ودرس ماخلق الله . لقد اطرح الاوروبيون الأصفاد الاكليركية والمدرسية الضيقة : فكان تقدمهم فى الحقل المادى مدعاة للدهشة . بقدرما كانت الفتوح — المادية والروحية — التى قام بها المسلمون الاولون .

وضعف آخر عانى منه الاسلام كثيراً فى تاريخه . هو نفوذ الاوتوقراطية السياسية السيء . فان قيام الاوتوقراطية المستبدة على رأس الاسلام قد أضر به كثيراً فى الحقبة التى سبقت الحروب الصليبية بقليل . إذ كان جو الفساد الذى خلقته هذه الاوتوقراطية المستبدة عائقا لنمو الاسلام . فتفسخت الأمصار الاسلامية إلى وحدات يسيطر عليها طغاة منهمكون فى منازعاتهم وحربهم التى يستغل فيها الدين ويسخر لأغراض غريبة عنه . فما طال الزمن حتى كان الشرق المسلم غارقا فى ظلام عميق مضيق من أفقه الثقافى . وانتهى به إلى عقم أدبى عام وعامل هام آخر ساعد على تأخر المسلمين . هو نشوء شعور بالتسامى مزور قام على التبجح بالفتوح العظيمة . والتغنى بمآثر الاسلام فى العصور الأولى . وحمل المسلمين على أن ينظروا إلى المخترعات الحديثة التى ولدها العقل الغربى نظرة استحقار واستخفاف .

إن المسلمين فى عصور انحطاطهم لا يشبهون المسلمين الأول إلا قليلا . فلم يعملوا بما قضته شريعتهم . ولاعنوا بتتبع سنن نبيهم . لقد قطع المسلمون شوطا بعيداً فى الحقول العقلية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية أيام استمسكوا بأمر دينهم ونهيه . ولكنهم لما رغبوا عن حبلهم هذا المتين . فقدوا روح البطولة . وأسقط فى يدهم . فأهملوا تثقيف أولادهم . كما أهملوا تثقيف بناتهم بخاصة . لقد ناءوا بهذه الحضارة وهذه الثقافة التى بناها أسلافهم بتأثير القرآن . والتأسى الشريف بالنبي ﷺ . فما استطاعوا الحاصونا . وضعفت روح التكتل وأخذ التفسخ يظهر واضحا .

وكان الغزو المغولى فى القرن الثالث عشر ضربة أخرى شديدة على الثقافة

الاسلامية إذ عطلت جيوش جنكيزخان أعظم مراكز العلم ، وأودت بمعظم العلماء . كان كل ذلك فى يوم كانت فيه الحدود الشرقية للامبراطورية الاسلامية غير مصونة إلا قليلا . وهنا نلاحظ أن فرضا من فروض الشريعة قد نسى أو أهمل : هو الجهاد . فانتهى الأمر أخيراً إلى سقوط بقايا الامبراطورية الاسلامية فى أيدى دول الاستعمار الأوروبية .

لقد عاقت الحروب الصليبية نمو الاسلام . فى حين أن اكتشاف طريق الهند التجارية الشرقية . واكتشاف أميركا مع مادعا إليه من اتجاه التجارة العالمية ناحية الغرب الى جانب ازدهار الحركة الصناعية والمواصلات عبر المحيط كل ذلك كسف أخيراً عالم الاسلام . فما آذن الزمن بالقرن الثامن عشر . حتى كان العالم الاسلامى غارقا فى سبات بينا شهد القرن التاسع عشر سقوط الدول الاسلامية . الواحدة بعد الأخرى . فى قبضة الدول الغربية المغيرة .

ولكن السبات والركود ليسا من مبادىء الاسلام : إن هما إلا نتيجة لاحداث سياسية واقتصادية . وهكذا أخذت تقوم فى ذلك الحين محاولات فى الاصلاح الدينى . أظهرت واضحا أن خلف الرماد حياة للاسلام صحيحة فذة . هذه الحركات الاصلاحية نشطت لاحياء مجد الاسلام الأول . وطمحت إلى إعادة الدين إلى شكله الصافى الخالص قبل أن تثقله المعتقدات الدخيلة والبدع المفسدة .

وكان ابن تيمية فى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادى) العدو الأول لهذه البدع . ولكن أربعة قرون تصرمت قبل أن تؤتى آثاره أكلها يانعا . ففى القرن الثامن عشر تأثر محمد بن عبدالوهاب من أهل نجد . بدراسة مؤلفات ابن تيمية فحاول كما حاول أستاذه من قبله أن يرجع للاسلام حيويته الأولى وصفاءه الأول . وأن يجتث الرذائل . ويبطل البدع المخالفة لتعاليم الدين الفطرية مجرداً حملته فى سبيل هذا الاصلاح الدينى حوالى سنة ١٧٤٠ بعد أن حز فى نفسه ما رآه من التفسخ الأخلاق وذيوع الخرافات بين المسلمين . وفى سبيل هذا بشر محمد بن عبد الوهاب بالرجوع إلى مصدرى الاسلام الأولين . كتاب الله وسنة رسوله .

وقد حمل هـذا المصلح الطهرى . مؤسس الوهابية كل مافى وسعه ليعيد للاسـلام بساطته الشديدة الأولى . فـكانت الحركة الوهابية فى الواقع بشـير الانتعاش للاسلام الحديث . ولا نستطيع هنا . بداعى ضيق المجال أن نعرض بكلام مسهب لنمو هذه الحركة . إنما يكفى الذكر أنها نشأت فى جزيرة العرب فى ظل البيت السعودى وانتشرت فى نجد . ثم فى الحجاز زمنا قصيراً تقلصت عنه بعده إلى أن قام عبد العزيز بن سعود ببضع حملات ناجحات استعاد بها الحجاز وضرب بسلطانه على القسم الأعظم من بلاد العرب .

امتدت الحركة الوهابيـة إلى ماوراء الجزيرة . وعملت على إثارة حركات مشابهة . مستوحاة منها فى الهند وافريقيا وجزر الملاى . بل إن حركة السنوسى الشهيرة نفسها مدينة فى منشئها للايحاء الوهابى .

ففى منتصف القرن التاسع عشر حمل السير سيد أحمد خان لواء حركة تحريرية إصلاحية فى الهند . كان من ثمارها تأسيس جامعة إسلامية فى عليكره يتلقى فيها الطلاب إلى جانب التربية الدينية . ثقافة عصرية عميقة . ولقد اتجه السير سيد على فى المسائل الفقهية اتجاها حديثا محاولا أن يلائم بين حياة الشعوب الاسلامية وبين العصر الجديد وأن يؤلف بين الثقافة والتقاليد الاسلامية . وبين الآراء الحديثة والعلم الحديث .

وبعد وفاة السير سيد تعهد الحركة مولاى شيراغ على ومن بعده سيد أمير على الذى عبر عن آراء المجددين فى كتابه المعروف : « روح الاسلام » وتطورت الحركة من بعـده ، جامعة بين « العقلية » والتحرر ، وكان لها ممثلها فى شخص : « س خودا بخش » صاحب كتاب « رسائل هندية وإسلامية »

ويجب أن نذكر بصدد هذه الحركة العمل الذى قام به حكيم أجمل خان ، من دلهى ، إذ وقف نفسه على تدريب الطلبة المتأخرين من الجامعة فى عليكرة ، وبعثهم إلى الخارج مبشرين ، لينشروا بين شباب الطبقات المثقفة . ثقافة إسلامية حديثة مؤسسة قبل كل شىء على القرآن .

أما أعظم مصلح فى الهند الاسلامية غير مدافع فهو المرحوم السير محمد اقبال

الفيلسوف الشاعر الكبير . الذي ألهمت آراؤه ومؤلفاته « مدرسة » من المفكرين الدينيين والسياسيين في الهند . ومن أبرز آثاره كتابه الممتع عن « تجديد التفكير الديني في الاسلام » الذي كان يريد فيه كما يقول « ان يلبي ولو جزئيا هذه الرغبة الملحة في إيجاد شكل علمي للمعرفة الدينية عن تجديد طريق الفلسفة الدينية الاسلامية على أساس من تقاليد الاسلام والتطورات الأخيرة في مختلف ميادين المعرفة الانسانية . » ولكي نقدم فكرة صادقة عن قيمة مؤلف السير محمد إقبال هذا لانجد أفضل من أن نقتبس ههنا الفقرة التالية من مراجعة له بقلم عالم « غربي » ممتاز لما فيها من « إشارة » الى العلاقات الغربية الاسلامية :

« إن العالم الغربي لا يعرف السير محمد اقبال — اذا استثنينا طبقة من الخاصة صغيرة — المعرفة التي يستحقها . قد لا يكون محمد اقبال مؤرخا ولكنه فيلسوف لاهوتي ديني من الطبقة الأولى بعقل معجز جبار . وإدراك هذه الحقيقة لم يكن بالسهل على الغرب بسبب « إسلامية » إقبال كما كان في شأن طاغور الشاعر الغامض وغاندي الذكي الغريب . ان من الجميل أن يكتشف الغرب مسلما مجددا حقا هو في الأقل صنو لأعظم مفكري الغرب في كل ناحية .

كم يكون من المؤسف أن نسلب القارىء الغربي لذة الاكتشاف الشخصي بتقديمنا هذا الرجل اليه ملخصا . فليس هناك رجل في العالم المسيحي يحق أن يدعى عصريا — أو ما شئت من النعوت — إذا لم يكن قد « اكتشف » بعد محمد اقبال وليس هناك كتاب للسير محمد أجدر من هذا كأداة وصل في هذا التعرف » .

فاذا انتقلنا الى تركية . كان علينا أن نشير الى حركة اصلاحية سايرت ثورة سنة ١٩٠٨ . فحزب « تركية الفتاة » نادى بالاخوة والمساواة بين رعايا السلطان جميعا . وكان أحد مقدمي الزعماء في « جمعية الاتحاد والترقي » المصلح والسياسي الأمير سعيد حليم باشا الذي كان يعتقد أن الاصلاح لا يقوم على اقتباس ما هو غربي ، بل بالعودة الى الاسلام . وكان يعمل لامبراطورية إسلامية مستقلة .

ويؤيد الخلافة فعل الكثرة المطلقة من أعضاء جمعية الاتحاد والترقى ، مسترشداً بغايته الأولى وهى بناء الدولة الاسلامية الصحيحة على قواعد حديثة . ولكن مؤثرات مغايرة كل المغايرة لأهداف الأمير سعيد حليم باشا ما لبثت أن ذرت قرنها ، فقامت فكرة الوحدة الطورانية . رامية إلى خلق ثقافة تركية قومية حديثة

بيد أن أبرز المصلحين فى القرن التاسع عشر كان السيد جمال الدين الأفغانى الذى كان له الأثر الأعمق على الحركات الاصلاحية فى شتى الأقطار الاسلامية . ومصر بخاصة حيث قضى ثمانى سنوات (١٨٧١ — ١٨٧٩) وحيث تتلمذ عليه الشيخ محمد عبده . مفتى الديار المصرية الذى توفى سنة ١٩٠٥

لقد شملت أعمال هذا الرجل العظيم جميع أمصار الاسلام على التقريب . فخضعت أفغانستان وإيران وتركية ومصر والهند جميعاً . وفى فترات متباينة لأثره البعيد .

إن غاية جمال الدين القصوى كانت توحيد الشعوب الاسلامية فى ظل دولة إسلامية واحدة يمارس فيها الخليفة سلطة مطلقة كالتى كانت للخلفاء فى أيام الاسلام الغرر قبل أن تنهك من قواه الفتن والتفسخات . وقبل أن تغرق البلدان الاسلامية فى ظلام من الجهل والمسكنة . فتصبح فريسة الاعتداء الغربى . كان يعتقد أن هذه الدول الاسلامية اذا تخلصت يوما من وباء الاستعمار الغربى والتدخلات الغربية . وجددت نظرتها الى الدين بحسب مقتضيات العصر ، استطاعت أن تخلق لنفسها أوضاعا جديدة باهرة دون تقليد للدول الغربية أو اعتماد عليها . وعنده أن الدين الاسلامى فى جوهره دين دنيا . وأنه قادر إلى أبعد حد لما له من قوة روحيه على أن يساير اختلاف أحوال الحياة . ويرى أن الثورات السياسية هى أسرع وأضمن سبيل يوفر للشعوب الاسلامية الحرية التى لا تستطيع هذه الشعوب أن تنتظم أمورها الداخلية بدونها . وقد وصف مؤرخ مصرى احتكاك جمال الدين بالشئون المصرية بهذه الكلمات . « لقد

ولدت بنزول جمال الدين مصر حركة جديدة قالت بوجوب تحديد التدخل الأجنبي والحكم الاوتوقراطي . وحاولت تحضير عقول الشعب لانشاء نظام قومي متحرر كما بذلت جهود لاصلاح الحالة الاجتماعية للجماعات عن طريق تفسير جديد لتعاليم الدين التي أفسدت من روحها الخرافات والتقاليد والتفصيلات الفقهية في عصور الظلام »

قادت هذه الحركة إلى يقظة صحيحة تظهرت في الاسلام الديني . كما تظهرت في البعث الثقافي والأدبي . وفي التطورات السياسية التي دلت على نمور في الروح القومي . لقد كان جمال الدين أعظم شارح لفكرة الجامعة الاسلامية .

وأخذت الحركة الاصلاحية والتجديدية في مصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر شكلا محدداً على يد الشيخ محمد عبده قاصدة إلى تحرير الاسلام من القيود التي كبله بها التقليد المتحجر . وإلى الاصلاح الذي يجعل هذا الدين قادراً على مسايرة الحياة المصرية . وهكذا نشر محمد عبده في مصر روح أستاذه جمال الدين ومثله العليا . وعمرت هذه الحركة في مصر إلى وقتنا الحاضر تاركة آثارها في شتى الميادين كما لاقت آراء الشيخ محمد عبده أذنا صاغية بين الطبقات المثقفة في مصر وغيرها من الأقطار الاسلامية فتقبلوها بقبول حسن .

وكان السيد محمد رشيد رضا السوري الأصل مقدم تلاميذ الشيخ محمد عبده . فلما قبض الشيخ الامام ظل رشيد رضا الأمين على رسالته . والشارح لتعاليمه . وهو مؤسس مجلة « المنار » المشهورة التي أصبحت بعد لسان الدعوة لآراء الشيخ محمد عبده . ومعقل الكفاح لتحقيق إصلاحاته . وهناك مدرسة ثانية من المجددين تأثرت بعيداً بحركة الشيخ محمد عبده بين رجالها أمثال قاسم أمين وفريد وجدي وعلى عبد الرزاق (مؤلف كتاب « الاسلام وأصول الحكم » وغيرهم من كبار الرجال .

وانا لنلمس آثار جمال الدين الأفغاني في الأجزاء القاصية من العالم الاسلامي . كروسيا مثلا حيث هب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مصلح مشهور هو اسماعيل جاسبرنسكي محرر جريدة « ترجمان » الصادرة في

من بلاد القرم ، والذى دعا إلى عقد مؤتمر اسلامى عالمى لبحث المسائل المتعلقة بالحركة الاصلاحية الاسلامية .

إذا نظرنا إلى الحال اليوم ، رأينا الاسلام يواجه إزمة اختلف فى تأويلها المفكرون المسلمون والغربيون . قال السير محمد إقبال :

« إن الملاحظ السطحى للعالم الاسلامى الحديث هو وحده الذى يعتقد أن الأزمة الحالية فى هذا العالم الاسلامى إنما ترجع إلى أيدى القوى الأجنبية .

« إن مسألة ما اذا كان الفرد مسلما ، هى من وجهة النظر الاسلامية مسألة شرعية صرفة يحكم فيها على أساس المبادىء الرئيسية للاسلام . وما دام الفرد مؤمنا بالمبدئين الرئيسيين : وحدانية الله ورسالة نبيه فلا يستطيع أحد حتى أكثر الملوية تحرجا أن يخرجه من حظيرة الاسلام على الرغم من فهمه للشريعة أو لنص القرآن فهما يعتقد فيه الخطأ . لقد عانى الاسلام جموداً كبيراً وآن للمسلمين أن ينظروا إلى الحقائق . ان المادية سلاح خطير ضد الدين ولكنه ناجع مستحب إذا جرد على الطرق الملوية والطرق الصوفية التى تشعوذ على الرعاع مستغلة جهلهم وصرعة تصديقهم . ان روح الاسلام لاتخشى شيئاً من احتكاكها بالمادة . وفى الحق إن القرآن يقول : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا »

« إن من الصعب على غير المسلم ـ إذا اعتبرنا تاريخ العالم الاسلامى خلال القرون الأخيرة ـ أن يدرك أن التقدم فى النظرة المادية لا يعدو أن يكون ضربا من تحقيق الذاتية . »

ومن ناحية أخرى نجد روم لاندو يصف تأثراته حيال الروح الحية التى تسرى فى مصر اليوم :

« ان مصر الحديثة تقتبس اليوم عن أوروبا بسرعة تواقة طامحة إلى أن تلحق بالغرب فى مضمار المدنية الحديثة . وترى فى الوقت عينه وعند الشباب بخاصة ، قومية متطرفة تتخذ فى بعض الأحيان شكل العداء لكل ما هو أجنبي . ومهما كان هذا النوع من القومية داعيا الى الأسف فذلك شىء طبيعى عند شعب حاد

المزاج يطمح أن يرى بلاده مستقلة بعد مئات السنوات من السيطرة الأجنبية .

« ان معضلة الطالب المصرى تكاد تكون عين معضلة الروح المصرية الحديثة كلاهما يجتاز الآن مرحلة انتقال وفى كليهما اللهفة والنزق وغرور الشباب وحساسيته إن العناصر الروحية والمادية والدينية والقومية تختلط جميعاً الى درجة لا يرجى معها حل للمعضلة عن طريق نوع بعينه من هذه الاصلاحات . ورجال السياسة المصرية لم يعتمدوا فى يوم على معاونة زعماء الدين والفكر معاونة فعالة اعتمادهم فى يومنا هذا لأنه ليس من ناقد نزيه يعتقد أن معضلة الشباب المصرى يمكن حلها دون اصلاح روحى عميق يشمل تأثيره الشبان ويعدوهم الى الزعماء والسياسين . »

فاذا عرفنا أن التطور فى البلدان الاسلامية كان دائما على أساس الدين (ولا يمكن أن يكون إلا كذلك) اتضح أن إصلاحا روحيا كالذى يتكلم عليه روم لا تدوم لا يتوفر إلا عن طريق تثقيف شباب الاسلام تثقيفا دينيا صحيحا إن نشوة القومية فى البلدان الاسلامية يجب أن ينظر اليه « كرد فعل » دفاعى ضد الاستيلاء الغربى وكنتيجة للاعتقاد بأن التحرر الكامل من الغرب — سياسيا واقتصاديا واجتماعيا — شرط أساسى لنهوض الاسلام . وهكذا كان من الطبيعى للاقطار الاسلامية فى هذا الدور من نشوئها أن ترى فى القومية مصدر قوة وسلطان . ومهما كان فان هذا المظهر الانتقالى من القومية لابد أن يفسح المجال يوما لضرب من «جامعة أمم» اسلامية مؤسسة البنيان على قواعد روحية . ان المسلمين لا يستطيعون أن يفرطوا بتراث ثقافتهم الروحية العظيمة لمجرد تقليد القومية الأجنبية فى مظهرها الحالى . فالنتائج المضرة لهذا النوع المتطرف من القومية أوضح من أن تؤكد .

بيد أن بلدان الاسلام بالرغم من هذه القومية التى تطغى عليها تظل فى الحق أكثر تجانسا وأبعد وحدة ثقافية من دول أوروبا ففى شطر كبير من العالم الاسلامى أعنى فى الشرق العربى . تسود لغة واحدة للتخاطب والكتابة ذات تراث أدبى وفلسفى غنى جدا . ويستطيع أن يدرسها بسهولة المثقفون فى العالم

الاسلامى كله تلك هى اللغة العربية اللغة المشتركة لستين أو سبعين مليونا من الناس من مراكش إلى الخليج الفارسى وهى تحتل اليوم فى الأهمية المرتبة الرابعة بين لغات العالم كما أنها اللغة الدينية للعالم الاسلامي قاطبة — على حين أن اللاتينية — وقد كانت فى العصور الوسطى لغة مشتركة بين العلماء الاوروبيين لم تعد منذ زمان واسطة التعبير . وليس بين اللغات الحية واحدة لها حق فى أن تصبح اللغة المشتركة أوفى أوروبا . بيد أننا لايجب أن ننسى أن الدعاية القومية مع تأكيدها على الفروقات اللغوية تجعل هذا التطور بعيد لاحتمال فى الوقت الحاضر

أما الفروق فى النواحى الأخرى . أعنى فى نسيج المجتمع والمثل العليا السياسية . فالفروق بين مختلف أجزاء أوروبا أكبر بكثير منها بين مختلف أجزاء العالم الاسلامى . فالعالم الاسلامى أقرب إلى أن يكون وحدة بخاصة فى مزاياه الاجتماعية والثقافية ومؤسساته من أوروبا كلها .

إن من الخطأ أن نزعم أن المثقفين من المسلمين ، والطبقات الرفيعة فى المجتمع الاسلامى قد أخذت فى الابتعاد عن الدين أو عدم الاكتراث به ، بداعى الاقبال على الحضارة الاوروبية والنسج على منوالها . بل أننا ليمكننا أن نذكر دليلا واحداً يؤيد العكس ، وذلك فى مصر حيث تزدهر حركة عظيمة للاحياء الدينى إلى جانب حركة اقتباس الحضارة الغربية فمجلة « الرسالة » وهى مظهر التقدم للفكر العربى الحديث والثقافة العربية الحديثة . تنشر فى كل عام عدداً خاصا بذكرى العام الهجرى الجديد يضم زعماء الفكر . وبينهم رجال المدرسة الجديدة بمقالات فى الموضوعات الاسلامية . تظهر بوضوح روح احترامهم لشخص النبي وللقرآن . وهكذا فالتوفيق الظاهر بين الحركة الاصلاحية الدينية وبين النظريات القومية . هذا التوفيق الذى يكون اليوم عاملا قويا فى نهوض الأقطار الاسلامية . يجب أن ينظر إليه — كما المعنا — كظاهرة زائلة لاتتعارض مع النزعة إلى إحياء دينى خالص . وفى الحق أن فى العالم الاسلامى اليوم جهوداً فردية تحاول أن تنظر إلى الدين نظراً صحيحاً . ولكن أصحاب هذه الجهود جميعاً يدركون ضرورة الاخلاص للقرآن والحديث . وليس هناك مسألة إصلاح

دينى على أساس مذاهب أو « كنائس » مستقلة كما كان الحال فى الغرب لأنه ليس فى الاسلام مكان لعقيدة « الكنيسة » هذه. إن الاسلام اليوم وغداً لن يقف فى وجه التطور الاسلامي فحسب بل سيكون هو ملهم هذا التطور وبكلمة ثانية . فان الصبغة الدينية تطبع التطورات السياسية والثقافية والاجتماعية كلها . إن الرابط الدينى . وهو أعمق ما يشد بين الشعوب الاسلامية على رغم الفروقات العنصرية واللغوية سيظل الأساس لتطور البلدان الاسلامية الاجتماعى . وهكذا تزداد المعتقدات الدينيـة قوة على قوة لدى الأفراد . ولدى الأمة كمجموع .

« المحرر » ننشر هـذا المقال وندع للكاتب رأيه الخاص فى الأشخاص والحوادث التى ورد ذكرها فيه ولكننا نستخلص منه هذه الحقائق التى يزيد أن ينعم النظر فيها دعاة النهوض والاصلاح .

«١» إن المسلمين الآن قد خالفوا تعاليم الاسلام الصحيحة

«٢» إنهم بذلك ليسوا على نهج أسلافهم

«٣» إن طبيعة الاسلام تأبى السبات والركود فلا يأس من الاصلاح

«٤» إن فكرة القوميات فى بلاد الاسلام أنى كانت رد فعل للتعصب الأجنبى

«٥» إن التطور فى البلاد الاسلامية كان دائما على أساس من الدين (ولا يكون إلا كذلك)

(٦) إن الاتجاه الدينى اليوم قوى حتى بين من تثقفوا ثقافة أوربية بحتة

«٧» ان الرابط الدينى سيظل دائماً هو الأساس والملهم للنهضة الحديثة

نقلا عن مجلة (الايمان) البيروتية

من خطبة لمستر ما كدونالد وزير المستعمرات الانجليزية

« إن العالم الاسلامى دخل فى مرحلة جديدة بقوته المتزايده وبكل ما يتضمنه الدين الاسلامى العظيم من قوة مضافا إلى التعاليم الحديثة إن تطوراً جديداً قد طرأ علي العالم الاسلامى وهو تطور يجب أن نحسب له حسابا دقيقاً »

صاحب المنار

السيد محمد رشيد رضا

(إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم ، وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) سورة يس

مات السيد رشيد رضا ، فمات بموته المنار ، ونعاه الناعون مع نعيه ، وأبنه المؤبنون في حفلة تأبينه ، واقترن الأسى على حرمان المسلمين من المنار ، بالأسى على منشىء المنار ، وقد مضى أربع سنين خفت فيها ذلك الصوت المدوى الذى كان يملأ طباق الأرض ، وخبا النور الذى كان يشع في الشرق والغرب . أربع سنين عسعس ليلها، وحار دليلها ، ومل حداؤها ، حتى إذا استيئس الركب، وظنوا أنهم قد أحيط بهم ، لمع لهم نور (المنار) من مشرق جديد ، يبدد الظلام ، ويكشف الغمم ، ويشفي صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم .

ولقد طالما قال القائلون ، إن أعمال المسلمين يقضى عليها بالفشل ، تموت بموت أصحابها فلا تحس لها وجودا ، ولا تسمع لها ركزا ، مات (المؤيد) بموت الشيخ على يوسف ، ومات أمين الرافعي فماتت (الأخبار) بموته ، ومات السيد رشيد فودع المنار يوم وداعه ومات صاحب (الأهرام) فبل أثر موته في انتشار الأهرام ؟ ومات جورجى زيدان منشىء (الهلال) فلم يحل موته دون ذيوعه واطراد نموه ، ومات الدكتور صروف أحد أصحاب المقطم والمقتطف فلم يفت الوهن في عضد شريكه ، وظل في مده وفراهته .

ألا فليطمئن هؤلاء بالا ، فقد شذت القاعدة ، وانخرقت العادة ، وانبعث (المنار) من مرقده ، وعاد إلى الظهور وضاح المحيا ، باسم الثغر ، يستأنف جهاده ، ويتمم رسالته ، ويحتضنه جماعة الاخوان المسلمين ، المنبثين في العالم الاسلامي . بحرارة إيمانهم ، ودافع غيرتهم . متكئين على ماضي (المنار) المجيد

بترجمة القراء مترسمين خطا منشئه العظيم فى إخلاصه وبلائه . وصبره وأناته ، مغترفين من فيض حكمته ، مقتبسين من أنوار معارفه . فلقد كان — رحمة الله عليه — أمة وحده وكان حجة من حجج الله على عباده حتى لقد أتعب من بعده ، وظل التراث شاغرا فلم نجد من يسد مسده ، وأحجم كل من تقدمنا إليهم فى المعاونة على استمرار (المنار) معتذرين بعظم المسئولية وعدم استكمال الأدوات ، يستوى فى ذلك علماء مصر الأعلام ، وغيرهم من علماء الاسلام وأذكر هنا كلمة المرحوم الشيخ حسين والى من كبار الأزهر المشهورين التى قالها لنا أيام المأتم ونحن نتذاكر الأمر : إيتونى برجل اجتمع فيه علم السيد رشيد وصلاحه ، وإخلاصه ، وصبره ، وثقة العالم الاسلامى به . وأنا أضمن لكم استمرار (المنار) وقال نحو ذلك الأستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار . وكان الذين يتمنون هذه الأمنية ، إنما قصارى أمنيتهم أن يكون المنار الجديد صدى للمنار القديم ، حتى لا يسكت ذلك الصوت الصارخ ، ولا تخلو الأرض من قائم لله بحجة .

ولا شك أن المؤمنين سيفرحون بنصر الفكرة ، وتحقيق الأمنية ، وسيتقبلون المنار بقبول حسن ، وسيرحبون بمبادىء الاسلام الصحيحة ، قبل أن تتناولها أيدى التحريف ، وتلعب بها رياح التضليل ، وسيحملهم ذلك الحرص على الرجوع الى مجلدات المنار القديمة ، بل الرياض النضيرة ، يتفيئون ظلالها ، ويقطفون ثمرها وإن جناها لدان ، وإنه لمستساغ فى اللها .

ولما كان المنار الجديد سيعرف قراء جديدين ، وستتناوله أيد جديدة ، وسينضم له أعضاء جدد ، كان من المستحسن أن نقدم لهم ترجمة مختصرة عن صاحب المنار : نشأته وإصلاحه وآثاره وسائر ما يتصل بذلك ، لتكون نورا بين يدى القراء ، فالى اللقاء

عبد السميع البطل

فلسفة النفاق

المنافقون في فلسطين وحكمهم

بقلم أحد علماء الأزهر الفضلاء

« بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة ، فإن العزة لله جميعا » سورة النساء

تنادى الناس فى فلسطين إلى الدفاع عن أنفسهم والذود عن بلادهم والجهاد فى سبيل الله . فنفر فريق بنفسه ، وأعان فريق بماله ، وساهم فريق بجهده ، وقعد المخلفون .

والمخلفون عن الأمة فى كل زمان هم المنافقون فيها ، يتخلفون عن جماعتها ، ويخرجون على أمرها ، ويقعدون عن نصرتها ، ويعملون على خذلانها . ويتولون أعداءها . ذلك أن الإيمان لم يدخل قلوبهم . والإخلاص لا يجد سبيلا إلى نفوسهم . والخير بعيد عنهم . والشر قريب منهم . فهم أعداء الله والناس وأعداء أنفسهم لو كانوا يعلمون . ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾

هؤلاء المخلفون المنافقون هم الثلمة التى ينشدها أعداء الأمة فى صفوفها المتراصة ، يبصرون منها عوراتها . ويستطلعون أخبارها ويستكشفون أسرارها ، وينفذون منها إلى معاقلها الحصينة وحصونها الأمينة ، وهم مطايا الاستعباد ، ونذر السوء ، وأبواق الشر ، وعون العدو ينال بهم ما لا يقدر على نيله بقضه وقضيضه وعدته وعديده

لقد هب الناس جميعا فى فلسطين لدفع كارثة التهويد والاستعمار عن بلادهم

ورفع الظلم النازل بهم ، ونفروا خفافاً وثقالا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ولم يبق منهم من لم يساهم فى هذا السبيل بنصيب كثير أو قليل ، إلا أولئك المخلفون الخائنون الذين طبع الله على قلوبهم ، واستحوذ الشيطان على عقولهم، فانحازوا إلى العدو ، وقعدوا عن نصرة بلادهم ، وفرحوا بمقعدهم وراء العاملين المجاهدين من أمتهم ، يتربصون بهم الدوائر ، ويترقبون بهم النوائب ، وإن تمسسهم حسنة تسؤهم وإن تصبهم سيئة يفرحوا بها . تقر أعينهم بما تفيض له أعين الناس بالدمع ، وتسر أنفسهم بما تذهب أنفس المؤمنين عليه حسرات ، يرون وقد أعمى الله بصائرهم ، وأمات الفسق ضمائرهم فى ضعف أمتهم قوتهم، وفى ذلها عزهم .فهم دوما يسلكون سبيلا غير سبيلها، وهم أبداً يعملون مع عدوها

هذا هو حال أولئك المخلفين المنافقين فى فلسطين اليوم ، وكذلك حالهم فى كل زمان ، وكذلك يكونون فى كل أمة ، يدخلون فى عدادها وهم أعداؤها ، وينتمون اليها وليسوا منها ، وكما فى الحيوان والنبات طفيليات تماق جسمه وتلصق به فتأكل غذاءه وتتنفس هواءه وتترحمه فى معايشه وتعوق نموه فيؤدى ذلك إلى ضعفه ففنائه

كذلك فى البشر طفيليون هم هؤلاء المنافقون ، يعملون فى الانسان عمل ذلك الحيوان والنبات ، حذوك النعل بالنعل

وكما يعمد صاحب البستان فى تعهد نباته إلى المبادرة بإزالة هذه الطفيليات عنه والمسارعة فى إفنائها استبقاء له وحفظاً لثمره ، كذلك يفعل الناس بالمنافقين الخائنين منهم يعمدون إلى إزالتهم ويعملون على إبادتهم كيما يحفظوا أممهم ، وتسلم لهم نفوسهم وجهودهم

ولئن كان الناس منذ القديم يرون فى أعمال هؤلاء أعظم الضرر وأسوأ الجريمة ، ويعدون فعلتهم خيانة عظمى لا تعدلها أية خيانة ويجعلون جزاءها الموت ، فكذلك كان حكم الله عليهم، وكذلك كان قوله فيهم إذ يخاطب رسوله بشأنهم فيقول ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا . ملعونين ، أينما ثقفوا أخذوا

وقتلوا تقتيلا . سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ .
فالله سبحانه حين ينذر هؤلاء باغراء رسوله بهم ، وباخراجهم من البلاد فلا يجاورونه فيها وبلعنهم وطردهم من رحمته ، فهو يطالب بتعقيبهم داخل البلد وخارجها وأخذهم أينما وجدوا وأن يقتلوا تقتيلا . ذلك أنهم حيث ما كانوا لا يدخرون وسعاً فى أذية أمتهم والكيد لقوتهم وموالاة أعدائهم .

وتلك سنة الله فى الخائنين من خلقه من قبل ومن بعد ، وذلك حكمه فى كل زمان على المنافقين ، وعلى الذين فى قلوبهم مرض من فجور وفسق يصدهم عن رضاء الله وصالح قومهم حباً لذاتهم واتباعاً لشهواتهم ، وذلك حكمه أيضا على الذين يرجفون حول المؤمنين فيشيعون أخباراً سيئة عنهم ويقومون بالدعايات المضللة ضدهم لاضعاف شأنهم وتوهين قواهم وتثبيط عزائمهم كما يفعل الخائنون المنافقون فى فلسطين اليوم .

وما أشبه حال المنافقين اليوم حين أدلى كبيرهم بحديث لبعض الصحف المصرية يقول فيه « لو كنا نعلم أن هذه الثورة تقوم ضد الانكليز واليهود لساهمنا فيها ولكنها تقوم ضد العرب أنفسهم » . ما أشبه ذلك بحال المنافقين فى عهد رسول الله فيهم ﴿ وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا ، قالوا لو نعلم قتالا لا تبعناكم ، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ﴾

بل ما أشبه هؤلاء الخائنين فى فلسطين إذ تخلفوا عن المؤمنين فى قتالهم وجهادهم وقعدوا من ورائهم يعوقون الناس عن الجهاد بشتى الوسائل ويخوفونهم بأس العدو وقوته ـ ما أشبههم بأسلافهم المنافقين الاولين الذين يقول الله فيهم حين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله والمؤمنين ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ إلى أن يقول تعالى فى الحكم عليهم ﴿ ولا

لا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون . ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾

وكما أصدر أحد أئمة النفاق بياناً أسماه الناس « الورقة الصفراء » لما فيه من صفرة الخيانة . تودد فيه إلى اليهود وتغنى بمحاسنهم ورحب بهم أن يكونوا أصحاب البلاد فى حين يريد المؤمنون إخراجهم منها . ومناهم بانتصار حزبه حزب الشيطان لهم . وأغراهم بأن يكون عونهم ليشبع جشعه من أموالهم . فكذلك قال أسلافه المنافقون لليهود السالفين حين عمل المؤمنون على إخراجهم من المدينة وكذلك وعدوهم ومنوهم فقال الله فيهم ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً . ولئن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم . ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ﴾

ذلكم بعض ما يقوم به فى فلسطين المنافقون الخائنون الذين يتولى زعمائهم بأنفسهم أكبر أعمال الخيانة قومهم والتجسس للعدو عليهم والاغراء بالمجاهدين العاملين . والدلالة على معاقلهم ومواطنهم والارشاد إلى أماكن أسلحتهم وذخيرتهم . والمساعدة على قتالهم وتعذيبهم مع أولادهم ونسائهم وهدم مساكنهم وإتلاف مؤنهم وأموالهم كما صنعوا فى قرى بيت نجار وكفر مالك وخلحول والمزرعة الشرقية وبيت ريما وغيرها من القرى والمدن العربية يبتغون بذلك العزة عند العدو ويطلبون الرفعة لديه « بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا »

إن ما يقوم به هؤلاء المنافقون من فساد فى الأرض وحرب لله ورسوله فليأذنوا أذن بحرب من الله والمؤمنين « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم

من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب أليم »

ذلك حكم الله على المنافقين المخلفين الخائنين وذلك قوله فيهم ومن أصدق من الله قولا ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون .

فليحذر المؤمنون فى فلسطين هؤلاء المنافقين ولينفذوا حكم الله فيهم . من غير أن تأخذهم بهم رأفة أو تمنعهم منهم صلة وقربى « إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين . كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز . لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم . أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون »

كلمة الأستاذ الإمام فى المنار

وقد شكا المغفور له صاحبه

من قلة الاقبال عليه

الناس فى عماية عن النافع ، وفى انكباب على الضار ، فلا تعجب إذا لم يشرعوا بالاشتراك فى المنار ، فإن الرغبة فى المنار تقوى بقوة الميل إلى تغيير الحاضر بما هو أصلح للآجل وأعونه على الخلاص من شر الغابر ، ولا يزال ذلك الميل فى الأغنياء قليلا والفقراء لا يستطيعون إلى البذل سبيلا ، ولكن ذلك لا يضعف الأمل فى نجاح العمل .

المنار والاصلاح

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الظاهر أبو السمح إمام الحرم المكى

كانت مجلة المنار مجلة إصلاح اسلامى لا يجاريها فى مضمارنا مجار ولا يسبقها فى حلبتها سابق كانت تعنى بتفسير القرآن الكريم وشرحه من السنة المحمدية على طريقة الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله فبعد أن تقرر المعنى تقفى بما فى الآيات من العبر مقارنة بين ما كان عليه المسلمون الأولون وتمسكهم بالقرآن وعملهم به وما عليه مسلمو هذا الزمان مهيبة بهم منذرة لهم مبينة ما يحدثه المبتدعون فى الدين من البدع مجلية شبه الضلال والملحدين من الأمة بالأدلة الواضحة والحجج الساطعة وكان صاحبها أستاذنا العلامة السيد رشيد رحمه الله لا يخشى فى الحق لومة لائم ولا سطوة حاكم ولا يجامل صديقا ولا يصانع عدوا ولا يرعى غنيا لغناه ولا فقيرا لفقره وكانت خاتمته الحسنى ما دله الخاص وانه ام تما انتهى اليه تفسيره (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والارض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين) يالها من خاتمة حسنى وموقف جميل لم يكن إلا بتوفيق من الله لعبد رضى الله عنه وتولاه وأدخله فى عباده الصالحين وأوليائه ولما توفى السيد رحمه الله قلت وقال الناس معى :

شعلة أطفئت وشمس توارت وكأن الحياة لمع سراب

ووقف المنار وتوارى عن الظهور وخلا الكرسى ولم نجد من يعلوه بعده ولا من يسد مسده ذبا عن الاسلام ودرءاً للشبهات وبيانا لحقيقة الاسلام حتى مضت ثلاث سنين أو أكثر ونحن ندعو الله أن يهب الاسلام مرشدا رشيداً يضىء النهج وليل الجهالات قاتم وكأن الله سمع دعاءنا فقيض لمجلة المنار من يبعثها بعثا جديدا مصقعا إذا خطب مدرها إذا كتب ذكى الفؤاد قادراً على حمل الأعباء

عالماً ألمعيا وشجاعا عبقريا ذلك هو الأستاذ المرشد الجليل الشيخ حسن البنا المرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين حفظه الله فنهنئه بهذا التوفيق ونهنئ مجلة المنار وقراءها بتولى حضرته رياسة تحريرها ونسأل الله له التوفيق والسداد والعون على القيام بها

وقد انتدبني حضرته للكتابة فيها بحسن ظنه وما كنت لأخالفه لولا أشغال كثيرة وأعمال متواصلة تستنفذ الوقت كله ولكن لا بد من تلبية الطلب كلما وجدت الى ذلك سبيلا بحول الله وقوته وإن كنت مزجى البضاعة عاجز اليراعة والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله

وسيكون موضوع كتابتى ان شاء الله الكتاب والسنة والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والاصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وكتبه أبو السمح

لماذا تأخر المسلمون

ولماذا تقدم غيرهم ؟

هذا سؤال طالما ردده المصلحون وكثر ما حاروا فى الاجابة عنه . وعظمت دهشتهم حين رأوا المسلمين ينحدرون إلى هوة الضعف والاستكانة مع كثرة عددهم وخصب أرضهم وتعدد وسائل النجاح عندهم .

وقد أجاب على هذا السؤال عطوفة الأمير شكيب أرسلان فى كتابه « لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم » إجابة شافية جامعة مانعة وأبان بأنصع برهان وأقوى دليل أسباب نجاح المسلمين الاولين وفشل المسلمين الآخرين وكشف عن سر تقدم الغربيين واليابانيين . والكتاب فى بابه حجة دامغة وصفحة مجيدة وليس لمسلم غناء عنه . فنشكر لعطوفة الأمير عمله العظيم ونحض جميع المسلمين على قراءة كتابه النافع وهو يباع بمكتبة الحلبى بجوار المشهد الحسينى وثمنه خمسة قروش

اتجاه محمود فى الشرق العربي

بقلم الاستاذ عيسى عبده المدرس بمدارس التجارة المصرية
وعضو بعثة المعارف بمنشستر

أرى فى أيامنا هذه اتجاهاً طيباً يتخذه بعض إخواننا فى مصر وغيرها من البلاد العربية . وسيلتهم فيه البحث العلمى المستنير وغايتهم خدمة السواد من أممنا العربية . وهذا السواد هو من غير شك أولى الناس بجهودنا نبذلها فى سبيل التخفيف عنهم اليوم وإسعاد أبنائهم فى الغد القريب — على أننا لا نزال فى أول الطريق . فقد بدأنا بدراسة شئون العامة دراسة تمهد للاصلاح المرتجى ، من ذلك ما يقوم به الأستاذ عمار بجامعة منشستر والدكتور الشافعى بجامعة فؤاد بالقاهرة والبروفسور تود بجامعة بيروت والمستر بتلر رئيس المكتب الدولى للعمل بجنيف . وكلهم تناول شئوناً شرقية أو مصرية بحتة . ولكن الناظر فى الشئون الشرقية والعربية من نواحيها الاجتماعية يجد ظواهر مشتركة بين الأقطار جميعاً . وهذا أمر طبيعى فى بلاد جمع بينها منذ ثلاثة عشر قرناً أو تزيد وشائج لا تهن ولا تضعف أساسها وحدة الدين واللغة وبعض آثارها هذا الذى نرى من وحدة الألم والأمل — فمن وصف بعض هذه الاقطار فقد عرف عن بعض ما دام وصفه يتصل بالنظم الاجتماعية .

وحديثنا اليوم يتناول فريقاً كبيراً من سكان مصر . ولى منه غرضان : أولهما أن يكون دعوة إلى الشباب المثقف فى الأقطار العربية كافة أن يقوم بعض القادرين منهم بمثل البحوث التى قام بها الغرب من زمن والتى بدأتها مصر مؤخراً .

وثانى الغرضين أن أبين ما ينتظر منا نحن المتعلمين من مساهمة فى حركة الاصلاح .

حين درست أحوال العمال منذ عامين تقريبا تكشفت أمور قد تغيب عن بعضنا وقد يتجاهلها بعض آخر سأذكر بعضها تزكية للدعوة التى أوجهها إلى كل عربى فالحال فى بلادنا كما قدمت واحدة .

طبقة الأجراء فى مصر تشمل العامل الصناعى والعامل الزراعى ومن عداهما من الأجراء . وتكون الغالبية العظمى من الشعب ولئن كانت البيانات التى اعتمدنا عليها فى كلمتنا هذه قد جمعت من نحو (٨٠٠) ثمانى مائة أسرة من أسر العمال المقيمين فى القاهرة فانها تعين على تكوين صورة صحيحة عن حال الأجير بوجه عام مع تخفظ واحد هو أنها أشبه بالحال فى المدائن دون القرى . فاذا أردنا أن نرى خلالها بيت العامل الزراعى وعيشه وجب أن نزيد من ألوانها القاتمة

حياة العامل

يبدأ الكثير من العمال فى سن مبكرة هى الخامسة عشرة . هذا إذا تجاوزنا عما هو سائد فى القرى من استغلال لأحداث فى أعمال لا تتطلب جهداً كبيراً ولكنها رغم بساطتها تعوق نموهم وتفوت عليهم فرصة تحصيل المبادىء الأولية التى لاغنى عنها لأبسط طبقات الشعب . على أن هذه الحال تتبدل اليوم إلى ماهو خير منها فلنتركها جانبا ولنحصر القول فيمن تتراوح أعمارهم بين خمسة عشر عاما وستين عاما . هؤلاء موزعون كما يلي :

نسبة من لاتبلغ أعمارهم ٢٠ عاما . من العمال ٨ فى المائة ومن السكان ١٦ فى المائة
ونسبة من لاتتراوح أعمارهم بين ٢٠و٣٩: من العمال ٧١ فى المائة ومن السكان ٥٦ فى المائة
ومن تتراوح « بين ٤٠و٤٩: « ١٦ « « « ١٨ فى المائة
ومن « « بين ٥٠و٥٩: « ٥ « « « ١٠ فى المائة

أما الذين يتخطون الستين من بين العمال فلا يزيدون على اثنين من كل ألف . ونظيرهم من السكان خمسة من كل ألف : ولقد حسبت هذه النسب على عدد الذكور دون الاناث فما يزال العرف فى مصر والشرق يجرى على أن كسب

العيش من وظائف الرجال .

لبعض هذه الأرقام دلالة قوية جدا . فنسبة الشباب الذى تتراوح سنه بين العشرين والاربعين والذى يستأثر به العمل أكبر من نظيرتها فى سائر نواحى النشاط الاقتصادى كوظائف الدولة والمهن الحرة . من أجل ذلك جاز لنا أن نقول إن ما يصيبه هؤلاء من عيش ضنك له أسوأ الأثر فى القوى الحيوية للشعب كله .

أنظروا إلى الباقين منهم بعد سن الخمسين فى معترك الحياة تجدوهم خمسة من كل مائة . إذن هذا العدد الضخم من الشبان الأجراء البالغين واحداً وسبعين فى المائة من عدد العمال والذين تتراوح أسنانهم بين العشرين والأربعين عاما يخرجون من ميدان العمل خلال الحلقة الخامسة من أعمارهم إلا عددا منهم قليلا . ولقد أثبت البحث أن عدد من يخرج منهم بالترقى إلى مصاف أرباب الأعمال أو مستندا إلى ثروة جمعها أو إلى ولد قادر يكفيه مشقة العمل فى سن متأخرة قليل جدا وأنه أولى بالاغفال . وهكذا تبقى أسباب الخروج من العمل منحصرة فى الموت والعجز . هذه الظاهرة المحزنة إنما هى نتيجة طبيعية لظروف العامل فى حياته الخاصة . ونرى أنه فى حياته القصيرة يرزح تحت عبئين مرهقين من إجهاد وحرمان .

تزايد السكان

ربما بدا غريبا بعد هذا الذى قدمنا أن يتزايد عدد الطبقات العاملة رغم عوامل الفناء المحيطة بهم . ولكن للتزايد أسبابا قوية منها أن نسبة الزواج بين العمال تبلغ ٧٦ فى المائة وهى للسكان عامة ٦٦ فى المائة ويبكر العامل بالزواج حتى أن نسبة المتزوجين قبل سن الخامسة والعشرين تبلغ ١٠ فى المائة وهى نسبة عالية لسن مبكرة فى طبقات أجورها لا تفى الفرد فضلا عن الأسرة وهنا يجدر أن نلاحظ ظاهرة تميز الشرق بصفة عامة مما عداه . تلك أن الزواج فى معظم الحالات لا يكون نتيجة لحاجة الرجل إلى من يدبر شأنه أو يهيىء له حياة

منزلية هادئة فبين المتزوجين من العمال ستون فى المائة يعولون قريبات لهم كوالدة أو عذارى وأرامل من ذوى القربى . وقد كان لهؤلاء العمال من قريباتهم غنى من ناحية الخدمة ودافع من ناحية النفقة على ألا يفكروا فى الزواج فى سن مبكرة . ولكنهم يفعلون بدافع دينى . وهذه حال لا يمكن أن تستتبع اللوم وإنما تستحق العطف والتهذيب .

أما عدد الأطفال فكثير . ولما كان الزواج مبكرا فالعمال تبعا لذلك آباء فى سن مبكرة كذلك . فمثلا بين العمال من سن العشرين نجد اثنين فى المائة لكل منهما ولد أو ولدان . فاذا بلغ الوالد سن الخامسة والثلاثين كان عدد الأبناء كما يلى —

من كل مائة من الآباء :

عشرون	لكل منهم	ولد واحد
وستة وعشرون	«	ولدان
وسبعة عشر	«	ثلاثة أبناء
وثمانية	«	أربعة أبناء
وواحد	«	خمسة أبناء
وواحد	«	ستة أبناء أو أكثر

أما إذا تمشينا معهم إلى آخر العمر فطبيعى أن تتزايد النسب الأخيرة فتصبح من كل مائة والد

أربعة وأربعون	لكل منهم	ثلاثة أبناء
وأربعة وعشرون	«	أربعة أبناء
وعشرة	«	خمسة أبناء أو أكثر

كل هذا رغم ارتفاع نسبة الوفيات بينهم واستئثارهم بموتى المواليد . ولولا هذان العاملان لتزايدوا بأسرع مما نرى رغم الظروف القاسية التى تحيط بهم .

أشرنا فيما تقدم إلى أن ٦٠ فى المائة من أرباب الأسر يعولون إلى جانب

أبنائهم وزوجاتهم أقارب لهم عاجزين عن الكسب . هؤلاء من طرحتهم أمواج الحياة صرعى جهاد ظالم يبعثون فيه بغير سلاح . آباء قضوا ربيع الحياة فى خدمات لا تعود عليهم إلا بما يمسك الحياة فإذا أقبلت سنو المشيب . وهذه تبكر لأمثالهم أقعدهم العجز عن كل كسب . ونساء فقدن العائل بالموت أو بسواه وورث عنه البنين دون المال . وهكذا ينشأ الجيل الجديد مرهقاً بتبعات ثقال تنوء بالعصبة أولى القوة . فيلتمس السلوى فيما يحط من قواه ولا يصلح له شأنا . ثم يدفع بولده جاهلا هزيلا الى معترك الحياة وهو بعد فى مقتبل العمر عساه يلتقط بعض الفتات فيعين أسرته . وكذلك ينشأ نشأة أبيه . وإذا بالمأساة تنصل وتتسق فصولا من جديد وقد تبدل اللاعب وما أسدل الستار

ساعات العمل

يندر أن تقل عن ثماني ساعات فى كل يوم ونسبة ذلك ١ على ٣ فى المائة من مجموع الحالات وهى .

ثمانى ساعات	فى ١٠ فى المائة من الحالات
وعشر ساعات	فى ٧٠ فى المائة
وأربع عشرة ساعة	فى ٥ فى المائة
وست عشرة ساعة	فى ١٠ « على أن من هذه الحالات

الأخيرة ما يبلغ ١٧ وأكثر

الأجور

منخفضة جدا تبدأ بقرش واحد فى اليوم للأحداث فى بعض الصناعات وتزيد كلما تقدمت السن بنسبة لا تكاد تبلغ الثلث مما يجب أن تكون عليه الحال . ونتيجة ذلك أن تتزايد التبعات ولا تنمو الموارد بالدرجة الكافية .

ولا يمنح العامل أجرا عن يوم راحته ولا مرضه وأكثر الفئات شيوعا هى فئة العشرة القروش والخمسة عشر إذ يتقاضى أجورا تقع بين هذين الحدين ٣٠ فى المائة من العمال . وعقود الاستخدام كلها رهينة الظروف وأكثرها قد يومى يتجدد كلما تجددت الحاجة . ولهذا أثر سيء

فالعامل لا يرتبط بجهة معينة وكل خدماته موزعة بين الناس ومجهوده السابق نهب الظروف المتقلبة من حوله . فاذا ما بلغ القمة من حياته وأتقن عمله وشارف أجره رقما عاليا يبلغ ثلاثين قرشا فى ثلاث حالات من كل آلف ويبلغ ٢٥ قرشا فى ٣٢ حالة من كل ألف لم يستطع أن يحافظ على ما وصل اليه من أجر عال نسبيا لأن رب العمل يتبدل وقوى العامل تنحط مع الزمن وله فى كل يوم سوق أسعارها متبدلة . ولذلك نرى الأجور العالية التى ذكرناها لا تكون إلا ما بين العشرين والخامسة والأربعين من العمر ثم تنحدر بعد ذلك حتى إن أعلى الأجور لمن تبلغ أعمارهم ٥٠ عاما أو يتخطونها عشرون قرشا

ولقد يلقى العامل من عنت رب العمل ضعفا آخر فيؤخر أجره ضمانا لمواظبته أو يؤخره حتى يتوافر لديه مال حاضر .

المساكن

هذه الانقاض التى يزدحم فيها العمال إنما تسمى مساكن من باب التجوز . ومن كانت حاله ما قدمت فأنى له المسكن الصحى ؟ بحسبنا أن نذكر فى هذا الصدد أن إيجار المسكن يتراوح بين ٣٠ قرشا و ٦٠ فى معظم الحالات وأن ٣٥ فى المائة من الأسر تسكن كل منها غرفة واحدة أو أقل من غرفة إذ تشترك أسرتان أو أكثر فى واحدة . وأن ٦٥ فى المائة من الأسر تسكن كل منها غرفتين أو أقل . أما الشمس والهواء والماء وسعة المسكن وأثاثه فلا محل لذكرها فضلا عن بحثها

آثار هذه الحال

هى الآثار الطبيعية لمثلها . حياة قصيرة معتلة وموت مبكر يخلف للأحياء أعباء تعجل بدورهم . وإنتاج يدوى ضعيف . ومقدرة فكرية أضعف

وأما المستوى الخلقى فتؤذيه هذه الحال أشد الايذاء . وكيف تستقيم الحال فى أسر لكل منها مخدع واحد يضم الزوجين وخمسة أبناء أو سبعة منهم شباب وفتيات ؟ وكيف نرجو طيب الخصال إذا انعدمت أسباب الثقافة

والتربية والتهذيب وتقلت أعباء الحياة فى وقت معا ؟

الذى أراه أن هذه الحال التى نعالج أخطر من أن نتناولها بالبحث النظرى لنقف عند حد البحث . وربما جاز هذا إذا كان الباحث لا تربطه بهؤلاء الناس أواصر الأخوة وروابط أخرى لا تنفصم . أما وهم قومنا وإخواننا وأبناؤنا وآباؤنا فعلينا ما هو أجدى من القول والبحث . علينا ألا نكتفى باقتراح رفع الأجور والموارد باقية على حالها . . أو إدخال نظم التأمين والعامل لا يملك أسباب العيش الخشن فضلا عن نفقات هذه النظم . علينا نحن معاشر المتعلمين واجبان أحب أن ننهض بهما اليوم راغبين فهذا خير وأبقى . وهو أولى بنا من أن يضطر اليهما أبناؤنا فى غد كارهين . فأما الأول فهو أن ننزل عن بعض نعيمنا الشخصى فى سبيل هؤلاء الذين طال حرمانهم صابرين .

فمثلا إذا زيدت الضرائب على دخلنا من أجلهم دفعنا مغتبطين . وإن لم تزد دعونا إلى هذا بما أوتينا من علم وبيان . وإن قلت رواتبنا من أجلهم كذلك قبلنا فى غير ضيق ولا حرج . وأما واجبنا الثانى فهو أن ينبث بينهم القادرون منا على معالجة الشئون الاجتماعية ينظمون صفوفهم ويرشدونهم إلى ما فيه خيرهم وهذا يتطلب تضحية بالوقت والمال فى سبيل الدعاوة والمعونة الادبية والمادية .

ولنذكر جيدا أن منا نحن المتعلمين من سينتظم فى هذه الصفوف إن عاجلا أو آجلا وهذه بعض آيات الرقى فى الأمم فلنهيىء إذن الجو لصغار إخواننا ولابنائنا . وهذا دافع شخصى يضاف إلى ما تقدم من إيثار كريم

كذلك فلنذكر أن هذه الجموع التى بدأنا اليوم نفكر فيها . . . هى التى تمد الدولة بأكبر عدد من الرجال فتنتظم بهم صفوف الدفاع . وفى السلم كلما زادت كفاياتهم زاد الانتاج الأهلى وارتفع المستوى للخاصة والعامة . غير أن الخطوات الأولى تتطلب كثيرا من جهاد النفس وشجاعة الرأى . ولقد تخطت الحركة طور البحث وتجاوبت أصداء الدعوات . . فلنكن ممن يبادرون بتلبية النداء ؟

عيسى عبده

ظهور المنار ودلالته

لما توفى المغفور له السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار خشى المصلحون أن يذهب المنار بذهاب صاحبه ويخبو ضياؤه الذى لبث ثلث قرن يشع على العالم الاسلامى علما وثقافة وفضلا وخيرا و بركة ويضع العلامات فى طريق الجهاد الاسلامى ليسلك المجاهدون على بصيرة وعلم ونور .

وقد حدث ما خشى المصلحون فانه صدر من المنار بعد وفاة صاحبه بضعة أعداد ثم توقف عن الصدور وخفت صوته المعروف الذى كان يملأ آفاق الأرض وخلا مكانه من الصف وطويت أعلامه وظن الناس أن لن يعود

وكنا نخاطب عنه محبي الاصلاح ليتعاونوا على إصداره ويجتهدوا على إرجاعه سيرته الأولى ، ولكنهم كانوا يعتذرون بأن هذا الأمر فوق طاقتهم وأن وقتهم وحالهم لا يسمحان بتحقيق هذه الأمنية العزيزة المرجاة .

وبينما الفضلاء فى يأس من عودته إذ تقدم رجل شاكى السلاح مدرع قد جمع فى نفسه المؤهلات الكافية لخدمة الاسلام والحق والاصلاح . تقدم هذا الرجل ورفع راية الاصلاح المنارى ونادى بأعلى صوته قائلا :

أيها الناس . إنى على بركة الله وبتوفيق من الله أخذت على عاتقى إصدار المنار الأغر حتى لا يحرم المسلمون منه ولا تنقطع عنهم فيوضاته ولا ينضب معين إصلاحه .

فتلفت الناس إلى المتكلم فاذا هم يجدون الأستاذ حسن البنا المرشد العام للاخوان المسلمين والمصلح الذى وقف نفسه على نصرة الاسلام والمسلمين فاطمأنت نفوسهم وانشرحت صدورهم وحمدوا الله عز وجل على فضله ونعمته وآلائه

وهكذا ظهر المنار بعد اختفاء وأسفر بعد احتجاب وكتب الله له الحياة على يد من لا يريد لقومه إلا الحياة .

وإن لظهور المنار دلالة نحب أن نسجلها هنا بايجاز حتى يعرف القراء الحقائق

ويكونوا على بينة من الأمر ولا تأخذهم الحيرة مما يشاهدون أو يقرءون أو يسمعون .

لما توفى صاحب المنار رحمه الله تعالى حزن محبو الاصلاح وأصابتهم الحسرة على إغماد سيف كان يجاهد فى سبيل الله ولا تأخذه فى الحق لومة لائم ولكن فريقا آخر طرب وصفق وتبادل التهانى والتبريكات لزوال من كانوا يظنونه عدوا لهم لأنه يحارب تخريفهم ودجلهم وجمودهم وقد جهروا فيما بينهم بانقطاع المنار إلى الأبد وأقاموا الحفلات لضعف أخلاقهم فرجوع المنار يسر المصلحين المخلصين ويكبت الشامتين الضعفاء اليقين . ومن المشهور عندنا أن العمل العظيم إذا يقوم به فرد فإذا أفلت منه ذهب فى طى النسيان . وهذا صحيح إلى حد ما . ولكن حظ المنار كان طيبا فكتب الله له البقاء . ولما هوت رايته كان هويها استنادا وارتكازا للراحة والاستجمام ، وتقدم فضيلة الأستاذ حسن البنا إلى تسلم الراية ورفعها على القمة ليراها الغادى والرائح فعلم الجمهور أن عمل الفرد المخلص لا يضيع أبدا بل يقيض الله له من يحييه ويعده بما يعيد اليه الشباب ويقويه .

وكنا نسمع من كثير من الناس أن دعوة صاحب المنار لا تتعدى أفرادا معينين ولا تصل الى مدى يصح معه أن نقول بوجود الاصلاح فى الامة . ولكن الرغبة الملحة فى إصدار المنار وقيام رئيس الاخوان المسلمين بهذا الاصدار يدل دلالة قوية على أن الاخوان وهم ألوف كثيرة يؤمنون بهذا الاصلاح ويفدونه بالأرواح وإذا عرف القراء أن الاخوان جمهرتهم من الشباب المثقف علم علم اليقين مقدار تغلغل الاصلاح الاسلامى العتيد فى النفوس التى نرجيها لرفع شأن الأمة والدفاع عن ذمارها وإعلاء مكانها .

هذه بعض أوجه الدلالة فى ظهور المنار يعلم منها أهمية العمل الذى أخذه على عاتقه الاستاذ الكبير رئيس الاخوان المسلمين .

ونحن نقترح هنا ما يجب على القراء وعلماء المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ليؤدى المنار مهمته العليا النقية ولينجح النجاح المرتقب له من كافة المؤمنين المخلصين

أما القراء فالواجب عليهم أن يعاضدوه حسا ومعنى ويعاونوه بما فى جهدهم ليصول فى ميدان الجهاد ويجول ويشتد ضرده فى مقاومة كل ما يلحق الأذى بالاسلام والمسلمين ويرسل الجنود تلو الجنود تصرع أعداء الله وتخذل الذين يريدون الاسلام بسوء .

وأما العلماء العاملون المخلصون الذين أحبوا المنار وأشربوا فى قلوبهم مبادئه السامية وطريقته المثلى فعليهم أن يحبوا المنار بعطفهم ويمدوه بآرائهم الصائبة وأفكارهم المنيرة ويستخدموا علمهم النافع فى تقويته وإنجاحه وإكثار أركان حربه .

ونحن نعلم أن محبى المنار الفضلاء الكثيرين منبثون فى أنحاء العالم الاسلامى من الصين شرقا الى مراكش غربا ومن التركستان شمالا إلى جنوب افريقية جنوبا وهم بتوفيق الله فى مكنتهم خدمة المنار الخدمة الجلى ليكون صحيفة الاسلام العالية فى الدين والاجتماع وشتى ما يحتاج اليه المسلمون

ونعود فنهنىء فضيلة المرشد العام بما ندب نفسه اليه من خير وإصلاح كتب الله له النجاح وأمده بروح من عنده وأعانه على الجهاد فى سبيل الله والله قوى عزيز .

القاهرة . مصطفى أحمد الرفاعى اللبان

كتاب الفتح الربانى

لترتيب مسند الامام أحمد الشيبانى

« و »

كتاب بلوغ الأماني

من أسرار الفتح الربانى

الامام أحمد رحمه الله تعالى إمام أئمة السنة حفظاً ورواية ودراية وفقهاً ، وجرحا وتعديلا .

ومسنده أوسع الأصول فى الحديث وأعمها فائدة ، والمسانيد موضوعة لحفاظ الحديث يشق على غيرهم الاستفادة منها ، وقد كان الناس فى حاجة إلى من يرتب أحاديثه على أبواب كتب السنن : فوفق الله خادم السنة السنية الأستاذ الفاضل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الشهير (بالساعاتى) ، فرتبه وسلك فيه سبيلا لم يسبق إلى مثله .

وقد جعله أربعين جزءاً ، كل جزء أربعة أقسام ، وعد أحاديث كل كتاب بالأرقام ، واقتصر فى السنة على اسم الصحابى . وقد صدر من الكتاب أحد عشر جزءاً فى أربعة وأربعين قسما ، بحرف مشكول . وذيل بشرح وجيز يبدأ فيه بذكر السند ، فتفسير غريب الحديث ، فالضرورى من معناه ، فتخريجه .

فنحث المهتدين بالسنة على المبادرة إلى اقتنائه وثمن الجزء منه ١٢ قرشاً

الدين والعقل (أو) برهان القرآن

« تأليف الأستاذ أحمد حافظ هدايه »

فى استنباط براهين عقائد الاسلام من القرآن الكريم مثبتة بأحدث النظريات والعلمية يحتوى على مقدمة وسبعة أجزاء فيها نحو أربعمائة فصل ، وقد قرظه كبار علماء العصر . فنحث الجميع على اقتنائه . وهو ثلاثة مجلدات . قيمة الاشتراك فى المجلد الواحد ١٠ قروش قبل الطبع . وفى الكتاب جميعه ٢٥ قرشا . والثمن بعد الطبع ٤٥ قرشاً وترسل الاشتراكات باسم المؤلف بدار الرسالة شارع المبدولى رقم ٣٤ بعابدين بمصر

(الجزء السادس) (المجلد الخامس والثلاثون)



قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صُوى و«مناراً» كمنار الطريق

غرة رجب سنة ١٣٥٨ هـ أغسطس سنة ١٩٣٩ م

تفسير القرآن الحكيم

تفسير بلاغي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(٢) « اللهُ الذي رفعَ السَّمواتِ بغيرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها ثمَّ استوى على العرشِ وسخَّرَ الشمسَ والقمرَ كلٌّ يجري لأجلٍ مسمى يُدبِّرُ الأمرَ يفصِّلُ الآياتِ لعلكم بلقاءِ ربِّكم تُوقنون »

أكدت الآية الكريمة الاولى فى أول السورة صدق القرآن وأحقية ما نزل على النبي ﷺ من ربه وإن أعرض أكثر الناس عن الايمان به . وفى هذه الآيات الكريمة بيان لأول ما يجب أن يؤمن به الناس ويعتقدونه ويصدقوا بأحقيته وذلك هو الايمان (بالله) فمعرفة

الله والايمان به أول ما يجب أن تتوجه اليه الهمم وتعنى به النفوس وقد سلكت الآيات الكريمة بالناس الى هذا الايمان أقوم السبل وهى سبيل التفكر فى مخلوقات الله وعجائب صنعه من رفع السموات وتسخير الكواكب والاجرام وتدبير الأمور والشئون وتصريف الايات والعبر ومد الارض وبسطها وإمدادها بما ينفع أهلها من الجبال والانهار والنبات والجنات على نسق رائع بديع هو الآية فى الاعجاز وصدق التصوير والاستيلاء على المشاعر والقلوب

(الله) أكبر أسماء الخالق سبحانه وتعالى وأجمعها لا يثنى ولا يجمع والألف واللام من بنيته لم تدخلا عليه للتعريف اذ هو أعرف المعارف قال الخطابى والدليل على ذلك دخول حرف النداء عليه كقولك يا الله وحروف النداء لا تجتمع مع الألف واللام ألا ترى أنك لا تقول يا الرحمن ولا يا الرحيم كما تقول يا الله فدل على أنهما من بنية الاسم (الله) اسم كريم للموجود الحق البارى الخالق المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد بالوجود الحقيقى لا اله الا هو سبحانه — ولا تظن أننى أحاول بذلك الشرح أو التفسير فكمالات الحق تبارك وتعالى فوق هذا ولكن أريد أن ألخص لك رأى الاسلام الموجز الحق الذى يشبع الروح ويطمئن القلب فيما يجب على المسلم أن يعتقده فى ذات الخالق جل وعلا وصفاته مستغنٍ بالقليل عن الكثير فاعلم أن الاسلام قد أجمل ذلك فيما يأتى

أولا — عدم التعرض للحقيقة والماهية من حيث هما مع التنبيه على المخالفة التامة بين ماهية الاله وماهية الخلق . يقول القرآن « ذلكم

الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » سورة الانعام الايات ن ١٠٢ ، ١٠٣ ، وهو بذلك يشير الى الكف عن التعرض للماهية ، ويقول أيضاً « فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » سورة شورى الاية ن ١١ ، وهو بذلك يشير الى المخالفة التامة بين الخالق والمخلوقات جميعا . وفي الحديث : « تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله » (١) . ومن البدهي أن هذا الموقف لا يؤخذ على الاسلام فى شىء فان العقل البشرى وهو عماد

(١) الحديث ورد بألفاظ يتفق معناها . قال الحافظ العراق فى تخريج أحاديث الاحياء . رواه أبو نعيم فى الحلية بالمرفوع منه باسناد ضعيف ، ورواه الاصبهانى فى الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه . ورواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر . وقال هذا إسناد فيه نظر — قلت فيه الوازع بن نافع متروك اه . زاد الترمذى فى الشرح قلت حديث ابن عمر لفظه « تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله » هكذا رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر وأبو الشيخ فى العظمة ، والطبرانى فى الأوسط وابن عدى وابن مردويه والبيهقى وضعفه والاصبهانى وأبو نصر فى الابانة وقال غريب ورواه أبو الشيخ من حديث ابن عباس « تفكروا فى الخلق و لا تفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدره » . ورواه ابن النجار والرافعى من حديث أبى هريرة : « تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله » الخ وتعدد هذه الروايات واجتماعها يكسبها قوة والمعنى صحيح كما قال الحافظ السخاوى فى المقاصد اه . نقلا عن تعليق صاحب المنار على رسالة التوحيد .

العقيدة فى الاسلام يقف الى الان موقف العجز المطلق أمام حقائق الاشياء جميعا وكل الذى وصل اليه إنما هو الخواص والصفات والاثار أما الحقائق والبسائط المجردة فلم يصل اليها بعد . وما كان الاسلام ليكلف الناس ما لا تستطيع أن تدركه العقول والافهام :

ثانيا ـــ التوصل الى معرفة صفات الاله وادراك كمالات الالوهية ومميزاتها عن طريق النظر في الكون نظراً صحيحاً وتحرر العقول والافكار من الموروثات والاهواء والاغراض حتى يصل الى الحكم الصائب . والقرآن مملوء بالحث على النظر في المكونات والتأمل فى المخلوقات وقد ذكر العقل فى القران الكريم فى أكثر من أربعين موضعاً مقرونا بالتبجيل والتكريم والحث على الجد والعمل فى ادراك الحقائق والسير فى سبيل كشف مستوراتها وذلك من مثل قوله تعالى « إن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » سورة البقرة الاية ١٦٤

ومن مثل قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء » سورة فاطر ٣٧ فهو فى هذه الآية يحض على اكتشاف غرائب النبات والحيوان والجماد بأقسامه ثم رتب على ذلك

الخشية من الله لما بين معرفة الكون ومعرفة مكونه من صلة ومن مثل الايات الكريمة التى نحن بصددها من سورة الرعد

ثالثا ـ إثبات صفات الكمال للخالق نتيجة للنظر فى هذا الكون فالله موصوف فى الاسلام بالوجود وبالعلم وبالقدرة وبالحياة وبالسمع وبالبصر وبالجمال وبالحكمة وبالارادة الخ مع الاقرار بأن كيفياتها وحدودها مجهولة ضرورة الجهالة بذات الله تعالى ولكنا نعلمها علم اليقين من وضوح آثارها فى هذا الكون البديع الصنع فالخالق حكيم لما يجتلى فى كونه من أسرار حكمته وقادر وعالم بأجمع معانى العلم والقدرة لأن هذا الكون البديع لا يكون الا عن علم واسع وقدرة محيطة وهكذا . والقران يعدد هذه الصفات فى كل المناسبات مثل قوله تعالى « هو الأول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم » سورة الحديد ٣ ـ ومثل سورة الاخلاص وهكذا

رابعا ـ نفى صفات المشابهة والنقص عن الخالق . فالتجسيم منفي عنه لأن المادة تتحول والخالق لا بد أن يكون ثابتا والتثليث منفى عنه لأنه تركيب والاله لا بد أن يكون واحدا والأبوة والبنوة منفصلان عن صفات الخالق لأنهما تجزئه والخالق لا يتجزأ وهكذا والقران يقرر هذا ويجادل عنه فى منطق دقيق وحجة قوية من مثل قوله تعالى (أم اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون لو كان فيهما الهة إلا الله لفسدتا الخ) الانبياء ايات ٢٢ ـ ٢٩ ومن مثل قوله (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ـ الى قوله تعالى ـ ما اتخذ

الله من ولد وما كان معه من إله اذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) المؤمنون الايات ٨٤ - ٩٢ وقل مثل ذلك فى نفى التثليث وغيره من عقائد الأمم السابقة جميعا

خامسا - تقوية الصلة بين الوجدان الانسانى والخالق حتى يصل الانسان بذلك الى نوع من المعرفة الروحية هو أعذب وأصدق أنواع المعرفة جميعا وذلك أن الوجدان الانسانى أقدر على كشف المستورات غير المادية من الفكر المحدود بقيود المادة والارتنام فالاسلام كثيرا ما يخاطب الوجدان ويستثير الخواص النفسانية الكافيه فى الانسانية لتتصل بالله تبارك وتعالى وتسمو الى حظائر الملأ الأعلى. يقول القران الكريم (الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) سورة الرعد اية ٢٨ وفى ذلك يقول أحد الفلاسفة الكونيين (إن ضمائرنا قد شهدت لنا بوجود الله قبل أن تشهد به عقولنا) ويصور القران هذا المعنى فى الاية الكريمة (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا) الاسراء اية ٩٧

هذه الصلة الخفية بين الضمير الانسانى وبين الخالق التى تبدو في غاية الوضوح والجلاء عند الشدائد التى تنقطع فيها الامال هى التى يعمل الاسلام كثيرا على أن تكون ضوءا يتعرف به الانسان خالقه العظيم سبحانه وتعالى

سادسا - مطالبة المؤمنين بأن تظهر عليهم نتائج هذه العقائد

العمليه فالمؤمن إذا اعتقد أن ربه قادر كنت نتيجة هذه العقيدة العملية أن يتوكل عليه ويلجأ إليه وإذا اعتقد أنه عالم راقبه واستولت عليه خشيته واذا اعتقد أنه واحد لم يدع سواه ولم يسأل غيره ولم يصرف وجهه إلا إليه وحده وإذا اعتقد أنه عظيم عظمه فخافه وأحبه وهكذا وقد أشارت الى ذلك الآيات الكريمة في كثير من المواضع قال تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم اياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) سورة الأنفال الايات ٢ . ٤ والايات فى هذا المعنى كثيرة فى كتاب الله تبارك وتعالى وكل عقيدة لا تنتج أثرها ولا تحمل صاحبها علي مستلزماتها فهي عقيدة واهية ضعيفة لاتؤدى إلى الايمان الكامل الصحيح

ولعل من تمام هذا البحث أن أنقل لك بعض عبارات المؤمنين الصادقين فى التعريف برب العالمين جلت ذاته وتقدست صفاته . سأل ذعلب اليمانى عليا كرم الله وجهه فقال هل رأيت ربك ياأمير المؤمنين ؟ فقال رضى الله عنه أفأعبد ما لا أري فقال السائل وكيف تراه ؟ فقال : (لاتدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان قريب من الأشياء غير ملامس بعيد عنها غير مباين متكلم لا بروية مريد لا بهمة صانع لا بجارحة لطيف لا يوصف بالخفاء كبير لا يوصف بالجفاء بصير لا يوصف بالحاسة رحيم لا يوصف بالرقة تعنو الوجوه لعظمته

مخافته ومن كلامه رضى الله عنه فى هذا المعنى (لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا أجل ممدود . أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الاخلاص له) اه من نهج البلاغة (١)

وسئل بعض العلماء عن صفته تبارك وتعالى فقال (هو الواحد المعروف قبل الحدود والحروف) وسئل آخر عن التوحيد ما هو فقال (ان تعلم أنه غير مشبه للذوات ولا منفى الصفات) ومن أحسن ماقيل فى التنزيه قول بعض الصالحين (تنزه وبناعن أحوال خلقه فليس له من خلقه مزاج ولا فى فعله علاج باينهم بقدمه كما باينوه بحدوثهم ان قلت متى فقد سبق الوقت كونه وان قلت هو فالهاء والواو خلقه وإن قلت أين فقد تقدم المكان وجوده معرفته توحيده وتوحيده تمييزه من خلقه ما تصور فى الأوهام فهو بخلافه فالذى يظفر الوهم به يرتقى التصوير اليه لا تماقله العيون ولا تقابله الظنون علوه من غير توقل ومجيئه من غير تنقل « هو الأول والآخر والظاهر والباطن ليس كمثله شىء وهو السميع البصير »

« الذى رفع السموات بغير عمد ترونها » يحسن قبل الكلام عن

---

(١) فى نسبة ما جاء فى نهج البلاغة لعلي رضى الله عنه الخلاف المعروف بين الأدباء وسواء أكان هذا القول من كلام على رضى الله عنه أم من كلام الشريف فمعناه من حيث تعظيم الله وحسن الثناء عليه رائع بديع

رفع السموات وما يليه من ايات الكون . فى هذه الايات البينات أحب أن الفت النظر الى أصلين مهمين (أولهما) حكمة ذكر المظاهر الكونية فى القران الكريم (وثانيهما) معرفة مدى ما وصل اليه العقل الانسانى فى تعرف حقائق هذه المظاهر

لماذا نذكر هذه المظاهر الكونية فى القرآن الكريم

جاء فى القرآن الكريم ذكر السموات والأرضين والشمس والقمر والسحب والأمطار والنبات والحيوان وعجائب الخلق وغرائب المكونات فى كثير من المواطن فهل يريد القرآن بهذا أن يتناول هذه النواحي بالتحليل العلمى فيوضح للقارئين ماهيتها وكنهها وعناصرها وأجزاءها ويبين لهم طبائعها وخواصها ويكشف لهم عن أسرارها ونواميسها وحقيقة قوانين سيرها ووقوفها ونموها وضعفها — أم أن القرآن الكريم يعرض لكل هذه الظواهر الكونية لغرض آخر غير هذا التحليل العلمى ويدع هذا التحليل لوقته والظروف الملائمة له عندما تتهيأ العقول البشرية لقبوله وإدراك غوامضه وأسراره ؟

لا شك أن القرآن الكريم لم يجىء ليكون كتاب فلك ولا هيئة ولا كيمياء ولا هندسة ولا لغير ذلك من الشئون التى تتناولها العلوم الكونية البحتة . وإنما جاء ليكون كتاب هداية وإرشاد وتطهير للنفس البشرية وسمو بها الى الكمال الممكن اللائق بجمالها وايضاح وتقوية للصلة بين الخالق والمخلوق وبين المخلوقين بعضهم وبعض وتقرير

للحقوق والواجبات وتفصيل للمصالح والمضار فى المأمورات والمنهيات التى تتصل بسعادة الناس فى معاشهم ومعادهم . وإن أشار فى كثير من الأحيان الى دقائق العلوم الكونية . وعجائب النواميس التى تسير عليها المخلوقات . وانما جاء القرآن كذلك لحكم جليلة (منها) أنه إذا تناول حقائق العلوم والمعارف الكونية بالشرح والبيان . فقد قطع على العقل البشرى سبيل الرقى وحرمه لذة الجهاد العلمى وقضى على استقلاله وحريته بالجمود والخمود ولم يبق للعلماء فضل على الجهلاء وكان الناس فى المواهب سواء فلم تشهد الانسانية الا جيلا واحدا ثم يقضى عليها بعد ذلك بالفناء (ومنها) أن طبيعة العقل البشرى فى نشوئه وتكوينه لا تقبل هذه الطفرة ولا تحتملها : وإنما يسلك العقل البشرى في النوع الانسانى مسلكه فى الفرد والواحد له أطوار وأدوار فهو ينشأ ضعيفاً لا يكاد يدرك ما حوله ثم تتسع أمامه آفاق الادراك وحدوده فلا يزال يتعلم فيعلم حتى يبلغ أقصى قوته ويأخذ من المعرفة بالنصيب الذى كتب له وأنت ان فاجأته وهو فى دور طفولته وضعفه بما لا يستطيع ادراكه ولا يقوى على اكتناه ما هيته آذيته وشردته وأضللته وقذفت به فى مهاوى الفتنة والشك والارتياب وتصور أن طفلا سألك عن قوانين التيار الكهربائى كيف يتولد وكيف يسير وكيف تتحرك به القوى العظيمة وتشتعل بضوئه المصابيح القوية على البعد والقرب سواء أو سألك عن أوجه القمر فى نشوئه هلالا ثم أكتماله بدرا ثم عودته بعد ذلك من الكمال الى النقص حتى يختفى جرمه ويخبو

نوره أو سألك عن البخار كيف يدير البواخر ويحمل على الماء الأعلام المواخر أتستطيع أن تتبسط فى شرح ذلك لطفل صغير لم يتلق مبادىء هذه العلوم ولم يستق بعد من معين هذه المعارف ؟

كذلك العقل الانسانى فى نشأته وأدوار حياته وأطوار نموه دائم الرقى والاكتمال بحسب ما يكتسب من المعارف المتجددة والتجارب المتكررة المتعددة . وما كان للقران — وهو كتاب العصور كلها والأمم كلها والعقول جميعا — أن يتناول من علوم الكون الا ما يتفق مع مدركات هذه العقول ثم يدع لرقيها الفكرى الكشف عما سوى ذلك بحسب قوانين النمو والارتقاء وذلك من أدب الاسلام فى التعليم ومن سننه فى ارشاد الناس الى حقائق المعارف . روى البخارى فى صحيحه عن على كرم الله وجهه (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله) وروى مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال (ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة)

ومن هنا نستطيع أن نفهم السر فى اجابة القرآن الكريم للسائلين عن أوجه القمر بصرفهم عن السؤال ولفت أنظارهم الى فوائد ذلك ومزاياه (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج)

(ومنها) أن القرآن الكريم لو عرض لبيان هذه الشئون كلها واستوعب حقائقها وتفصيلاتها لصعب على الناس حفظه ولمضت الأزمان الطويلة دون استيعابه نزولا أو معرفة ولنسى الناس هديه وارشاده فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا . ولقد يسره الله تعالى

وسهله ليكون ذلك أدعى الى تذكره وأقرب للوصول الى مقاصده والعمل بما فيه (ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر)

تلك هى بعض الحكم التى من أجلها لم يتناول القران الكريم حقائق العلوم الكونية بالتفصيل والتوضيح وترك ذلك للعقل البشرى يرقى اليه ببحثه المتواصل ويتذوق لذة معرفته بكفاحه وجهاده وهناك حكم أخرى لا نطيل القول فيها وحسبك من القلادة ما أحاط بالجيد والكلام فى أسرار كتاب الله ذاسعة

ومن ذلك نستطيع أن نقول ان القران الكريم جاء بهذه الظواهر واستعرضها وعرضها على الناس فى كثير من المواضع لغرض واحد هو العبرة والعظة ولفت العقل والقلب الى ما فيها من جمال وروعة ورقة واعجاز وابداع لا يكون الا عن صانع حكيم متصف بالكمالات كلها لا يلحقه نقص ولا يناله قصور جل ربنا عن ذلك وتعالى علوا كبيرا. يسوق القران كل ذلك ليكون سبيلا الى معرفة الخالق والايمان بالله. وفى الوقت الذى يقصد فيه الى هذا المعنى نجد أن فى ذكر هذه المخلوقات ولفت الانظار اليها ومطالبة الناس بالتفكير فيها والتصريح بعلو منزلة العلماء بها دفعا بكل مؤمن أن يتعلم وأن يحيط بأسرار هذا الكون العجيب

ذلك مع الاشارات اللطيفة الى بعض الحقائق الدقيقة التى تعنو لها عقول الخاصة وتنحنى أمامها هام الفطاحل من الراسخين فى العلم يتلوها عليهم أمى كريم لم يدخل جامعة علمية ولم يتعلم فى مدرسة كذكر

ناموس التلقيح (وأرسلنا الرياح لواقح) وذكر ناموس التقدير في المخلوقات (إنا كل شيء خلقناه بقدر) وغيرها من النواميس

والعجيب في شأن القرآن الكريم أنه حين عرض لهذه المكونات ساق الكلام عنها في مساق غريب وأسلوب مدهش معجز حقا يساير تمام المسايرة الادراك الفطري ويتفق تمام الاتفاق مع التحليل العلمي والبحث الفلسفي المنطقي فهو يجمع بين الشعر والمنطق ويغذي العاطفة والعقل ويرقى الشعور والفكر ويستولي على الارادة كل الاستيلاء ويفيد هـذا وذاك الأثر المقصود والعزة المنشودة وذلك من أسرار الاعجاز التي انفرد بها القرآن الكريم وامتاز بها كلام الخالق العليم عن كلام المخلوق القاصر العاجز

تقرأ مثل قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) فتصور هذه الآية الكريمة في النفس العادية ذلك المعنى الفطري السهل وتمثل لها ذلك الضال رجلا منهوكا متعبا قد بهرت أنفاسه وتقطع نياط قلبه مما حمل من اعباء الضلال كأنما عليه أن يقاسي في مرارة متجددة هول صعود السماء والاية بهذا المعنى الفطرى تحدث في تلك النفس العامية ما قصدت اليه من تأثير في تقبيح صورة الضلال والابعاد عنه وهذه الاية نفسها تثير في النفس العلمية ذلك المعنى الكوني الذى أيده البحث وأثبته العلم من تخلخل طبقة الهواء كلما علا الانسان عن سطح الأرض وفناء عنصر الاوكسجين منها وهو العنصر الصالح للتنفس

فتنقطع بذلك أنفاسه ويقف عن التنفس صدره فيزول عنه معنى الحياة جملة بل ان الضغط الهوائي ليختل توازنه على جنبات جسمه باطنها وظاهرها فتنفجر عروقه ويسيل في الفضاء دمه مهدورا والآية بهذا المعنى العلمي تحدث الاثر المقصود لها كذلك من تقبيح صورة الضلال وابعاد الناس عنه

هذا معنى من معانى الاعجاز لم يتفق لغير القران الكريم ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا

وأسوق لك هنا بمناسبة هذا البحث ما ذكره الاستاذ الامام عند تفسير آية الأهلة فى بيان موقف الوحي من العلوم (١) قال رحمه الله (العلوم التى نحتاج اليها فى حياتنا على أقسام - منها ما لا نحتاج فيه الى أستاذ كالمحسوسات والوجدانات فهذا هو (القسم الاول) ومنها ما لانجد له أستاذا لانه مجالا مطمح للبشر فى الوصول اليه البته وهو كيفية التكوين والايجاد الاول المعبر عنه بسر القدر - يمكن للنباتى أن يعرف ما يتكون منه النبات وكيف ينبت وينمو ويتغذى وللطبيب أن يعرف كيفية تولد الحيوان والأطوار التى يندرج فيها مذ يكون نطفة الى أن يكون انسانا عاقلا مستقلا ولكن لا يعرف نباتى ولا طبيب كيف وجدت أنواع النبات وأنواع الحيوان أو مادتهما لأول مرة

(١) راجع تفسير المنار ج ٢ ص ١٩٨

ولا كيف وجد غيرها من المخلوقات ومن هنا كانت العلاقة بين الخالق والمخلوق من هذه الجهة . جهة الايجاد والخلق . لا يمكن اكتناهها وكذلك لا يمكن اكتناه ذات الله تعالى وصفاته وهذا هو (القسم الثانى) ومنها ما يتيسر للناس أن يعرفوه بالنظر والاستدلال والتجربة والبحث كالعلوم الرياضية والطبيعية والزراعية والصنائع والهيئة الفلكية ومنها أسباب تطور الهلال وتنقله من حال الى حال وهذا هو (القسم الثالث) ومنها ما يجب علينا للخالق العظيم الذى أودع فطرنا الشعور بسلطانه وهدى قلوبنا الى الايمان به بما نراه من آياته فى الآفاق وفى أنفسنا فان هذا الشعور وهذه الهداية مبهمان لا سبيل لنا الى تحديدهما من حيث ما يجب اعتقاده في الله تعالى وفى حكمة خلقنا ومراده منا وما يتبع ذلك من أمر مصيرنا ومن حيث ما يجب له من الشكر والعبادة وهذا مما لا سبيل الى معرفته بطريق صناعى أو كسب بشرى فقد وقعت الأمم فى الحيرة والخطأ فى مسائله لجهلهم بالصلة والنسبة بين المخلوق والخالق فمنهم من وصفه تعالى بما لا يصح أن يوصف به ومنهم من توهم أن أعمالنا تفيده أو تؤلمه وأنه ينعم علينا أو ينتقم منا بالمصائب لأجل ذلك . ومنهم من توهم أن الحياة الاخرة تكون بهذه الاجساد والجزاء فيها يكون بهذا المتاع فاخترعوا الأدوية لحفظ أجسادهم ومتاعهم (١) . واذا كان الانسان عاجزا عن تحديد ما يجب

---

(١) والذى يؤخذ على هؤلاء قصور ادراكهم عن امكان الاعادة بعد التحليل فى الأجساد والمساواة بين نعيم الدنيا والآخرة مع أنه لا نسبة بينهما فنعيم

عليه ويحتاج اليه من الايمان بالله وبالحياة الاخرى وما يجب عليه فى الحياة الأولى شكرا لله واستمدادا لتلك الحياة لان الحواس والعقل لا يدركان ذلك فلا شك أنه محتاج الى عقل اخر يدرك به ما يعوز أفراده من هذه الامور وهذا العقل هو النبي المرسل . وهذا هو (القسم الرابع) وبقى (قسم خامس) وهو ما يستطيع العقل البشرى إدراك الفائدة منه ولكنه عرضة للخطأ فيه دائما لما يعرض له من الاهواء والشهوات التى تلقي الغشاوة على الابصار والبصائر فتحول دون الوصول الى الحقيقة أو تشبه منافع الضار وتلبس الحق بالباطل ومثال ذلك السعاية يدرك العقل ما فيها من الضرر والقبح ولكنه اذا رأى لنفسه فائدة من السعاية لشخص يزينها له هواه ويراها حسنة من حيث هو يخفى عليه ضررها لذاتها . وكذلك شرب الخمر والحشيش قد يعرف الانسان مضرتهما فى غيره ولكن الشهوة تحجبه عن إدراك ذلك فى نفسه فيؤثر حكم لذته علي حكم عقله الذى ينهاه عن كل ضار فصار محتاجا الى معلم اخر ينصر العقل على الهوى ووازع يكبح من جماح الشهوة ليكون على هدى

فما يمكن للانسان أن يصل اليه بنفسه لا يطالب الانبياء ببيانه ومطالبتهم به جهل بوظيفتهم وإهمال للمواهب والقوى التى وهبه الله إياها ليصل بها الى ذلك ، وكذلك لا يطالبون بما يستحيل على البشر الوصول اليه كقول بعض بني اسرائيل لموسى « لن نؤمن لك حتى نرى

الآخرة أجل وأعظم من أن يقاس بهذا المتاع الغالى مهما بالغ الناس فى المحافظة عليه

الله جهرة » وأما ما كان إدراكه ممكنا وكسبه بالحس، والعقل متعذرا أو تحديده متعسرا فهو الذى نحتاج فيه إلى هاد مخبر عن الله تعالى لنأخذ عنه بالإيمان والتسليم ولذلك قلنا ان الرسول صلى الله عليه وسلم عقل الامة

لو كان من وظيفة النبي أن يبين العلوم الطبيعية والفلكية لكان يجب أن تعطل مواهب الحس والعقل وينزع الاستقلال من الانسان ويلزم بأن يتلقي كل فرد من أفراده معلوماته بالتسليم ولوجب أن يكون عدد الرسل فى كل أمة كافيا لتعليم أفرادها فى كل زمن كل ما يحتاجون اليه من أمور معاشهم ومعادهم وإن شئت فقل لوجب ألا يكون الانسان هذا النوع الذى نعرفه

نعم ان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ينبهون الناس بالاجمال إلى استعمال حواسهم وعقولهم فى كل ما يزيد منافعهم ومعارفهم التى ترتقى بها نفوسهم. لكن مع وصلها بالتنبيه علي ما يقوى الايمان ويزيد فى العبرة اه

ونستطيع بعد ذلك أن نلخص موقف القرآن من العلوم الكونية العصرية وغير العصرية مما سبقها أو مما سيلحقها أو موقف هذه العلوم من القرآن الكريم فى هذه النقاط ..

(١) ليست مهمة القرآن شرح بحوث هذه العلوم تفصيليا وانما ترك ذلك للعقل الانسانى يكشف فى كل طور من أطوار رقيه وكماله

جزءا منه يتناسب مع مقدرته وما أتيح له من وسائل البحث والادراك السليم

(٢) إنما عرض القرآن لما عرض له من هذه البحوث تنبيها لما فيها من دقة الصنع وجمال الابداع ليكون ذلك حافزا إلى معرفة الله وصدق الايمان به كما يكون حافزا الى دوام البحث والنظر كذلك

(٣) ان هذا لم يمنع القرآن الكريم من أن يتعرض لكثير من النواميس الدقيقة فى هذه العلوم ارشاداً للخاصة من الناس واثباتا لنسبة هذا الكتاب الكريم الى العليم الحكيم

(٤) كان أسلوب القرآن فى التكلم عن هذه المظاهر الكونية أسلوبا معجزا حقا .. فيه إجمال وفيه دقة وفيه وضوح الى جانبهما ، فهو يرضى النفس الفطرية كما يشبع نهمة الفكرة العلمية كما لا يمكن أبدا أن يصطدم فى مرونته وسعة معانى ألفاظه بنتائج البحث العلمى أيا كان فى أى عصر من العصور ، وهذا من أبلغ وجوه اعجاز القرآن

(٥) ان القرآن بهذا الأسلوب فارق ما فى أيدى الناس مما يزعمونه التوراة والانجيل فقد امتلأت بالتفريعات الدقيقة لهذه العلوم والتفصيلات الشاملة للتحدث عن كل مظاهر الكون والتصوير المادى لكل ما فيه فكانت نتيجة ذلك أن اصطدمت هذه الصور والأحكام بنتائج البحوث العقلية الثابتة فسقطت قيمتها العلمية فى نظر الكونيين سقوطا لا قيام لها بعده ، وكانت عن ذلك الخصومة الحادة التي ذهب ضحيتها كثير

من العلماء أمثال غاليليو وغيره وانتهت بأن قبع الدين فى زوايا الكنائس والاديرة وليس في القرآن الكريم شيء من هذا كله وهو قد ساير العلوم والمعارف منذ نزل على قلب محمد ﷺ فأشرقت الدنيا بنوره الى الآن فلم يصطدم بنظرية علمية صحيحة ولم يخالف حقيقة كونية ثابتة ولم يأته الباطل من بين يديه ولا من خلفه ذلك لأنه تنزيل من عزيز حكيم

(٦) والنتيجة من هذا البحث أنه لا يصح للمسلم أن يعترض نصوص القرآن بنتائج هذه العلوم فان من هذه النتائج ما لم يثبت بعد ومنها ما توهم العقل البشرى ثبوته فى عصر ثم نقضه أشنع النقض فى عصر آخر وتلك طبيعة الترقى العلمى كما سترى فى الفصل الذى يلى هذا! وفى التفسير الذى يجمع بين الايمان بالنص وإرضاء نتائج البحث الصحيح مندوحة، بل مخارج كثيرة، هذا من جهة ومن جهة أخرى فلا يجوز للمسلمين أن يقفوا عن البحث العلمى فى مستورات الكون وخفاياه اعتمادا على ما جاء فى القرآن من ذلك، ولا سيما والقرآن نفسه مملوء بالحث على النظر فى الكون ووجوب الازدياد من العلم — وقل رب زدنى علما — ولعلك بعد ذلك تدرك سر هذه الآية الكريمة مع قوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم — فالأولى حث على تعرف ما يمكن معرفته مما هو فى حيز البحث العلمى والثانية نهى عن مزاولة ما لا يمكن الوصول اليه حتى تنصرف الجهود للنافع

الى أى مدى وصل العقل فى العلوم الكونية ؟

يحسن بعد هذا البحث أن نجيب على هذا السؤال ليعلم المغرورون بنتائج البحث العلمى الى أى مدى وصل العقل الانسانى فى حل مشكلات الكون وكشف مستوراته ؟ وسنورد فى هذا البحث بعض الشواهد من كلام علماء الكون غير المسلمين ونعتذر عن ذلك مقدما . فلسنا فى حاجه الى تأييد كتاب الله تبارك وتعالى بغير ما هو فيه ولكننا قصدنا بذلك الى أمرين ، أولهما انتزاع الدليل من غير المؤمنين بالقرآن ليكون ذلك أبلغ فى الفضل وأقوى فى الاستدلال « والفضل ماشهدت به الأعداء » وثانيهما . إقناع المغرورين بعلوم الفرنجة المفتونين برقى أوربا المادى أعظم الفتنة إذا عرفوا أن أساتذتهم قد أعلنوا العجز واعترفوا بالقصور وطامنوا من غرورهم وخفضوا من حدة تعصبهم لما لا يعلمون والله الهادى الى سواء السبيل .

لقد أتى على الناس زمان توالت فيه الكشوف العلمية المادية ولمس الناس آثارها العملية فى مجرى حياتهم الدنيا . وظن علماء الكون أنهم وصلوا الى لب الحقائق وابتكروا من النظريات والقواعد ما يستطيعون به تفسير كل المظاهر الكونية . وأعلن كثير منهم فى ذلك الوقت تبرمه بالأديان وأهنها والعقائد ومعتقديها وطغت موجة من الالحاد على العقول

والأفكار ثم لم تلبث هذه الموجة أن انحسرت أمام ما تجلى لهؤلاء العلماء أنفسهم من عظمة الكون ؛ وأمام ما انكشف لهم من النواميس التى هدمت ما اطمأنوا اليه من قبل وما اعتقدوا أنه الحق فطامنوا من غرورهم واعترفوا بقصورهم وأعلنوا هذا العجز التام . وواصلوا بحوثهم فى تواضع وأدب

ذلك أمر طبيعي فان هذا العقل السائح فى ملكوت الله لا يستطيع أن يكشفه جملة ولا أن يصل الى مكنوناته طفرة فهو لابد أن يبلغ المدة التى كتبها الله له باحثا منقبا ولا بد أن يصل الى الحقائق متدرجا ولابد أن يخطىء مرة ويصيب أخرى فيتلقى عن الخطأ درسا ويكشف بالصواب حقيقة وهكذا دواليك. على أن العقل مهما بلغ من الكمال فهو لم يصل بعد الى حقيقة شىء من الأشياء إنما كل ما ظفر به بعض العوارض والصفات التى تنفع الناس أما حقائق البسائط المجردة فهو لم يصل الى شىء منها بعد . وأغلب الظن أن ذلك ليس من شأنه ولا مما يعنيه وانما هو سر الخلق الذى استأثر الله بعلمه

واليك بعض أقوال علماء الكون فى ذلك نستفتحها بقول الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى رسالة التوحيد فى هذا المقام :

(اذا قدرنا عقل البشر قدره وجدنا غاية ما ينتهى اليه كماله إنما هو الوصول الى معرفة عوارض بعض الكائنات التى تقع تحت الادراك الانسانى حسا كان أو وجدانا أو تعقلا ثم التوصل بذلك الى معرفة

مناقشتها وتحصيل كليات لانواعها والاحاطة ببعض القواعد لعروض ما يعرض لها ، وأما الوصول الى كنه حقيقته فمما لا تبلغه قوته لأن اكتناه المركبات انما هو باكتناه ما تركبت منه وذلك ينتهى الى البسيط الصرف وهو لاسبيل الى اكتناهه بالضرورة وغاية ما يمكن عرفانه منه هو عوارضه وآثاره . خذ أظهر الاشياء وأجلاها كالضوء .. قرر الناظرون فيه له أحكاما كثيرة حصلوها فى علم خاص به ولكن لم يستطع ناظر أن يفهم ما هو ؟ ولا أن يكنه معنى الاضاءة نفسها ، وانما يعرف من ذلك ما يعرف كل بصير له عينان وعلى هذا القياس) اه

«١» وتحدث الفيلسوف الفرنسى (جوستاف لوبون) فى كتابه تحول المادة عن تطور المعارف الانسانية الكونية وقصور العقل البشرى عن ادراك حقائق النواميس الطبيعية فى كلام طويل نقتطف منه مايلى (كل نظرياتنا العلمية العظيمة ليست بقديمة العهد .. لان تاريخ العلم التجريبى المحقق لايصعد الى أبعد من ثلاثة قرون وفى هذا العهد القريب قربا نسبيا حدث دوران مختلفان من أدوار التحول فى أفكار العلماء — فالدور الاول كان دور الثقة والاعتقاد فكانت فيه المقررات الفلسفية والدينية وهى قواعد مدركاتنا القديمة عن الوجود تضمحل وتزول ببطء أمام المكتشفات العلمية التى تتوالى يوميا ولاسيما فى

«١» هذه الشواهد منقولة من كتاب « على أطلال المذهب المادى للاستاذ محمد فريد وجدى ».

النصف الاول من القرن الماضى وكان يظن مؤسسو كل علم جديد أنهم متى أتموا بناء الصرح العلمى استمر هذا الصرح قائماً على أنقاض أوهام الزمان الماضى فكانت العقيدة العلمية فى هذا الدور على غاية تمامها دامت هذه العقيدة فى المقررات الكبرى للعلم العصرى حافظة لقوتها — الى أن حدثت فى الأيام الاخيرة مكتشفات غير منتظرة قضت على الفكر العلمى أن يكابد من الشكوك فى نتائج بحثه ما كان يعتقد أنه قد تخلص منه أبداً الآبدين . فان الصرح الذى كان لا يرى صدوعه إلا عدد قليل من العقول العالية تزعزع فجأة بشدة عظيمة فصارت التناقضات والمحالات التى فيه ظاهرة للعيان بعد أن كانت من الخفاء بحيث تكاد لا تبلغها الظنون — أدرك الناس على عجل أنهم كانوا مخدوعين وأسرعوا يتساءلون عما اذا كانت الاصول المكونة لمقررات اليقينية لمعارفنا الطبيعية لم تكن الا فروضاً واهية تحجب تحت غشائها جهلا لا يسبر له غور — فحدث فى ادراك المقررات العلمية مثل ما حدث قبل ذلك للعقائد الدينية «١» عند ما شرعوا فى مناقشتها الحساب فبدأت ساعة الانحطاط ثم تلاها دور الزوال والنسيان — لا مشاحة فى أن الاصول التى كان العلم يختال بها اختيالا لم تزل كل الزوال بل هى ستبقى أمداً طويلا فى نظر الدهماء كحقائق مقررة وستستمر الكتب

«١» يقصد المؤلف العقائد الدينية عندهم والا فان عقائد الاسلام قد سايرت العلم فى كل عصر فلم تضعف امامه وقد بينا سر ذلك فى الفصل السابق .

الابتدائية على نشرها ولكنها قد فقدت كل ما كان لها من الاجلال في نظر العلماء الحقيقيين - تلك المكتشفات التي نوهت بها آنفا قد كشفت اللثام عن الظنيات التي بدأت تفضح بالكتب الحديثة وبذلك دخل العلم نفسه في دور من الفوضى كانوا يظنون أنه قد سلم منه الى الآن ، وأصبحنا نرى أصولا كان يظن أنها ذات قاعدة رياضية محققة صارت موضوع النزاع بين العلماء الذين من وظائفهم تعليمها والدفاع عنها — ثم أورد بعد ذلك عدة شواهد على قوله هذا من كلام (هنري بوانكاريه) و (أميل بيكار) و (ماتش) و (لوسيان بوانكاريه) ختمها بقول هذا الاخير (فالآراء التي كانت تظهر لمن سبقنا كأنها تأسست تأسيسا ثابتا صارت اليوم لدينا موضوعا للمناقشة وقد رفض اليوم على وجه تام الرأى القائل بان كل الظواهر الطبيعية تقبل تفسيرا ميكانيكيا، فان أصول علم الميكانيكا نفسه صارت مشكوكا فيها وقد شوهدت حوادث جديدة زعزعت عقائدنا المتعلقة بالقيمة المطلقة للنواميس التي اعتبرت أساسية إلى اليوم) ثم قال بعد ذلك — من حسن الحظ أنه لاشيء أكثر ملاءمة للترقي العلمي من هذه الفوضي فالوجود مفعم بمجهولات لانراها والحجاب الذي يحجبه عنا منسوج غالبا من الاراء الضالة أو الناقصة التي توجبها علينا تقاليد العلم الرسمي وأشد الاشياء خطرا على تقدم العقل الانساني هو تقديم الظنيات للقراء لابسة حلل الحقائق المقررة على نحو ماتفعله كتب

التعاليم ـ والتطاول لوضع تخوم للعلم ورسم حدود لما يمكن معرفته كما كان يود ذلك (اجوست كونت) اهـ

(٢) حتى (دارون) نفسه وقد فتن مذهبه كثيرا من الافرنجيين أن غاية نجاحه العلمى لم يتعد بعض التفسيرات فى أصل الانواع وقد كتب فى هذا المعنى الى صديقه المستر (هيات) فقال (اسمح لى أن أضيف الى هذا بأنى لست من قلة العقل بحيث أتصور أن نجاحى يتعدى رسم دوائر واسعة لبيان أصل الأنواع)

(٣) ومن كلام وليم جيمس الاستاذ بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة (ان علمنا ليس إلا نقطة ولكن جهلنا بحر زاخر والامر الوحيد الذى يمكن أن يقال بشىء من التأكيد هو أن عالم معارفنا الطبيعية الحالية محاط بعالم أوسع منـــه من نوع آخر لم تدرك خواصه المكونة له إلى اليوم)

(٤) وقال الاستاذ وليم كروكس الانجليزى من خطبة له فى مجمع العلوم (متى امتحنا من قرب بعض النتائج العادية للظواهر الطبيعية لم نبدأ بادراك الى أى حد تحصر هذه النتائج أو النواميس كما نسميها فى دائرة نواميس أخرى ليس لنهايتها أقل علم عندنا . أما أنا فان تركى لرأس مالى العلمى الوهمى قد بلغ حدا بعيدا فقد تقبض عندى هذا النسيج العنكبوتى للعلم كما عبر بذلك بعض المؤلفين إلى حد أنه لم تبق منه الا كرة صغيرة تكاد لاتدرك)

وقال «كاميل فلامريون» فى كتابه المجهول «ترانا نفكر، ولكن ماهو الفكر؟ لايستطيع أحدنا أن يجيب على هذا السؤال وترانا نمشى ولكن ماهو العمل العضلى؟ لايعرف أحد ذلك، بل كيف ينقل العصب البصرى الصور الخارجية الى الفكر؟ وقل لى كيف يدرك هذا الفكر وأين مستقره؟ وماهى طبيعة العمل المخى؟. استطيع أن اسأل عشر سنين ولا تستطيع أكبر رأس فيكم (يقصد العلماء الكونيين) أن يجيب على أحقر أسئلتى»

وقال الفيلسوف «أندريه كريسون» فى كتابه قواعد الفلسفة (العلم لايعطينا عن الوجود فى مجموعه الا معارف مبهمة للغاية فاننا لانعلم البدء الحقيقى للنجوم ولا للكواكب التى تحيط بالشموس البعيدة فابداء فرض والحالة هذه على تركيب مجموع الكون لايمكن أن يكون إلا تحكما)

تلك صورة مصغرة فى الحقيقة عن اعتراف علماء الكون بجهلهم بنواميس الكون نسوقها تذكرة لاخواننا الذين افتتنوا بهذه البحوث وأرادوا أن يتخلصوا من سلطان العقيدة الدينية استنادا إليها بل أزيدهم فى ذلك أن الفيلسوف الانجليزى هربرت سبنسر كان من حججه القوية في المطالبة بالعناية بالعلوم الطبيعية أن معرفتها مما يقوى الايمان ويؤدى الى معرفة الله فان مافى الموجودات من جمال التناسق والابداع ودقة الصنع والاختراع يثير فى النفس الانسانية فطرة الايمان

العميق فتعترف راضية مطمئنة بعظمة الخالق العظيم ويزيدها تسليما وتفويضا عجز العقل البشرى عن تخطي الحدود العرفانية المقررة له وضرب لذلك عدة أمثلة في غاية الروعة فاتراجع في رسالته في التربية

ومن ذلك نعلم أن الانسان لازالت أمامه مراحل واسعة لادراك حقائق الظواهر الكونية فاذاعجزنا الان عن ادراك ملكوت السموات وعن تعرف عجائب الارض . وعن اكتناه سر الحياة إذ أن القرآن الكريم لم يكشف لنا من ذلك الا ما نحتاجه للعظة والعبرة، والعقل البشرى لم يصل في كشفه الا الى بعض الجوانب دون بعض، اذاعجزنا الان فليس ذلك بنقص ولا بعيب ، ولسنا ملزمين ابداً بادراك كل الحقائق فلنقنع مؤقتا بما وصلنا اليه ولنعمل بجد لادراك ماخفى عنا امره ، ولكل مجتهد نصيب « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين »

(الله الذى رفع السموات والأرض بغير عمد ترونها) تقدم فى سورة الاعراف فى الجزء الثامن من تفسير المنار كلام معقول نفيس عن السموات والأرضين وعن الايام الستة التى خلقت فيها وعن المطابقة بين الوارد فى القرآن والمعروف من نظريات علماء الفلك : وفى الرد على كثير من الاقاصيص حول هذه الموضوعات فليراجع هناك وخلاصته ما يأتى —

(١) ان السموات والارض يطلقان « فى مثل آية الاعراف » على

كل موجود مخلوق أو ما يعبر عنه بالعالم العلوى والعالم السفلى وان كان العلو والسفل فيهما من الامور الاضافية ـ وقد تطلق السموات على ما دون السفلى من العالم العلوى . ولا سيما اذا وصفت بالسبع وهذا المعنى هو الموافق فى آية الرعد

(٢) أن الأيام الستة التى وردت في خلق السموات والأرض هى من أيام الله التى يتجدد اليوم منها بالعمل الذى يكون فيه ،فالمراد بها اذا والله أعلم . التطورات التى اعتورت خلق السموات والأرض من الدخان إلى المائية إلى اليبوسة إلى خلق الأحياء والتعمير بالنسبة للارض فهذه أربعة أيام . ثم الى تكوين الاجرام السماوية في زمنين آخرين فليست هى كأيام الدنيا . وما جاء من الآثار فى ذلك فهو اسرائيلى أو ضعيف وأصح ما ورد فيه حديث أبى هريرة فى ذلك وفى سنده حجاج بن محمد الأعور وهو قد تغير فى آخر عمره وثبت أنه حدث بعد اختلاط عقله

(٣) أن تكلف التوفيق بين ما ورد فى ذكر السموات السبع وبين الافلاك التسع المعروفة فى الهيئة الفلكية عند اليونان مردود ببطلان هذه النظريات ولا حاجة الى الخوض فيه

هذه خلاصة ما تقدم فى سورة الاعراف ونزيد عليه هنا ما انفردت به هذه الاية وهو :

النص على أن رفع السماء بغير عمد إظهار الكمال قدرة الله سبحانه تعالى وعظيم سلطانه فهذه السموات كلها وما فيها من الاجرام

والكواكب والخلائق مرفوعة بإذنه وإمساكه من غير أن تستند على شيء بل بذلك الناموس العجيب الذى أودعه طبيعتها وجعله لازما لتكوينها فاستغنت به عن أن تعتمد على ما سواه وسواء أسمينا هذا الناموس جاذبية أو نسبية أو امساكا إلهيا أو قدرة ربانية فلا تغير هذه الاسماء من حقيقة الامر شيئا

(ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا . ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا)

وقد نقل بعض المفسرين عن بعض السلف أن للسماء عمدا ولكن لاترى أو أنها مرتكزة على الأرض كما يشاهد فى الافق وكل ذلك غير صحيح وقد نفاه شيخ المفسرين ابن جرير فقال فى ذلك « وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة أن يقال كما قال الله سبحانه وتعالى . الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها فهى مرفوعة بغير عمد نراها كما قال ربنا جل ثناؤه ولا خبر بغير ذلك ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواه) بل إنه وقد ورد فى شعر الجاهلية ما يفيد الاستدلال على قدرة الله وعجيب صنعه برفع السماء بغير عمد . قال أمية بن أبى الصلت ويروونها لزيد بن نفيل رضي الله عنه

الى الله أهدى مدحتى وثنائيا ... وقولا رضيا لايني الدهر باقيا
الى الملك الاعلى الذى ليس فوقه ... اله ولا رب يكون مدانيا
ألا أيها الانسان إياك والردى ... فانك لا تخفى من الله خافيا

وإياك لا تجعل مع الله غيره فإن سبيل الرشد أصبح باديا
رضيت بك اللهم ربا فلن أرى أدين إلها غيرك الله ثانيا
وأنت الذى من فضل من ورحمة بعثت إلى موسى رسولا مناديا
فقلت له: فاذهب وهرون فادعوا الى الله فرعون الذى كان طاغيا
وقولا له هل أنت سويت هذه بلا وتد حتى استقلت كما هيا؟
وقولا له: آأنت رفعت هذه بلا عمد أو فوق ذلك بانيا؟
وقولا له: هل أنت سويت وسطها منيرا اذا ما جنك الليل هاديا؟
وقولا له: من يرسل الشمس غدوة فيصبح ما مست من الارض ضاحيا؟
وقولا له: من أنبت الحب فى الثرى فيصبح منه العشب يهتز رابيا؟
ويخرج منه حبه فى رءوسه ففى ذاك آيات لمن كان واعيا
فرب العباد ألق سيبا ورحمة على وبارك في بني ومـاليـا

نقله الحافظ بن كثير فى البداية والنهاية عن ابن اسحاق

وما ورد فى تحديد مادة السموات وتقدير الابعاد بينها وبين الارض أو بينها وبين عوالم الملأ الأعلى لا يصح فضلا عن أنه غامض مبهم

(ثم استوى على العرش) قال صاحب المنار رحمه الله فى مثل هذه الآية من سورة الأعراف بعد كلام فى المعنى اللغوى للاستواء والعرش وإيراد للآيات التى ذكر فيها ذلك ما نصه (لم يشتبه أحد من الصحابة في معنى استواء الرب تعالى على العرش على علمهم بتنزهه

سبحانه عن صفات البشر وغيرهم من الخلق اذ كانوا يفهمون أن استواءه تعالى على عرشه عبارة عن استقامة أمر ملك السموات والارض له وانفراده هو بتدبيره . وان الايمان بذلك لا يتوقف على معرفة كنه ذلك التدبير وصفته وكيف يكون ؟ بل لا يتوقف على وجود عرش .. ولكنه ورد فى الكتاب والسنة أن لله عرشا خلقه قبل خلق السموات والارض وأن له حملة من الملائكة فهو كما تدل اللغة مركز تدبير العالم كله قال تعالى فى سورة هود (١١ — ٧) (وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء) ولكن عقيدة التنزيه القطعية الثابتة بالنقل والعقل كانت مانعة لكل منهم أن يتوهم أن فى التعبير بالاستواء على العرش شبهة تشبيه للخالق بالمخلوق ، كيف وان بعض القرائن الضعيفة لفظية أو معنوية تمنع فى لغتهم حمل اللفظ على معناه البشري فكيف اذا كان لا يعقل وكيف والاستواء على الشيء استعمل فى البشر استعمالا مجازيا وكنائيا كما تقدم ؟ والقاعدة التى كانوا عليها في كل ما أسنده الرب تعالى إلى نفسه من الصفات والافعال التى وردت اللغة فى استعمالها فى الخلق أن يؤمنوا بما تدل عليه من معنى الكمال والتصرف مع التنزيه عن تشبيه الرب بخلقه فيقولون إنه اتصف بالرحمة والمحبة واستوى على عرشه بالمعنى الذى يليق به لا بمعنى الانفعال الحادث الذى نجده للرحمة والحب فى أنفسنا ولا ما نعهده بالاستواء والتدبير من ملوكنا وحسبنا أن نستفيد من وصفه بهاتين الصفتين أثرهما في خلقه وأن نطلب رحمته

ونعمل ما يكسبنا محبته، وما يترتب عليهما من مثوبته وإحسانه ونستفيد من الاستواء على عرشه كون الملك والتدبير له وحده فلا نعبد غيره ولذلك قرنه فى آخر آية يونس بقوله (ما من شفيع إلا من بعد إذنه) وفى سورة الم السجدة ٣٢ - ٣٣ (الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون) اه

ونقول: لك أن تقول هذا فتلاحظ فى معنى الاستواء الوارد فى الآيات القرائن والملابسات وذكر الخلق والتدبير والتصريف ونفى الشفعاء فى معظم الآيات التى ورد فيها الاستواء ولم يجىء ذلك عبثا وإنما جاء لرابطة بين المعانى الواردة فى الآية فتعتقد أن المراد بالاستواء على العرش مطلق التدبير والتصرف، وتصرفه صرفا تاما عن معناه الذى يوهم التشبيه كما جاء فى هذا القول المتقدم ولك أن تتوقف مبالغة فى التورع فتقول: نمره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. ولكل من الموقفين موضعه فأنت إذا خفت على نفسك أو غيرك شبهة التشبيه فأمامك المعنى الاول يثلج الصدر ويطمئن القلب ولا يتنافى مع ظاهر اللغة ولا يقدح فى جلال الصفة، وان كنت رجلا رضى النفس مطمئن القلب بالايمان مستريح البال بالتفويض والتسليم تخشى أن الكلام فى هذه المعانى يفتح عليك وعلى غيرك أبوابا من الفتنة المغلقة فقلت آمنت بما جاء عن الله على مراد الله والله أعلم بمراده واسترحت قلبك وان أفترك

وان أفتوك وان أفتوك والله أعلم

(وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى)

وقد يكون المراد بالجريان ما يرى من حركتهما الظاهرة التى تلازم ناموس الاتصال بينهما وبين الارض وبقية الكواكب حتى تقوم الساعة فيبطل ذلك النظام ويختل ذلك الناموس وتبدل الأرض غير الارض والسموات. وقد يكون المراد جريانهما الحقيقى. وقد ثبت أن لكل الاجرام حركات حول نفسها ولكثير منها حركات حول غيرها وللشمس حركة حول نفسها ولها هي ومجموعتها الكوكبية حركة انتقالية فى السماء بحيث أن دوران الارض حول الشمس ليس فى خط منحن مقفل بل فى خط حلزونى مفتوح دائما يجعلها لا تمر من نقطة واحدة دفعتين منذ دارت الى الآن وهذا عجيب حقا. والى أين تسير الشمس فى السماء؟ لا يجيبك أحد من الفلكيين ولكن القرآن الكريم يقول (لمستقر لها) وأين هذا المستقر ذلك ما يعلمه الله ولم يصل اليه العلم التجريبى بعد وكلا المعنيين صحيح الأول معنى نظرى والثانى معنى علمى وهو أسلوب القرآن المعجز الذى ذكرت لك آنفا. وانما خصت الشمس والقمر بالذكر لصلتها الواضحة بالارض وما عليها والا فالتسخير والتصريف والقهر يتناول كل الاجرام السماوية بل كل العوالم وقد صرح القرآن بذلك فى كثير من الايات كقوله تعالى (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)

(يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون)

هذا النظام المعجز والخلق البديع والتكوين الكامل والتصريف العجيب هو تدبير الله وصنعه وكذلك يدبر الله أمر الخلق ويفصل لهم الآيات الكونية والقولية لعل ذلك يكشف عن قلوبهم حجب الغفلة ويزيل غشاوة الشك والريب فاذا أدركوا بعض مظاهر هذه العظمة الربانية اعتقدوا وأيقنوا أن هذ الخالق قادر على اعادتهم وأنهم سيلقونه فيحاسبهم على ماقدموا من الاعمال فى حياتهم الدنيا . واليقين صفة من صفات العلم ومرتبة من أعلى مراتب الايمان وهو فوق المعرفة والدراية هو سكون القلب واطمئنانه مع ثبوت الحكم فى النفس واستقراره وزوال كل عوارض الشك والريب والله أعلم

« الجهاد فى سبيل الله »

من كلام الامام على كرم الله وجهه

أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل ، وشمله البلاء ، وديث بالصغار والقماء وضرب على قلبه بالاشداد ، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف ومنع النصف . . فوالله ما غزى قوم فى عقر دارهم الا ذلوا . . . فياعجبا والله يميت القلب ويجلب الهم اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم ، يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون ! ! . .

فتاوى المنار

تقدم فى هذا الباب الاجابة على أسئلة المشتركين ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقاب وسنجيب بحسب ترتيب الاسئله فى الورود ان شاء الله. والله المستعان

الأحمدية (القاديانية واللاهورية)

سيدى الاستاذ محرر المنار الأغر حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

« وبعد » فقد طالعنا فى بعض الجرائد الاسلامية مقالات حول طائفة القاديانية وحول وجود بعض من ينتسبون اليها بالأزهر الشريف لطالب العلم وأن فضيلة شيخ الازهر قد ألف لجنة من بعض كبار العلماء للتحرى عن مذهب هذه الطائفة ولم نعلم نتيجة هذا التحقيق بعد فنرجو التكرم ببيان موجز عن عقائد هذه الجماعة وعن الفرق بين القاديانية والأحمدية وعن نشأتهم وعن واجب المسلمين إزائهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد فهمى أبو غدير

كلية الحقوق

—

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) رأس هؤلاء الجماعة رجل هندى اسمه غلام أحمد ولد عام ١٨٣٩ م

ومات عام ١٩٠٨م بقاديان من أعمال بنجاب الهند ادعى أنه المسيح الموعود به وأن روح الله قد حلت فيه وأنه المهدى المنتظر وأنه أوحي اليه بكثير من اللغات ومنها الانكليزية وخلط ذلك بكثير من الدعاوى الفارغة التى تتناقض مع أصول الاسلام كل المناقضة وقد وجدت السياسة الانكليزية فيه مطية من مطاياها فى التفريق بين الشعوب وأغرته وأمدته بالمال والجاه حتى كان قضاة الحاكم الانكليز يتساهلون معه فى الاحكام فى القضايا التى رفعت عليه وعلى أتباعه فى جرائم كثيرة وفى نظير هذه المساعدات من الدولة الانكليزية أصدر هذا المدعى فتاوى صريحة بسقوط أحكام الجهاد بل وصرح بأن من يرفع السيف فى وجه انجلترا آثم مرتكب لاكبر الجرائم وقد وقعت بينه وبين علماء الهند الفضلاء مناظرات ومجادلات عدة ووقعت بينه وبين صاحب المنار السيد محمد رشيد رضا رحمه الله محاورات وتناول السيد هذا الموضوع فى كثير من أعداد المنار وترى بعض هذه المقالات في الاجزاء الخامس والسادس والسابع من المجلد الحادى والثلاثين وقد كان من عادات هذا المسيح المدعى أن يدعو مناظريه إلى المباهلة وأن يجعل موت خصمه قبله دليلا على انتصاره وبالعكس وقد مات سنة ١٩٠٥ بعد أن زعم قبل ذلك أن أجله قد انتهي فمكث بعد هذا الزعم ثلاث سنوات وقد بني مقبرة بقاديان وادعى أن من دفن بها سيدخل الجنة بشرط أن يتبرع بربع ماله. وأبقى الله فضلاء العلماء الذين قاموا ببيان زيفه

وغلطه فما كانت هذه التمويهات لتكون دليلا على حق أو هادمة لباطل ولكنه الافلاس من الدليل وقد قام برياسة جماعته من بعده ابنه بشير محمود ومقره الآن قاديان من البلاد الهندية وتنسب الطائفة إلى أبيه فتسمى الطائفة الاحمدية

(٢) وقد انقسمت هذه الطائفة الاحمديه الى فريقين فريق اعتقد النبوة لغلام احمد وصدق بكل ماقاله وهؤلاء هم أحمدية قاديان ورئيسهم ابنه بشير وفريق اعتقد فيه أنه مصلح مجدد وأخذ ببعض مزاعمه دون البعض على حد اعترافهم وقولهم والله أعلم بحقيقة مايضمرون وإن كانت كل أعمالهم تدل على أنه لا فرق بينهم وبين اخوانهم السابقين وهؤلاء هم أحمدية لاهور ولسانهم الناطق السير محمد على صاحب ترجمة القرآن وهو غير مولانا محمد على رحمه الله — وكلام الفريقين بعيد عن أصول الدين فانه إذا كان غلام أحمد قد صرح بأنه نبي وأنه يوحي إليه وصرح بغير ذلك من الطوام والفضائح فهل يغنى شيئا عن اللاهوريين أن يقولوا إننا نعتقد أنه مجدد ؟ وأى القولين يصدق الناس قول المتبوع الذى يصرح بنبوة نفسه أم قول التابعين الذين لا يبالغون به هذه المرتبة ؟ لو كان هؤلاء صادقين لرجعوا إلى الحق ولوافقوا جمهور أئمة المسلمين ولبرءوا الى الله من هذا الرجل براءة الذئب من دم ابن يعقوب

(٣) والغريب فى أمر هذه الجملة أنها تلبس على المسلمين بأمرين

اولهما نشاطها فى الدعوة إلى نحلتها بزعم أنها دعوة الى الاسلام وتشجيع الانـكليز وإغراؤهم من وراء ذلك والا فلما لا يبرز هذا النشاط قويا الا فى بلاد الانـكليز وما يلحق بها ؟ والثانى مجاداتهم للمبشرين وهدم لمزاعم دعاة النصرانية وهم فى هذا مهرة مجيدون وهدم الباطل سهل ميسور وهم يستغلون هذا الانتصار ليقولوا للمسلمين اننا أخلص الناس للاسلام وها أنتم ترون كيف نهزم دعاة النصرانية ويخفون عنهم أنهم ان هدموا عقائد النصرانية فهم لا يبنون عقائد اسلامية ولـكن عقائد خيالية لعل النصرانية خير منها وفيما يلى نموذج من أقوال رئيس هذه الطائفة فى كثير من المسائل وفى اسقاط الجهاد وتحريم رفع السيف فى وجه الانـكليز

(١) قال غلام أحمد فى رده على صاحب المنار بكتاب أسماء (الهدى والتبصرة لمن يرى) يذم العلماء لانهم لم يؤمنوا بمسيحيته الموعودة ويعلن أن رفع السيف على الانـكليز جرم عظيم

« وقد أمروا أن يتبعوا الحكم الذى هو نازل من السماء ، ولا يتصدوا له بالمراد فما أطاعوا أمر الله الودود ، بل إذا ظهر فيهم المسيح الموعود.. فكفروا به كأنهم اليهود . وقد نزل ذلك الموعود عند طوفان الصليب وعند تقليب الاسلام كل التقليب فهل اتبع العلماء هذا المسيح كلا بل أكفروه واظهروا الكفر القبيح وأصروا على الاباطيل وخدموا القسوس فأخذهم القسوس وشجوا الرءوس وأذاقوهم مايذيقون

المجوس فرأوا اليوم المنحوس - سيقول العلماء ان الدولة البريطانية أعانت القسوس ونصرتهم بحيل تشابه الجبل الركين لينصروا المسلمين فى جميع العالمين

والامر ليس كذلك والعلماء ليسوا بمعذورين فان الدولة ما نصرت القسوس بأموالها ولا بجنود مقاتلين وما أعطتهم حرية أكثر منكم ليرتاب من كان من المرتابين بل أنشأت قانونا سواء بيننا وبينهم ولها حق عليكم لو كنتم شاكرين

أتريدون أن تسيئوا إلى قوم أحسنوا إليكم والله لا يحب الكفارين الغامطين ومن إحسانهم أنكم تعيشون بالامن والامان وقد كنتم تخطفون من قبل هذه الدولة فى هذه البلدان - وأما اليوم فلا يؤذيكم ذباب ولا بقة ولا أحد من الجيران وإن ليلكم أقرب الى الامن من نهار قوم خلت قبل هذا الزمان ومن الدولة حفظة عليكم لتعتصموا من اللصوص وأهل العدوان وهل جزاء الاحسان الا الاحسان. وإنا رأينا من قبلها زمانا موحشا من دونه الحطمة واليوم بجنتها عرضت علينا الجنة نقطف من ثمارها ونأوى إلى أشجارها ولذلك قلت غير مرة إن الجهاد ورفع السيف عليهم ذنب عظيم وكيف يؤذى المحسن من هو كريم ومن آذى محسنه فهو لئيم »

هذا كلام المسيح الموعود عن طغاة الاستعمار المنكود فهل يدافع الانجليز عن أنفسهم فى كل مكان بأكثر من هذا الهذيان. اللهم ان

هذا هو البهتان وانظر إليه كيف ينفي عن الانجليز مساعدة المبشرين وهم أعضادهم فى كل وقت لاينكرون ذلك ولايخفون ما هنالك بل يساعدونهم فى كل حين بأوقاف المسلمين وما أنباء التبشير فى السودان الان وفى غير السودان من قبل ببعيد عن هذا المسيح الموعود ولكن الغرض يعمى ويصم

وقد نشرت مجلة الفتح للغراء فى العدد ٦٦٤ بتاريخ ١٠ جمادى الاخره سنة ١٣٥٨ استفتاء لعلماء الهند جاء به كثير من أقوال هذا المدعى المكفرة مثل قوله (انى نبى وأنا المخصوص بالنبوة فى هذه الامة) من كتاب حقيقة الوحى ص ٣٩١ له

وقوله (خاطبني الله بقوله اسمع ياولدى) من كتاب البشرى ص ٩٤ له

وقوله (كان المسيح متعودا على الكذب والافتراء) من كتاب ضميمة أنجام آتهم ص ١٧

وهكذا من هذه التخريفات وقد أفتى علماء الهند الفضلاء بكفره لهذه الاقوال الشائنة وذيلت هذه الفتيا بتوقيعات كثير من الافراد والطبقات العلمية فى جميع بلاد الهند تقريبا وفى كثير من بلدان الاسلام

(٤) أما حادثة الازهر فخلاصتها أن طالبين اليانيين ممن ينتسبون الى هذه الطائفة اندرجا فى سلك طلبه القسم العام وتنبة لهما بعض اليقظين من الطلبة فأبلغوا أمرهما الى الجهات المختصة فى الازهر فأجرى

تحقيق بمعرفة شيخ القسم العام ثم ألفت لجنة للكشف عن حقيقة هذا المذهب وقد أمد بعض الغيورين هـذه اللجنة بكثير من كتب هذه الطائفة التي تصرح بضلالها ومحالها .

وكانتنا لحضرات أصحاب الفضيلة علماء الازهر الاجلاء وعلى رأسهم فضيلة الاستاذ الاكبر أن الامر أهون من ذلك كله والحق واضح بين . ووجود هذين الطالبين بين الطلبة فيه خطر محقق ذلك إلى أنهما سيستخدمان نسبتهما للازهر وحملهما لاسم طلب العلم فيه استخداما خبيثا في تأييد نحلتهما الضالة الهدامة . وقد ذاع الامر الآن في مصر وفي غير مصر من بلاد الاسلام وعلى يد هذين الطالبين وامثالهما ممن يشايعهما في البانيا ذاع السفور والتحلل من عقدة الاسلام ورأى الأزهر رأى رسمي يتخذه الناس حجة في كل أقطار العالم فتبعة فتواه في هذا كبيرة عظيمة ومسئوليته في هذا لا يعلم مداها إلا الله

نرجو أن تضع اللجنة نصب عينها هذه الحقائق وأن تقذف هذه الفتنة بالحق الواضح فتدمغها فاذا هي زاهقة وان تأخذ بالحزم فتقصي عن حرم الازهر كل طالب لا خير فيه للاسلام والله الهادي إلى سواء السبيل ؟

« في العدد القادم »

ورد علينا سؤالان أحدهما خاص باستحضار الارواح والثاني خاص بإنيل في خطيئة آدم عليه السلام نرجي الكلام فيها إلى العدد القادم

(المنار منذ عشرين سنة)
رجب سنة ١٣٣٨ هـ

عاقبة حرب المدنية الاوروبية

بقلم السيد محمد رشيد رضا رحمه الله

كتبنا في أثناء هذه الحرب مقالات بينا فيها أسبابها وعللها وحكمة الخالق فيها وفظائعها وشرورها والمقابلة بينها وبين الحروب الاسلامية التي امتازت بالرحمة وبجعل الحرب ضرورة تقدر بقدرها وبتحريم القسوة والفظائع فيها، والمقابلة والمقارنة بين الدول المتحاربة في الاستعداد والمزايا، وصرحنا فيها بأن عاقبتها ستكون انفراد احدى الدولتين الرئيسيتين في الحلفين الكبيرين الجرماني والانكليزي — وهما المانية وانكلترة — بالسيادة والعظمة في العالم وفاقا لقول الفيلسوف هربرت سبنسر الشهير للأستاذ الامام : إن ضعف الفضيلة وتغلب الأفكار المادية في أوربة سيدفعان دولها إلى حرب عامة طامة ليعلم أيها الاقوى ليسود العالم

ومما بيناه في بعض تلك المقالات أن المانية أتقنت الاستعداد للحرب اتقانا يمكنها من محاربة أوروبة كلها وأنها فاقت جميع الدول في السلاح

والنظام وان اعداءها يفوقونها بالكثرة التي تعد من أعظم أسباب الغلبة كما قال الشاعر العربي

ولست بالاكثر منهم حصا وانما العزة للكاثر

وقد كان من أمر هذه المكاثرة أن انكلترة ألبت على المانية أكثر دول الأرض في الشرق والغرب من العالمين القديم والجديد ، وإنما كان ذلك بعلو كعبها على الألمان بغيرهم في الدهاء السياسي الذي هو أدق علوم البشر وأصعب أعمالهم مركبا وأوعرها مسلكا ، وقد قلت مرة لصاحب لي من الألمان المستشرقين كان يحاورني وأحاوره في المقارنة بين قومه وبين الانكليز وما بينهما من المناظرات . إنني مقتنع بأنكم فقتم الانكليز في جميع العلوم والفنون والأعمال حتى التجارة إلا ما هو أهم من ذلك كله وأعظم - وهو السياسة - فانني أرى أن الانكليز يفوقونكم فيها . فقال صدقت

وقد ذكرتني هذه الكلمة التي قلتها منذ بضع سنين بكلمة في معناها قلتها منذ بضع عشرة سنة في مجلس بدار أحد أصدقائنا بمصر مات من حاضريه لطيف باشا سليم وحسن باشا عاصم وجرجي بك زيدان وبقي صاحب الدار وأحد الباشوات قال صاحب الدار في ذلك المجلس انه بلغه أن المانية عقدت مع روسية محالفة سرية على انكلترة وسيترتب على هذه المحالفة اخراج الانكليز من مصر ومن الهند أيضا فقلت له لا تغتر بهذا الخبر فان انكلترة كانت ولا تزال تضرب بعض الأمم

بعض وتكون هي الراجحة فهي كما قال مسلم بن الوليد كالسيل يحذف جلمودا بجلمود

انني لم أصدق هذا الخبر في ذلك الوقت ثم تبين في أثناء هذه الحرب مما اكتشف من أسرار القيصرية الروسية أن له أصلا وأن مشروع المحالفة وضع ثم عرض ما حال دون اتمامها فان كان هذا وقع بعد ذلك الزمن الذي أخبرنا فيه ذلك المخبر به فمن الجائز أن تكون مقدماته ووسائله قد سبقته بسنين ، والذي نقصده من العبرة في هذه السياسة هو أن الانكليز غلبوا ألمانيا على روسية فحالفوها على الترك والفرس ثم جعلوها باتفاقهم مع حليفتهم فرنسة فدية لهما في هذه الحرب فكانت مصب نقمة المانية الحربية في ريعان قوتها ، وعنفوان أسرتها وكذلك تعبث الأمم العليمة الحكيمة بالأمم الجاهلة الخرقاء فتجعلها فدية لها كما فعل الحلفاء بأمم أخري وكما فعل الألمان بالترك

وقد كان أعجب مظاهر قدرة انكلترا السياسية تسخير دولة الولايات المتحدة الامريكية لانقاذها وإنقاذ حلفائها من جحيم الالمان العسكري بعد أن عجزت أوروبا كلها ومن ظاهرها من أمم آسيا وافريقيا وأمريكا الجنوبية عن فل حدهم ، وإيقاف طغيان مدهم ، وهي الدولة التي جعلت من قواعد سياستها ترك مشاكل العالم القديم لاهله وعدم مشاركتهم في شيء منه . رقتها انكلترا رقيتين استخرجت بهما حيتها من جحرها ، وزحزحتها عن قاعدة سياستها . إحداهما دعوتها

إلى انقاذ حرية الامم والشعوب من السيطرة الالمانية التى تهدد العالم بالاستعباد ، والثانية دهاء اليهود وتموذهم المالى فى تلك البلاد ؛ وقد وعدتهم انكلترا بان يكون جزاؤهم إعادة ملك اسرائيل الى مملكة سليمان فى الارض المقدسة بالرغم من أنوف العرب أصحاب البلاد . ومن الملتين الاسلامية والنصرانية وشنكت لها على هذا الوعد أشد ذوى التحمس الديني من البروتستنت والكاثوليك حتى الجزويت منهم ، وأما المسلمون فلم يصدهم ذلك عن مساعدتها على فتح البلاد المقدسة بالجيوش التى جهزوها باسم شريف مكة سليل الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحب الحجاز بقيادة بعض أبنائه . فهل كان باستطاعة أحد من دول الارض أن يفعل مثل هذا أو يفكر فى إمكانه ؟ لا ، ولكن الانجليز فعلوا مالم يكن يخطر فى بالِ بشر فاستردوا هذه البلاد وماحولها من المسلمين الذين غلبوا اقلب الاسد ملك الانجليز وسائر ملوك أوروبا فى الحرب الصليبية بمساعدة الجيوش الاسلامية

طوع المستر لويد جورج وزير انجلترا الاكبر هذه الدولة بالرقيتين اللتين ذكرنا فجعلت ثروتها الكبيرة ومواردها الغزيرة وجنودها الكثيرة وقفا على انقاذ الحلفاء من ألمانيا بل هاجمت ألمانيا بقوة أكبر وأعظم من كل هذه القوى — قوة الدعوة الى الصلح المبنى على اتفاق الامم والشعوب على العدل العام والحرية الشاملة لجميع الانام ؛ وإبطال ماجرت عليه الدول القوية فى العصور الخالية من المحالفات السرية

على هضم حقوق الامم المستضعفة وغير ذلك من أصول الحق والعدل التي مازال الاقوياء يهدمونها بمعاول القوة : ومنها وجوب حرية البحار وجعل الانجليز وغيرهم فيها سواء ، قام الدكتور ولسن رئيس جمهورية الولايات يحارب ألمانيا بهذه القوة الادبية المعززة لتلك القوى الحربية والمالية . ففاه بتلك الخطب الطنانة الرنانة ، ووضع للصلح تلك القواعد الجذابة الخلابة . ففعلت في زمر الاشتراكيين والعمال الالمانيين فعل السحر ، ولا سيما قاعدة حرية البحار في زمني الحرب والسلم فخرجوا على حكومتهم السياسية ، وثاروا في وجه قوتهم العسكرية وهي في أوج انتصارها، وذروة فخارها : أمرت أسطولها بان يهاجم الاسطول البريطاني فاعتصب بحارته وأبوا الامتثال ، وهدد زعماء الاشتراكيين قواد الحرب باعتصاب جميع العمال ، أو يطلب عقد الصلح على قواعد الرئيس «ولسن» العادلة اذ هي أفضل من نصر عسكري يورث الاحقاد ويورث السياسة الجائرة ، وانما أسست جمعياتهم وتحزبت أحزابهم لمقاومتها ، وقد سنحت لهم الفرصة فقالوا لا نضيعها . ولم يقنعهم القول بأن هذا خداع : لان الامريكيين غير متهمين بالكيد ولا بالاطماع ، فاستمهلتهم الحكومة ريثما تسحب جيوشها وكراعها وذخائرها من قلب فرنسا فامهلوها ، وكان ما كان من أمر طلب الهدنة واشتراط الحلفاء فيها إضعاف جميع قوى الالمان الحربية في البر والبحر والجو حتى لا يستطيعوا العود . فمن المنتصر ؟ أميركا في الظاهر وانجلترا في الباطن . بل المنتصر إنما هم

رجال السياسة الانجليزية وحدهم . فهم الذين أقنعوا الولايات المتحدة بوجوب مؤازرة القضية المشتركة فسقطت على يدها المانيا وساعدهم على ذلك صلف الالمان وغرورهم واحتقارهم الولايات المتحدة . وهم الذين والوا شريف مكة فكان عاملا قويا لسقوط الترك ، وهم المتصدرون لادارة دفة سياسة العالم بعد التمهيد لها واقتحام مايقوم أمام هذه الادارة من العقبات . ومن ذلك اقناع الولايات المتحدة باسم خدمة الانسانية وتأييد المدنية بالاشراف على تركيا ، والنهوض بالجمهورية الارمنية . ويتولون هم إدارة البلاد العربية من برقة الى العراق فعمان - ماخلا سوريا الشمالية فان ادارتها جعلت لفرنسا تنفيذا لمعاهدة سايكس - بيكو من جهة وحتى لاتؤوب فرنسا بصفقة المغبون وترضى من الغنيمة بالأياب من جهة أخرى . والبلاد الفارسية المتصلة ببلوخستان فالهند فالتبت . .

الانكليز يحتلون سورية الجنوبية (فلسطين) ويعملون فيها عمل الحاكم المطلق ويمهدون السبيل لمهاجرة الصهيونيين اليها ليكونوا حكاما فيها تحت حمايتهم ويحتلون العراق ويعملون فيه عمل المالك بلا معارض وقد أسسوا للسواحل الحجازية واليمنية محافظة سموها (محافظة البحر الاحمر) وأرسلوا بعثة الى الامام يحيى ولكنها أسرت قبل الوصول اليه - وأرسلوا بعثة أخرى الى السيد الادريسي للاتفاق معه . وعقدوا اتفاقا مع حكومة ايران نشر في الجرائد فشكت منه الصحافيون ورجال

السياسة واحتجوا بأنه مخالف لعهد (عصبة الامم) إذ كانت المسألة السورية معلقة بأنواط تلك الوسائل المشار اليها ، كما تحدث أولئك الرجال وتلك الجرائد بالمسألة المصرية وبما للمصريين من الحق فى المطالبة باستقلالهم وحريتهم ولم تفتر تلك الشقشقة حتى تم الاتفاق على العود إلى تنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦

وقد ظهر رجحان السياسة الانكليزية على السياسة الفرنسية فى البلاد التى كانت تظن فرنسه أن سياستها فيها أرجح لما لها فيها من الصنائع والوسائل . فقد كان طلاب المساعدة الامريكية فالانجليزية من أهالى البلاد أضعاف طلاب المساعدة الفرنسية ؛ فلم يبق لفرنسا بد من اللجأ الى ارضاء انجلترا والرضا منها بتنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦ بمقابلة تصرفها المطلق في مصر وسائر بلاد العرب والعجم . جرى كل ما ذكر على طريقة السياسة الاوروبية المعروفة المألوفة من تصرف الاقوياء فى الضعفاء والعلماء فى الجهلاء ، بعد أن ذهبت جعجعة خطب الرئيس « ولسون » فى الهواء وهو ما كنا نتوقعه من وراء هذا النصر ونحدث به من كلمناه فى عواقب الحرب ، وخاصة اخواننا العرب المغرورين من السوريين والعراقيين ، ولا غرابة فى غرور أطفال أغرار فى مهد السياسه والحركة العربيه الحجازيه في بدء ظهورها تكبرها فى أعينهم بعض الجرائد .

فان قال قائل . ان كتاب الله قد أثبت أن العاقبه للمتقين وقد فسر

علماؤنا التقوى بأنها عبارة عن أداء المأمورات وترك المنهيات ، فهل كان الانكليز — بهذا المعنى — هم المتقون ، حتى كانت عاقبة هذه الحرب لهم بنفوذ الكلمة وعلو المنزلة والتصرف فى أرض الله الواسعة ؟ نقول إن قول الله تعالى لاريب فيه ، وإن كلام العلماء فى تفسير التقوى صحيح ولكنه مجمل فمن فهم منه أن المراد بفعل المأمورات الوضوء والصلاة والصيام ولو على غير الوجه الذى شرعه الله تعالى ، وأن ترك المنهيات خاص بترك الخمر والزنا والسرقة وما أشبه ذلك — فهو قصير النظر ضعيف الفهم . التقوى أعم من ذلك وهى تختلف باختلاف ماتطلب فيه كما بيناه فى مواضع من تفسير المنار ونبهنا أهل العصر الى تقصير المفسرين وغيرهم من علمائنا فى بيان مافى الكتاب والسنة من الاصول الاجتماعية ومسائل السياسة والعمران

فالتقوى المكررة فى قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا) الآية غير التقوى فى معاشرة النساء المكررة فى سورة الطلاق ، وغير التقوى فى قوله تعالى (وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما واتقوا الله الذى اليه تحشرون) فلكل مقام خصوصية هى المقصود الاول من المعنى العام والتقوى فى قوله تعالى (إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) غير ماذكر كله . فالاولى والثانية فى أحكام الطعام والصيد وهما من الاحكام الشخصية الفردية ، والثالثة فى أحكام الزوجية وهي منزلية

(أو عائلية) والرابعة فى شؤون الامم والعمران وهى ما يعبر عنه فى عرف هذا العصر بالاجتماعية وكلامنا فيها . والثابت عندنا أن الانكليز أشد الأقوام عناية باتقاء الخيبة والفشل فى هذه الأمور . والالمان كذلك إلا أن المان فاقوا الانكليز بالقوى الحربية فلم يدعوا شيئا من أسباب اتقاء الانكسار فيها إلا وأحكموه . ولذلك كانت العاقبة لهم فى المعارك الحربية . ولكنهم لم يتقنوا كالانكليز إتقاء التنازع الداخلى فوقعت الثورة الاشتراكية فى أمتهم . وصدق عليهم قوله تعالى : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) ولم يتقنوا كالانكليز اتقاء سخط الامم والشعوب عليهم فأسخطوا الامة الامريكية على حين صارت أعظم الامم ثروة واشتدت حاجة جميع الامم اليها . فكان ذلك عونا للانكليز على تسخيرها لهم . ولم يتقوا خروج العرب على الترك باستمالة العرب وتوثيق الرابطة بينهم وبين الترك وتحذيرهم من خطر انتصار الانكليز عليهم بل سمحوا لاوليائهم سفهاء الاحلام من زعماء (جمعية الاحمرين) — الدم والذهب — بارهاق العرب والتنكيل بهم تقتيلا وتصليبا وتذليلا وتغريبا ومصادرة وتعذيبا وهتكا للأعراض وإفسادا للاخلاق . على حين كان الانكليز يجدون فى استمالة كل أمير وزعيم منهم بما يروج عنده من ضروب الاستمالة فمال اليهم بعض دون بعض وكان فيمن مال وشايعهم مشايعة فعلية أو سلبية الامير عبد العزيز ابن سعود صاحب نجد وبعض شيوخ عرب العراق . ووالاهم شريف

مكة (الملك حسين) وساعدهم على محاربة الترك بجيش مؤلف من بدو الحجاز وحضر سوريا والعراق بقيادة أبرع أبنائه فى الغزو والقتال الامير فيصل (ملك سوريا) وقد اعترفوا له ببلائه واخلاصه فى اعانتهم على فتح القدس الشريف وعلى ايقاع الفشل والخذلان فى جيش الترك المدافع عن سوريا حتى انهزم وتركها غنيمة باردة لهم وصرحت جريدة التيمس الشهيرة بأن الامير فيصل سل حسامه فى نصر الخلفاء من غير أن يحصل على أى وعد منهم بشىء ولكنه أعطى بعض الوعود بعد ما أخذ فى النجاح . وقالت ان الامير فيصل كان يرغب فى الاستقلال التام للحجاز وحده ؛ وأما لسائر الشعوب العربية فانه يرغب لها فى الاستقلال عن الترك فقط . وأن تطلب كل البلاد العربية وصاية دولة واحدة عليها وتعنى دولتها انجلترا (اه ملخصا من عددها الاسبوعى المؤرخ فى ١٤ فبراير سنة ١٩١٩) بل كانت موالاة الشريف أكبر مما ذكر فى فوائدها السلبية والمعنوية ولا محل لشرح ذلك هنا . ولو كان الالمان مثل دهائهم لسبقوهم الى استمالة العرب وكانوا على ذلك أقدر . واذا لاستطاعوا أن يجندوا منهم خمسمائة ألف أو ألف ألف جندى ولا أبالغ اذا زدت على ذلك ولا سيما اذا شملت هذه الاستمالة اليمن وعسير ووصلوا الى شواطيء البحر الاحمر . بحر العرب ولم يكن ذلك عليهم بعسير

فان قال ذلك القائل . فهمنا معنى التقوى فى السياسة والحرب

ومعنى كونها من سنن الله تعالى فى النجاح ، ولكن خفى علينا ما بينت فى تلك المقالات من أن هذه الحرب انتقام إلهى عادل من الدول والشعوب الظالمة لنفسها والظالمة لغيرها الباغية على عباد الله التى لم تشكر نعمه الله تعالى باستعمالها فيما يرضيه من إقامة الحق والعدل ، وانا نرى ألوف الالوف من البشر تئن من سلطة تلك الدول وحكمها وإذا كانت مصيبه صادقة فى شكواها — لانها مهضومة الحقوق بضعفها — فلماذا كانت عاقبة الحرب استمرار عقاب الله لها بالاستذلال والحرمان من الاستقلال ورفع العقاب عن أولئك الباغين وتحكيمهم فى بلاد قوم آخرين

إن قال ذاك القائل هذا القول وأورد علينا هذا الاشكال فاننا نجيبه بان ما يراه هو مشكلا لانراه نحن كذلك . فاننا نرى أن الامم المستضعفة الظالمة لنفسها المظلومة من قبول الاقوياء المسلطين عليها بما كان من تفريطها . لم تحصها ما حل بها و يرجعها الى رشدها . وإن الدول الباغية الظالمة قد ذاقت من الشدائد التي تعامل المستضعفين بها ، ولم تتب وترجع الى ربها . وكذلك شأن الدول والامم التى غلبت بهذه الحرب على أمرها ، فالعقاب الالهى لكل أمة ودولة لم ينته بهذه الحرب ولا هى انتهت بما وضع من معاهدة الصلح مع بعض المتقاتلين دون بعض

وما ذكرنا من فوز بعضهم وعلو كلمته بما بيناه من سببه . لا دليل على ثباته ودوامه ، واذا طال العهد عليه بحثنا عما اقتضى ذلك من أسبابه

وسنن الاجتماع فيه . وإنما نرى هذا الفوز والفلاح يكاد يجر وراءه أسباب خسار وخذلان ، أهمها خسران الانجليز ذلك الصيت الحسن الذى غرسوا فسيله ، وزرعوا بذوره . وتعاهدوا زرعه بما ينميه عدة أجيال ، حتى كانت الشعوب المتململة من سلبهم استقلالها تفضلهم على غيرهم ، والشعوب المتألمة من غيرهم تتمنى لو تتفيأ ظل حكمهم ، ولكن لايزال فى الشعب الانجليزى ذى العرق الراسخ فى مكارم الاخلاق وبعد الروية وطول الاناة وحب العدل والانصاف رجال يرجى أن يرجحوا القوة المعنوية ، على القوة المادية ويراعوا الانقلاب الاجتماعى الجديد الذى فجرت هذه الحرب قواه التى جمعت فى عهد بعيد ، كما تتفجر البراكين من الارض باخر نقطة أو دفعة من الغازات المولده للضغط . فاذا قدر هؤلاء الرجال على مقاومة الاطماع الاستعمارية ووضعوا لدولتهم سياسة جديدة تتفق مع مصالح مصر والهند والعرب والفرس وسائر الشعوب . قائمة على مراعاة ما أشرنا اليه من الانقلاب الاجتماعى الاكبر . إذا قدر هؤلاء الفضلاء العقلاء على ماذكرنا . وتركوا لهذه الشعوب استقلالها فى ادارة بلادها وسياستها و حالفوها على أن يكونوا هم المقدمون على جميع أمم المدنية فى مساعدتها العلمية والفنية التى تقرر استقلالها و تعمر بلادها ورضوا من المكافأة على ذلك بالمنافع الاقتصادية والادبية التى تكون بالتراضى لابالقوة الاحتلالية فانهم يؤسسون

اشعبهم السكسونى المجيد . مجـدا طريفا إلى مجده التليد بحيث يرجي
أن يكون خالدا لايبلى ولايبيد . مما لم يرجع عن هذه الطريقة أو يحيد
وحينئذ تكون له العاقبة المحمودة ويسترجع أضعاف ما فقد من ثروته
الهالكة من غير نفقات كبيرة . كالنفقات التى لايزال يتكبدها باحتلال
البلاد المغلوبة . ويكون سببا لاصلاح الكون وعمران الارض

أكتب هذا باملاء العقيدة الثابتة المؤيدة بالدلائل الاجتماعية
الناهضة لاباعث الاغراض القومية . أوقصد الابهامات السياسية تاركا
تصديقه للزمان وتفسيره لحوادث الايام وسنن الله فى الانام لامبدل
لسنته ولامعقب لحكمه ولاراد لمشيئته

(المنار) من تأمل هذا المقال رأى كيف أن التاريخ يعيد نفسه وكيف أن
ضعف الفضيلة وتغلب الافكار المادية فى أوربا الآن سيدفعان بل قد دفعا فعلا
دولها إلى حرب عامة طامة ليعلم أيها الاقوى ليسود العالم كما وقع ذلك
من قبل . وكيف أن انجلترا كانت ولاتزال تضرب بعض الامم
ببعض وتكون هى الرابحة . وكيف أن دهاء اليهود ونفوذهم المالى
يعمل عمله دائما وراء الستار فى كل فتنة وكيف أن جعجعة خطب الرئيس
ولسن قد ذهبت فى الهواء بعد انتصار الحلفاء وجرف السياسة الاوربية
على سنتها من الاستغلال والاستبداد وكيف أن انجلترا لم تأخذ بهذه النصيحة
الذهبية التى أسداها اليها صاحب المنار منذ عشرين سنة ولم يوجد فيها بعد
أولئك الرجال الذين يقاومون الاطماع الاستعمارية ويضعون لدولتهم
سياسة جديدة أساسها العدل والانصاف

دعوي علم الغيب

ومنافاتها لاصول الاسلام

لاريب أنه قد جاءت آيات وأحاديث فى أفراد الله تعالى وحده بعلم الغيب وهى كثيرة ونقتصر هنا فى الآيات على مافى سورة الانعام والنمل والجن قال تعالى: (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو) (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله) (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) ومن الأحاديث حديثى ابن عمر فى البخارى وعائشة فى مسلم فالذى فى البخارى قوله « ﷺ » « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير » والذى فى مسلم هو قول عائشة « ض » « ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية إلى أن قالت فى بيان الثالثة ومن زعم أنه يخبر بما يكون فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله » وقد بسط ابن العربى فى أحكام القرآن القول فى هذه المسئلة أول سورة الانعام وحكم بكفر من دعى علم واحدة من الثلاث المذكورة فى كلام عائشة « ض » وحكى ابن الحجاج فى حاشيته على « صغير ميارة » الاتفاق على كفر من يقول ان الأنبياء يعلمون ما كان ومايكون إلى يوم القيامة ونقل ابن حجر فى الاعلام بقواطع الاسلام وابن عابدين فى حاشية الدر المختار وغيرهما من الفقهاء فى المذاهب الاربعة كفر من ادعى علم الغيب قال الشاطبى فى الموافقات جزء ٤ صحيفة ٨٤ « وقد تعاضدت الايات والاخبار وتكررت فى أنه لا يعلم الغيب الا الله وهو يفيد

صحة العموم من تلك الظواهر حسب مامر فى باب العموم من هذا الكتاب فاذا كان
كذلك خرج من سوى الانبياء من أن يشتركوا مع الانبياء صلوات الله عليهم
فى العلم بالمغيبات قال بعض العلماء ويراد بعلم الانبياء بالغيب ما كان عن طريق
الوحى كما لايخفى وقد ذكر ابن قتيبة مبتدعى علم الغيب للمخلوق مع الحكم بكفرهم
فقال فى رسالته الاختلاف فى اللفظ غلت الرافضة فى حب على وفى علم الغيب للائمة
من ولده وتلك الاقاويل التى جمعت الى الكذب والكفر إفراط الجهل والغباوة
انتهى صحيفة ٤٧ باختصار على موضوع البحث قلت وقد سرت هذه البدعة فى
الرافضة الى متأخرى الصوفية وقد ظهر شيخ جديد من الاكراد اسمه الشيخ نورى
البرفكانى أخذ يدعو الناس منذ خمسين سنة بلسانه وبكتب ألفها الى قواعد وأصول
تتنافى مع الروايات والأحاديث بدعوى أنها كرامات وسلك بذلك مسلك الغلاة
من متفلسفة الصوفية حيث جعلوا دعوى علم الغيب وماهو أفظع منها من قبيل
الكرامة وجهلوا أن شرط الكرامة ألا تصادم أساس الدين ولذلك قيد النووى
فى بستان العارفين الكرامة بألا تؤدى الى رفع أصل من أصول الدين نقله ابن
علان فى شرح رياض الصالحين جلد ٧ ص ٣٦١ وهو قول أبى اسحاق الشاطبى فى
الموافقات حيث قال « لايصح أن تراعى وتعتبر «أى الكرامة» إلا بشرط ألا تصدم
حكما شرعياً فان مايصدم قاعدة شرعية أو حكما شرعياً ليس بحق فى نفسه بل هو
إما خيال أو وهم من القاء الشيطان » ذكره فى الجزء الثانى ص ٢٦٦

وقد كثرت الكتب التى تقرر هذه الدعاوى وتذيعها فى الناس من مؤلفات المحدثين
والقدامى من غلاة الرافضة ومتفلسفة الصوفية وعم خطرها وزاد شرها وضررها
وقد تداولتها الايدى أكثر من تداول صحيح البخارى وعمل بها الكثير من
الناس فى أكثر البلاد على رغم مافيها من الاحداث المبتدعة الهادمة للدين أصولا وفروعا
فمحت آثار الايمان من قلوب العاملين بها الا قليلا ممن صانه الله وحماه وأبعده

عنها وذلك لغلبة الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسله

فالله الله يا أمة الاسلام ويا علماء الدين أن تدعوا هذه الكتب من غير انكار وتحذير منها وبيان لما فيها من الضلال البعيد فضلا عن ان تدافعوا عنها وتروموا بقاءها مندمجة فى كتب الدين الاسلامى الحقيقى فانكم والذى لا رب غيره إن تفعلوا ذلك لابد أن تستوجبوا مقت الله وغضبه وأن تلاقوا الصغار والهوان فى هذه الدار وتلك الدار فنحن نطالب كافة العلماء أن يقوموا بما أوجب الله عليهم من انكار تلك الكتب ونحوها من كل كتاب فيه مصادمة لكتاب الله فى دعوى علم الغيب لغير الله وأنبيائه ونحو ذلك من الأمور المبتدعة التى هدموا بها عماد الدين وقوامه فاذا فعلوا ذلك ونصروا الله ودينه واغتاروا لله ولانبيائه مما وقع فى تلك الكتب من الالحاد العظيم رجوا حينئذ نصر الله لهم قال تعالى «وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم» وقال سبحانه وتعالى إن تنصروا الله ينصركم فاما أنهم يرجون النصر من غير نصر الله والغيرة على دينه بل بمجرد المحافظة على الوحدة والوفاق بما يوجب خذلان الله ومقته وتسليطه الاعداء على المسلمين فذلك غرور وأمانى باطلة لان الله تعالى قد علق نصره بنصر العباد لدينه وأكد ذلك فى غير ما آية ومعلوم أن ما ربط الله به حصول المسببات عند تعالى أسبابها لا يمكن تخلفها فضلا عن أن يوجد عكسها وهو أن ينصر سبحانه وتعالى من يخذل دينه فان مفهوم مخالفة آية إن تنصروا الله ينصركم إلا تنصروه لا ينصركم وقد أشار الى هذا المفهوم منطوق آية وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وهذه الآية تدل على أن ما عدا نصر الله لا يكون سببا لنصره هو سبحانه لعباده وعلينا أن نتأمل فى حالة النبى ﷺ فى أول مبعثه وما شجر بينه وبين قومه من الحروب والخلاف لأجل اقامة الدين وازاحة البدع وكيف جعل الله عاقبة ذلك النصر المبين ثم من بعد ذلك لما حدث هجر العمل بما كان عليه النبى ﷺ من الجهاد لاعلاء كلمة الدين كيف أن المسلمين من ذلك الحين

لازالوا فى انحطاط ورجوع الى الوراء وماذلك الا لأنهم وضعوا أسبابا اخترعوها من قبل أنفسهم وهى أن الوفاق وترك الجهاد وعدم إقامة أحكام الدين واستبدالها بالقانون الوضعى كل ذلك يوجب لهم الراحة والاتحاد والوفاق وعدم الاضطراب وهب أن ذلك يحصل لهم الراحة ونحوها مدة من الزمان استدراجا ومكرا فى حياتهم الدنيا فأنى لهم الخلاص والنجاة من يوم يجعل الولدان شيبا هذا مارأيت إبداءه لاخوانى المسلمين لما رأيته من كثرة تطلبهم للوحدة والوفاق ونفرتهم مما يوجب التفرق والشقاق ولو بانكار أعظم المنكرات التى يترتب على انكارها نصر الله نصرا عزيزا وماذلك إلا من عدم تمسكهم بالكتاب العزيز مشيا منهم مع مبادىء النظر وعدم التفاتهم الى وعد الله عباده المؤمنين فان كنت غالطا فيما أبديته نصيحة لعامة المسلمين فالمرجو من الاخوان ارجاعى إلى الصواب والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه والسلام عليكم أيها المسلمون ورحمة الله وبركاته

العراق — محمد على بن حسين

وصف الدنيا

وأحذركم الدنيا فانها منزل قلعة . وليست بدار نجعة قد تزينت بغرورها . غرت بزينتها . هانت على ربها . خلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها وحياتها بموتها . وحلوها بمرها لم يصفها الله تعالى لأوليائه ولم يضن بها على أعدائه خيرها زهيد وشرها عتيد . وجمعها ينفد . وملكها يسلب . وعامرها يخرب فما خير دار تنقض نقض البناء وعمر يفنى فيها فناء الزاد . ومدة تنقطع انقطاع السير؟ اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبكم واسألوه من أداء حقه ما سألكم وأسمعوا دعوة الموت آذانكم قبل أن يدعى بكم . إن الزاهدين فى الدنيا تبكى قلوبهم وان ضحكوا . ويشتد حزنهم وان فرحوا

الامام على فى نهج البلاغة

تراجم إسلامية

الشيخ محمد عبده

(١)

الآن تعود (المنار) إلى الميدان . بعد ما اختار الله مؤسسها السيد رشيد رضا إلى جواره . فى عنفوان جهاده ، وفورة نتاجه مع ما كان عليه من كبر السن ، وتقدم العمر — أحوج من نكون اليه فى عصر اختلفت فيه المقاييس ، وقلبت فيه الأوضاع — تعود قوية نشيطة . تزخر بالحياة وتنبض بالحرارة ، وتتدفق حيوية ، وتفيض إيمانا . على أيدى فتية الشباب من خيرة المسلمين متبعى السلف الصالح . قد وهبوا لله أنفسهم . وأرواحهم خالصة لوجهه . مستبسلين فى ميدان الجهاد . غير هيابين ولا وجلين . مولين وجوههم شطر كتابه العزيز يذيعون تعاليمه ودعوته . دعوة القرآن الكريم . دعوة القوة والمجد ، والعز الاسلامى الذى لا يعرف الذل ، ولا يلتقى والخور فى قرن . وينشرون قواعده التى عرفها الناس صالحة نافعة وأسسه التى جربها العالم ، وعرف أن فيها سعادته التى لا تعرف الشقاء . وهناءته التى لا يشوبها الألم .

أجل تعود (المنار) الى الميدان جادة لتواصل السعى ، وتداوم الجهاد والكفاح الذى من أجله أنشئت ، وفى سبيله عملت ، وتحقق الغرض الذى طالما استشرف اليه المخلصون المؤمنون . حتى كانت مثلا أعلى فى الدفاع عن بيضة الدين ، والذود عن حياضه . وفى أسلوب يساير المدنية ولا يتعارض والعلم ، ولا يضعف بجانبه فينزل على تعاليمه ونظرياته الدائمة التحول والتبديل والاضطراب . بل

يجعل من نظرياته وآثار حضارته دليلا على حكمة الله من خلق السموات والارض الذي هو أكبر من خلق الناس . لو تفكروا وتحررت منهم العقول . !

تعود لترفع الراية وتحمل اللواء ، وتتقدم الصفوف حيث التضحية التى لا تعرف جبنا ، والشجاعة التى لا تقل من صلابتها فى الحق شدة ، ولا يضعف من عزمها كارثة مهما تأزمت حلقاتها .

وأعتقد أنه من الوفاء لرجل كان له أكبر نصيب فى تأسيس (المنار) وهو الامام الشيخ محمد عبده . أن نخصه ببضع مقالات نتناول فيها بالتحليل شخصيته مع بعض النواحى التى تعنى قراء (المنار) ونتتبع دعوته بالنظر الدقيق . لننظر كيف أثرت هذه الدعوة فى العالم الاسلامى ، وكيف هزت صلد القلوب فألانتها وغزت جامد الافئدة فحركتها ، وطرقت مقفل الاذان ففتحتها ، وكيف وقف التاريخ يسجل لهذا الرجل فى انصاف واعجاب .

واليك من تاريخ الامام ما يحدثك عن نشأة المنار .

جاء السيد رشيد رضا الى مصر وقد وضع نصب عينيه صحبة الامام . ثم إنشاء صحيفة اصلاحية ينشر فيها حكمته وخبرته ، فوصل الى الاسكندرية مساء الجمعة ٨ رجب ١٣١٥ هـ فأقام فيها أياما ثم انتقل منها الى طنطا فالمنصورة فدمياط ثم عاد الى طنطا ومنها الى القاهرة قبل الظهر من يوم ٢٣ رجب وفى ضحوة اليوم الثانى ذهب الى زيارة الاستاذ الشيخ محمد عبده فى داره بالناصرية ، واستشار السيد أستاذه فى إنشاء الصحيفة التى يريدها ، وشاوره فى تسميتها وذكر له اسم (المنار) مع أسماء أخرى . فاختار الاستاذ الامام اسم « المنار » ثم شرع السيد فى تحريره وكتب فاتحة العدد الاول بالقلم الرصاص فى جامع الاسماعيلى المجاور لدار الاستاذ بالناصرية ، وكان ذلك فى منتصف شوال ١٣١٥ هـ وذهب بها الى داره وعرضها عليه فأعجب بها كل الاعجاب ورضى كل ماذكر

فيها من المقاصد والأغراض إلا كلمة واحدة هي تعريف الأمة بحق الامام وتعريف الامام بحق الأمة . قال مامعناه « إن المسلمين ليس لهم اليوم إمام إلا القرآن . وأن الكلام في الامامة منار فتنة يخشى ضرره . ولا يرجى نفعه الان » فحذف السيد هذه الكلمة عن رأي أستاذه وإشارته .

فهذا الرجل الذي عرف قيمة جهاده الخاص والعام وسادت آراؤه بعد محاربة . وفشت نظرياته بعد مداهمة وإنكار . وطعن في دينه وإيمانه ويقينه وحورب في غير هوادة وتسمم الجو حوله حتى سرت كراهيته في النفوس بفضل ما كان يذاع عنه . ويلفق ضده . واليك الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق يحدثك عن صورة من هذه الكراهية في مقدمته لكتاب (الاسلام والتجديد في مصر) .

« في بعض سنوات الحرب . شهدت الجامعة المصرية . قبل ضمها إلى وزارة المعارف . حفلة جمعت جمهرة من شباب العلم . وخطب فيها طائفة من كبار الادباء وكبار الأساتذة .

وكان يجرى على ألسنة الخطباء ذكر أئمة النهضة الحديثة في مصر في فروعها المختلفة من سياسية واجتماعيه وعلمية . فتهتف الجموع . ويبلغ حماس الشباب أقصاه . حتى إذا جرى ذكر الشيخ محمد عبده خفت هنالك صوت الشباب وفترت حدة الهاتفين .

انصرفت يومئذ حسيرا محزونا . أكاد أتهم بقلة الوفاء بلدا ينسى فيه فضل الشيخ محمد عبده بعد سنين . لكن عتبي على شبابنا كان ممزوجا برحمة . لأنهم لم يعرفوا من أمر الرجل شيئا يغريهم بان يحبوه ويقدروه حق قدره .

ولعل قصارى ما كان يعرف طلاب العلم في ذلك العهد من أمر الامام أنه كان شيخا مكروها هو وآراؤه من الشيوخ . كما يكره الشيوخ المنار وصاحب

المنار تلميذ الامام . »

واكتفى بهذه الصورة الان لان بسط هذا العنصر له مكانه فى الكلمات المقبلة إن شاء الله . وكل ماأريد أن أخلص اليه . اننا فى حاجة قصوى الى دراسة هؤلاء الذين استشهدوا فى ميادين الجهاد . وراحوا ضحية بريئة لشهوات متضاربة وأغراض متناحرة تفتك بالامم . وتقوض الشعوب .

ومحمد عبده علم من أعلام هؤلاء المجاهدين . فجدير بنا أن ننمى باثاره . وأن نعرف قراء (المنار) حقيقة هذا الرجل حتى يغيروا تلك الصور القديمة عنه . ويأخذوا عنه صورة صحيحة واضحة المعالم . بينة التقاطيع . صورة أعاهد الله ألا يكون للشهوة فيها أصبع . ولا لحظ النفس منها نصيب . وستكون صورة هذا الرجل أول صورة من صور كثيرة اعتزمت بمشيئة الله رسمها على صفحات (المنار) فى عهده الجديد . وكل غايتى من هذه التراجم الاسلامية إنما هى القدوة الحسنة وترسم خطى العاملين الذين لم يألوا جهدا فى سبيل الدعوة إلى الله ورفعة دينه واعلاء كلمته . ليجد النشء غذاءه النافع . جعل الله عملنا خالصا لوجهه . انه سميع مجيب ما ؟

يتبع عبد الحفيظ أبو السعود

من كلام الامام على رضى الله عنه

لوتعلمون ماأعلم مما طوى عنكم غيبه إذا لخرجتم الى الصعدات تبكون على أعمالكم . وتلتدمون على أنفسكم . ولتركتم أموالكم لاحارس لها . ولا خالف عليها . ولهمت كل امرىء نفسه لايلتفت الى غيرها . ولكنكم نسيتم ماذكرتم وأمنتم ماحذرتم فتاه عنكم رأيكم وتشتت عليكم أمركم .

نهج البلاغة

انتقاد المنـــار

حول فتوى آيات الصفات وأحاديثها

جاءنا من حضرة الفاضل صاحب التوقيع الخطاب التالي ننشره مع رده فيما يلي

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ حسن البنا رئيس تحرير مجلة المنار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فإن احتجاب المنار بموت صاحبه عليه رحمة الله تعالى كان من دواعي أسف المسلمين جميعا بل حزنهم العميق ، ولم يكن ذلك طبعاً لأنها مجلة اسلامية فقط . بل كان ذلك لما علمه قراء المنار من الميل مع الحق أينما كان وعدم المبالاة بكائن من كان في سبيل كلمة الحق وبيانها وإيضاحها ولا أظنك تجهل مواقف صاحب المنار عليه رحمة الله مع كثير من أخص أصدقائه فإنه لم يكن يعرف الا الحق ولو أغضب الحق صديقه أو جميع الناس ولم نعهد فيه رحمة الله عليه مداهنة ولا محاباة ، وبذلك كان للمنار وصاحبه تلك المنزلة التي تعرفونها في نفوس جميع أهـل الملة المحمدية . فإذا كنتم تريدون السير بالمنار سيرته هذه فلاشك أنها إن شاء الله تعالى ستحيي حياتها الاولى وإلا فاسم المنار وحده لا يغني شيئا .

لقد استفتاكم مستفت فيما شجر من الخلاف بين مجلتي الهدى النبوي و الاسلام فماذا افتيتم ؟ إن رأي المنار في موضوع الخلاف بين المجلتين معروف مسطور في أعداد المنار السابقة ،فهل نفهم من فتواكم هذه أن المنار يتنكر لماضيه ، وينسى برنامجه؟لقد قلتم ياسيدي الاستاذ إن كلتا المجلتين تبغي الحق !!! ولا يعقل فيما نعلم

أن يختلف اثنان على أمر واحد ينفيه أحدهما ويثبته الآخر ثم يقال انهما جميعاً على الحق ، لا . . ليس هذا شأن المنار الذى عرفناه وبكيناه لما احتجب . نرجو أن تصارحونا بالحق فى أى الجانبين هو كما عودنا صاحب المنار ان كنتم تنصرون الحق لله وفى سبيل الله والسلام عليكم ورحمة الله . قارىء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه وآله وصحبه ومن والاه

« وبعد » فعلى حضرة القارىء المحترم السلام ورحمة الله عليكم وبركاته وكنت أود أن يتكرم باظهار اسمه حتى نتعارف فى سبيل البحث من الحقيقة ولعله — وفقنا الله وإياه — رأى فى ستر اسمه معاونة على خدمة الحق للحق بدون نظر إلى الصلات الخاصة بين المتباحثين فنحن نحسن الظن ونشكر للاخ الفاضل خطابه مؤكدين دعوتنا الاولى بجميع اخواننا فى انتقاد مايرونه مستحقا للانتقاد فى المنار حتى تتعاون الجهود على الوصول للحقيقة ويسرنا أن نعلن أننا نتنهز مثل هذه الفرصة لنسلك بالنقد الأدبى مسلكا نبيلا لاهجر فيه ولا إقذاف ولا تجهيل ولا تضليل ولنكمل به أنفسنا فان الكمال لله وحده والعصمة لانبيائه صلوات الله وسلامه عليهم ومن ادعى لنفسه الكمال أوظن بها ذلك فهذا حين النقص ونسأل الله ألايحرمنامن يبصرنا بعيوبنا ويحملنا على الصواب والسداد والى الكاتب والى حضرات القراء الفضلاء رأينا فيما ورد فى هذا الخطاب .

(١) نسب الينا الاستاذ الكاتب أننا صرحنا بأن كلتا المجلتين على حق وبنى على هذا أنه من غير المعقول أن يختلف إثنان على أمر واحد ينفيه أحدهما ويثبته الاخر ثم يقال انهما جميعاً على الحق وحضرته لهذا يرجو أن نصارح بالحق فى أى الجهتين هو ؟

ولا أدرى من أين جاء حضرته بهذا التصريح الذى نسبه إلينا إن كان قد
جاء به من تصريحنا بأن كلا الفريقين فى نظرنا أصدقاء لنا وممن يتصدون للدعوة
إلى الخير فليس معنى هذا تصويب رأى أحد منهما ولا كليهما فى موضوع نزاع
بعينه والذى صرحنا به فى موضوع الخلاف أن كلا الفريقين غير محق وأن موضوع
الخلاف من أساسه لا يصح أن يكون خلافا وليس بلازم أن يكون كل مختلفين
أحدهما محق والآخر مبطل بل قد يكونان مخطئين جميعا وهو ما صرحنا به
بوضوح فإن فريقا تغالى فى التأويل وفريقا تغالى فى الجمود. ورأى السلف فى ذلك
وهو رأى المنار الذى يشير إليه حضرة الكاتب وهو رأينا الذى أوضحناه فى
مقالتنا أن مذهب السلف . ترك الخوض فى هذه المعانى مع اعتقاد تنزيه الله تبارك
وتعالى عن أمثالها المنسوبة لخلقه وإمرارها كما جاءت وتفويض علم حقائقها إلى
الله فمن فسر الاستواء بالاستيلاء فقد تورط فى التأويل وألزم نفسه غير ما ألزمه
الله به ومن فسره بالاستقرار فقد تورط فى التشبيه وأوهم سامعه جواز نسبة
صفات المخلوقين إلى الخالق فإن قال (هو استقرار يليق بجلاله) فهو إذن لم يأت بشىء
والأولى أن يقف عند النص، والحق فى هذا وأمثاله أن يقال استوى استواء
يليق بجلاله مع اعتقاد عدم المشابهة وتفويض الحقيقة إلى الله إلا أن تقوم قرينة
لا تدفع تصرف اللفظ عن ظاهره فنقف عند حدود هذا الصرف ولا نتجاوزه
كما ذهب إليه السلف فى معية الحق تبارك وتعالى بعلمه لا بذاته

تلك أمور فصلناها وقررناها ولمنا الفريقين على أنها طرقا بحوثا كهذه بمثل
الأسلوب الذى خاضوا به فيها وبذلك حققنا رجاء الكاتب وصارحناه بأن الحق ليس
فى أحد الجانبين فأين القصور إذن؟

(٢) هذا من حيث موضوع النزاع ورأى المنار فيه بالذات وأظن أن فيما
نقلناه فى باب التفسير فى هذه المعانى كفاية ومن أراد الاستزادة زدناه حتى يعلم

أن المنار لا يتنكر لماضيه في الحق ولا ينسى برنامجه من الصدع به ولا يناقض نفسه في الصواب وبقي بعد هذا أن نذكر حضرة الكاتب ببعض مافاته معرفته من برنامج المنار الذي سارت عليه في ماضيها ونريد أن نسير بها عليه في حاضرها صرح صاحب المنار بقاعدة وأسماها قاعدة المنار الذهبية فقال (نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه) فمواطن الخلاف ياسيدي يقدم فيها العذر على التجريح وسوء الظن وذلك ماسنسير عليه إن شاء الله وقد قضى صاحب المنار حياته وهو يصدع بالتحرر من الجمود وينعى على أهل التقليد الاعمى الذين يقدمون أقوال الناس التي لم يقم عليها دليل على الأدلة الواضحة بغير برهان بين أيديهم إلا أن هذا قول فلان وفلان فهل يريدنا حضرة الكاتب على هذا التقليد الذي نعاه صاحب المنار على أهله؟ أم يريدنا متبعين للدليل والحق ندور معه كيفما دار وان خالفنا صاحب المنار ؟ وأظن أن حضرة الكاتب يذكر أن الشافعي كان من خلصاء تلاميذ مالك رضي الله عنهما وكلاهما في جلالة قدره ورسوخه في علمه وتقواه لله بالمنزلة التي لا تتسامى اليها القوادح ومع هذا فلم يمنع هذا الشافعي أن يخالف مالكا وأن يكون له رأيه ومذهبه

فنحن مع المنار وصاحبه عليه رحمة الله ورضوانه في الاصول الاساسية التي لا خلاف فيها في منهاج الاصلاح العام وخطته وفيما وضح الحق فيه واستبان وجه عليه الدليل في الشئون التي فيها مجال للتفكير والنظر ولا يمنعنا هذا من أن نخالف صاحب المنار رحمه الله في الأمور التي لم يقم عليها الدليل المقنع في نظرنا على أن ندلي برأينا وحجتنا وندع لكل من أراد التنبيه أن ينبهنا لما فاتنا والله الموفق للصواب ؟

حسن البنا

موقف العالم الاسلامى السياسى

انتهت حرب السلام بين الدول الأوربية المتناحرة وتغيرت الاوضاع الدولية فى اوروبا فاخفق اتفاق انجلترا وفرنسا مع روسيا وحل محله ميثاق روسى الماني وكانت مفاجأة غير منتظرة وأمر أدهش له العالم. أن يتفق الهر هتلر — وهو الذى بنى دعوته الاولى على مكافحة الشيوعية الروسية وانطوى لها على أشد حالات الخصومة والبغض مع زعماء هذه الشيوعية التى ندد بها ونال منها ولكن القوم فى أوروبا لايعرفون إلا المصلحة المادية وسرعان ماينسون المبادىء والعقائد والافكار مهما كانت سامية نبيلة — وتبع ذلك أن تشددت عزمة ألمانيا وأقدمت على غزو بولونيا واجتياحها بالقوة المسلحة وردت انجلترا وفرنسا على ذلك باعلان الحرب على ألمانيا وسوق الجيوش إلى الميدان الغربى حيث رابطت أمام خط سيجفريد الالمانى — وكانت مفاجأة أخرى أن تقدمت روسيا بجيوشها تجتاح القسم المجاور لها من الأرض البولونية وبذلك تم للجيوش الالمانية والروسية أن تقضى على استقلال بولونيا وتتوزع فيما بينها أرضها وتضطر حكومتها إلى الفرار حيث تألفت فى باريس من جديد ومهما كان من خلاف بين الروس والالمان على خط الحدود فان الامر الواقع الآن أن بولونيا قد قسمت مرة أخرى بين روسيا وألمانيا والذى يجب أن نلفت اليه أنظار الشعوب الاسلامية أن

بولونيا تضم ستين الفا من المسلمين غالبيتهم فى أنحاء فيلنو ونوجرديك وقد أقاموا فى بولونيا منذ القرن الخامس عشر الميلادي وكانت الجمهورية البولندية تسمح لهم باقامة شعائر دينهم بتمام الحرية فأخلصوا لها كل الاخلاص وحاربوا فى صفوفها واشترك عدد كبير من ضباطهم وهم معروفون بالشجاعة والاقدام ـ شأن المسلم المجاهد ـ فى الحرب الاخيرة ودافعوا كثيرا عن المدينة المعدودة مركز الاسلام في بولندا وفيها يقيم المفتى الحاج الدكتور يعقوب سليمان شينكيفتش. والآن وقد صار هذا القسم تحت حكم البلشفية الروسية فهل تدع حكومة السوفيات المسلمين فيه يتمتعون بشعائر دينهم وحريتهم كما كانوا فى عهد الحكومة البولونيه؟ أم أنهم سيعملون على بلشفتهم ويحاربونهم فى عقائدهم ويهدمون ما بقى لهم من مساجد ومعابد كما فعلوا بهم ذلك من قبل حين اقتسمت روسيا والمانيا بولنــــدا فى أواخر القرن الثامن عشر؟ من واجب الحكومات الاسلامية وبخاصة الحكومة التركية التى هى على صلة بالروس والتى هى أقرب حكومات المسلمين الى بولندا أن تتحرى ذلك وأن تعمل على حماية هذه الجالية الاسلامية الشديدة المتمسكة بدينها القديم. ولا ندرى هل تصغى حكومة تركيا إلى هذا النداء أم تعتبره شأنا إسلاميا خاصا يتنافى مع ما اختارته لنفسها من أن تكون حكومة «لادينية»؟..

كان اجتياح بولندا سببا فى تخوف دول البلقان وفى تردد تركيا

بين المعسكرين المتخاصمين محور موسكو برلين تارة ومحور فرنسا وانجلترا تارة أخرى ووقفت ايطاليا موقف المترقب المنتظر ولم تحدد موقفها تحديدا صريحا بعد وأخذت اليابان ترقب هى الاخرى مجرى الحوادث وأعلنت أمريكا سخطها على عمل المانيا ولم تعترف بالحالة الواقعة فى بولندا الان واعتبرت الحكومة البولونية القائمة فى فرنسا حكومة شرعية واعترفت بها وارتفعت صيحات بوجوب الصلح ووضع الحسام والاتفاق على ما يريح العالم من عناء الحرب ولا ندرى ماذا ستلقاه هذه الدعوة من الاصغاء وما سيكون لها من النجاح وان كان أغلب الظن أن هذه النفوس الظماءى الداوية بالاطماع والاهواء سوف لا يرويها إلا الدم المتفجر من البشرية الذبيحة

ذلك هو الموقف الدولى عامة فما موقف العالم الاسلامى خاصة؟!

لقد قدمنا أن العالم الاسلامى قضت عليه ظروف وأوضاع أن يرتبط بالدول التي تسمى نفسها ديمقراطية وهى انجلترا وفرنسا ارتباطا وثيقا وأن تشتبك مصالحه بمصالحها اشتباكا قويا وقد برهنت الحكومات والشعوب الاسلامية من جانبها أنها وفية لهذه المصالح مقدرة الموقف تمام التقدير منزهة عن العبث والكيد الرخيص والاستغلال الذى لا يتفق مع الشرف الدلى والنزاهة النبيلة وأخذت الحكومات المتعاهدة مع انجلترا كمصر والعراق تنفذ تعهداتها بكل إخلاص

ومع هذا كله فالى الان لم تقدم الدول الديمقراطيه دليلا واحدا على

تقديرها لهذا الموقف النبيل من الشعوب الاسلامية واكتفت بأن تتناولها ببعض كلمات المديح والاطراء فى الخطب والمقالات التى لا تقدم ولا تؤخر . فسوريا الجنوبية (فسلطين) لا تزال قضيتها حيث هى لم يؤثر فيها تصريح المفتى الاكبر بالثناء على فرنسا ولا كتابه للحاكم البريطاني ولا تصريح المجاهدين أنفسهم بأنهم لن يطعنوا انجلترا من الخلف ولن يستغلوا اشتغالها بالحرب الاوربية فى الاتفاق مع خصومها أو التقرب اليهم . وكان أقل مقتضيات رد الجميل فى مثل هذا الموقف أن تأمر الحكومة الانجليزية حالا بالافراج عن المعتقلين والتصريح بالعودة للمبعدين والعفو الشامل عن المسجونين واعادة النظر فى سياستها بالنسبة للحقوق العربية الواضحة

وسوريا الشمالية لا يزال الامر فيها على ما كان عليه ولم تظفر إلى الان من فرنسا حتى بوعد منها أنها ستعود إلى الانصاف والعدل بل حوكم كثير من رجالاتها وحكم عليهم بأحكام قاسية شديدة تقبلوها راضين هادئين .

وسوريا الوسطى (لبنان) تغير فيها نظام الحكم تغيرا تاما ولو الى حين كما يقول المندوب الفرنسى وأوقف دستورها وحكمت حكما أجنبيا مباشرا أو ما يقرب منه

وكان من واجب الدول الدمقراطية أن تنتهز هذه الفرصة فتعدل سياستها مع هذا القطر الشقيق وبخاصة فرنسا التى شهدت أن أول دم

أهدر على ارضها وللدفاع عن حدودها أمام خط ماجينو إنما كان دم المسلمين العرب من المغاربة اجزائرين والسينغاليين

إن شعوب العالم الاسلامي قسمان قسم تحت سلطان الحكم الاجنبي المباشر وهذا لا يملك أمر نفسه ولا يستطيع أن يختط لنفسه طريقا خاصة فهو تحت رحمة الاقدار ونسأل الله أن يتداركه بلطفه ورحمته

وقسم قد تحرر ولو ببعض الحرية فمن واجبه فى هذه الظروف العصيبة حكومات وشعوبا أن يكون دائم اليقظة والتنبه للحوادث والمفاجآت فلا يتورط فى خطوات وخصومات هو فى غنى عنها ولا تعود عليه بشيء وليلتزم الحدود التى رسمتها له الاتفاقات والمعاهدات — وعليه أن ينتهز هذه الفرصة للاسراع فى أعداد العدة وتقوية نفسه تقوية تنفعه فى المستقبل وتحفظ عليه كيانه واستقلاله بعد أن تضع الحرب أوزارها وعليه كذلك أن يكون مطمئنا هادئا فاننا إن لم نستفد من هذه الحرب القائمة فلن نخسر فيها أكثر مما يخسر غيرنا والصلح خير لنا والحرب ليست بضارة بنا وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم

«حسن البنا»

تعليق

تحدث إلينا الاخ الفضال السيد عبد الرحمن عاصم وكيل المنار السابق ببعض ملاحظات حول العدد الماضى وقد ضاق عنها هذا العدد وستتحدث عنها فى العدد القادم إن شاء الله

السيد محمد رشيد رضا

بقلم وكيل وابن عمه السيد عبد الرحمن عاصم

ولد السيد محمد رشيد رضا فى ٢٧ من جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ وتوفى فى ٢٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٤

وتربى تربية عالية لم تتحكم فى نفسه عادة من العادات السيئة الضرة كالتدخين وادمان شرب القهوة والشاى وأخذ إخذ الامام الغزالى بكتابه الاحياء من أول بدئه بطلب العلم .

وراض نفسه عليه واتخذ له خلوة بالغرفة المشرفة على البحر من جامع جده فى قرية القلمون لدرس العلوم والتعبد بالصلاة بتدبر القرآن الحكيم .

وتصدى من ذلك الحين للوعظ والارشاد بالحكمة والموعظة الحسنة فالسيد رشيد طلب العلم بالاخلاص وتوجيه الارادة ليكمل به نفسه ويؤهلها للاصلاح الدينى الاجتماعى فكان من أشجع دعاة الاصلاح وأشدهم جرأة فى مواطن الحق على الحكام والعلماء غير هياب ولا وجل . ولولا أنه كان راسخا فى إيمانه واثقا بصحة علمه ومخلصا فى وعظه وإرشاده لما تجرأ على نقد حكام الدولة العلية فى العصر الحميدى والاتحادى . وقد أصابه أذى كثير منهم فى والده وأسرته من بعد ما عرضوا عليه أوفى وأحسن ما تصبو اليه نفوس طلاب الدنيا من رتب ومناصب وغيرها ليسكت عنهم ويسخر قلمه فى خدمتهم .

هذا ولم يتهيب بريطانيا العظمى وطعن فى تعسفها فى حكم قومه وأهل ملته

وألبهم على مخالفتها بوسائل مختلفة وحذرهم من مصادقتها لأنها خداعة مكارة وهو مقيم فى مصر تحت سلطانها .

ومن الأدلة على ذلك خطبته المشهورة أمام المرحوم أبى الثورة العربية الملك حسين فى جموع « منى » سأذكر خبرها وخطبته فى داروجيه من وجهاء « بيروت » فى القاهرة فى حفلة جمعت رجال السياسة العربية من أقطارها تحت ستار الترحيب بضباط عراقيين وسوريين قدموا إلى مصر - ليتقابل المجتمعون ويروجوا اتفاق سايكس بيكو على تقسيم بلاد العرب فيما بينهم . ولكن السيد رشيد عارض ذلك معارضة عنيفة حملت مستركلايتن باشا فيما بعد . وكان كالحاكم بأمره بمصر على معاتبة السيد رشيد على قوله فى الانجليز ومما أجابه به السيد : هل من العدل أن تمنع أمة ضعيفة من الدفاع عن نفسها إذا اعتدت عليها أمة قوية ؟ كفوا عن الهجوم علينا لنكف عن الدفاع عن أنفسنا .

وكم حاول سمو الخديو السابق أن يفرق بين السيد رشيد والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده بالترغيب والترهيب لهذا مرة ولذاك مرة ولم تنجح محاولاته عندهما وكان جواب الأستاذ الامام لبطرس باشا غالى الموفد من الخديو أحب أن تعلم ويعلم الخديو اننى أفضل أن أعيش أنا والسيد رشيد ههنا فى رمل عين شمس على البقاء فى منصب الافتاء وعضوية مجلس ادارة الأزهر لأن هذا الرجل متحد معى فى العقيدة والفكر والرأى والخلق والعمل . . وأجاب الاستاذ الأمام أيضا فضيلة المرحوم الشيخ محمد شاكر وكيل الازهر على رسالته من الخديو (كيف أرضى بابعاد صاحب المنار وهو ترجمان أفكارى)

ومن كلام السيد رشيد للشيخ على يوسف صاحب المؤيد جوابا عن رسالته الخديوية . . ولكن لى غرضا من تعظيم قدر (الشيخ محمد عبده) وتفضيله هو

فوق فائدة انتشار المنار بكثير . وهو أن الاصلاح الاسلامى الذى أدعو اليه لا ينهض الا بزعيم تثق به الأمة ولا أعرف أحداً أجدر منه أو يساويه فى استحقاق هذه الزعامة ولما لم تلن قناة السيد لسمو الخديو أراد إخراجه من مصر وبلغ ذلك رياض باشا الشهير وخاطب السيد فى هذا الشأن بقوله : هل تغير شيئاً من خطة المنار ؟ قال السيد حاشا لله . ما كنت لأغير عملى التابع لعقيدتى وخلقى وكل فضيلة لمصر عندى أنى أستطيع فيها خدمة ملتى وأمتى بما أعتقد أنه الحق النافع فاذا زالت هذه الحرية منها فلا يحزننى الخروج منها وأنا لا أملك فيها شيئاً فقال الباشا للسيد : « كده أريدك »

هذا وقد ألف السيد كتاباً فى نقد بعض أكابر علماء الأزهر سماه المنار والأزهر . والمال والرتب والوظائف ، عند الشيخ أبى الهدى والاتحاديين فى الدولة العثمانية وعند الأزهر والخديوى والانجليز بمصر وقد حاولوا صرف السيد عن خطته الاصلاحية بشتى طرق الاغراء بالمال والمناصب وبترهيبه أيضا بفنون الترهيب وصبر على أذاهم ولم يفتتن بالمال ولم يغتر بالرتب ولم يرهبه الوعيد لأنه كان مخلصاً فى توجهه لخدمة أمته وملته

ومما عرف من صلابته وإخلاصه لقومه أن الانجليز لما عرضوا عليه أن يكتب مقالات أسبوعية فى صحيفة « الكوكب » التى أنشئت بالقاهرة لخداع العرب اعتذر فى كتاب الى نائب الملك ونجت باشا جاء فيه .

لو بذلتم لى المال أو استللتم لسانى أو قطعتم أناملى على أن أقول أو أكتب ما يخالف دينى وكرامة قومى العرب فانى لا أفعل . وجاءه رد بالاعفاء من ذلك التكليف واعتذر بأنه كان بخطأه كنكليف رئيس تحرير التيمس الكتابة بجريدة هزلية

ولما عزم السيد على أداء فريضة الحج فى أثناء الثورة العربية دعى إلى قصر عابدين وقدم اليه رئيس الديوان شكرى باشا صرة نقود قائلا . بلغ مولاى السلطان عزمكم على السفر الى الحجاز وأمرنى أن أقدم هذه النقود اليكم . أجاب

السيد . الحج على المستطيع وقد تهيأت لادائه بصحبة سيدتى الوالدة والشقيقة قال الباشا : خذها ثمن دعاء . أجاب السيد الدعاء لا يقوم بثمن وسأدعو لمولاى السلطان ولخاصة المسلمين وعامتهم بما يلهمنى الله عز وجل . قال الباشا : خذها وتصدق بها فان الصدقة فى الحجاز بعشرة أضعافها أجاب السيد . ذلك صحيح ولكنى أحتار فيمن أعطى القليل الذى أتصدق به وقصور الملوك والسلاطين مفتحة الابواب للقصاد والوراد . قال الباشا . بما أعتذر إلى مولاى السلطان وعطايا الملوك لاترد . أجاب السيد أرجو أن تذكروا لمولاى السلطان ما عرفه به الاستاذ الامام من أنى لاأقبل عطاء بدون مقابل .

ولما كان السيد على عرفات تحققت عنده صحة الاشاعة بأن الحجاج سيدعون فى « منى » لمبايعة (الشريف) بالخلافة فذهب الى مخيم الشريف وذكر له ما بلغه وذكره بو عيد الحديث « اذا بويع خليفتان » فقال (الشريف) رحمه الله إن تلك المساعى من رغبات أحد أنجاله والاتباع . ولما اجتمع الحجيج فى « منى » وتهيأ العلماء والخطباء والشعراء لتهنئة (الشريف) بالعيد ، جاء الشريف عبد الله والشيخ عبد الملك الخطيب باشا إلى السيد وطلبا منه أن يقول كلمته .

وكان (الشريف) يقف فى المناسبات فى أثناء الخطبة ويقول للسيد . صدقت . وبعد ذلك حضر الى السيد من يقول له إن الخطبة ينقصها أن تكون مقدمة لدعوة الناس لمبايعة سيد الجميع بالخلافة . ولكن السيد حول الحديث من سياسى الى أدبى وأجاب . أخشى أن يقال لى عندئذ ما قيل لذلك الشاعر الذى وهب الكرى الى العشاق . وهبت ما لا تملك إلى من لا يقبل

وسأقص على القارىء الكريم نبذا أخرى من رسائل السيد الى بعض ملوك العرب ليقف منها على مقدار صراحته فى الحق وإخلاصه فى النصح غير مداج ولا مراء فمن ذلك قوله فى كتاب الى جلالة الملك عبد العزيز (ولا أزال كذلك

أجاهد معكم مادمتم تجاهدون فى سبيل الله وإعزاز دينه) وفى آخر « وموضع العبرة أن الله تعالى قد استخلفكم فى الأرض التى فضلها على كل أرض لينظر كيف تعملون » ؟

ومن كتاب آخر (وقد عاهدناكم على أن نؤيدكم ونخدمكم فى إقامة السنة وهدم البدع وإحياء الاسلام على منهاج السلف فى أمور الدين ومستحدثات الفنون العصرية فى أمور الحرب والعمران

ومن أحسن ما كتب السيد الامام إلى امامى الجزيرة العربية صراحة وإخلاصا فى النصيحة لما وقع الشقاق بين الحكومتين اليمنية والسعودية . قال رحمه الله ورضى عنه (مهما يكن عليه أمر الحدود بين اليمن السعيدة والمملكة السعودية من حق سياسى أو جغرافى فلا قيمة له تجاه الاتفاق والتحالف بين المملكتين فكل منهما واسع الأطراف قابل لأضعاف ما هو عليه من العمران . فلا يعذر أحد منكما بتعريضه للخراب لأجل توسيع حدوده بحق أو باطل »

ثم قال يخاطب كلا من الامامين . إن جزيرة العرب هى تراث محمد رسول الله وخاتم النبيين الاسلام والمسلمين لا لعبد العزيز السعودى ولا ليحيى حميد الدين . فاختلافكما وتعاديكما يضيع الاسلام ولئن ضاع فى جزيرة العرب فلن تقوم له قائمة فى غيرها فيجب أن تتذكرا هذه التبعة وتتقيا الله وتحرصا على حسن الخاتمة)

وقد كان للاخلاص بهذه النصيحة وللوفد الذى أرسله السيد رشيد إلى الامامين أثر طيب لديهما وكان مولاى السيد يطلعنى على رسائله تربية لى وتعليما ولعلى أجد فيها حرفا ناقصاً أو زائدا لأصلحه وإذا وجدت فيها ما يستحق المراجعة فانه رحمه الله كان يسمعها ويعضها إذا أقرها . وإن أنس لا أنسى أنى

وجدت شدة فى خطاب منه إلى جلالة الملك عبدالعزيز وواجهته فيها فغضب وقال لى . يا عاصم . أتريد أن تعلمنى الداجاة والجبن ؟ ! اقفل المكتوب وأرسله الى البريد . واعلم أن مزيتى عند الملك إخلاصى وصراحتى فى النصيحة ومزيته عندى انه يقبل النصيحة

والسيد الامام ما كان ليترك فرصة تفوته بدون تذكير طيب نافع ومن ذلك ما جاء فى كتاب منه الى المرحوم الملك غازى (. . . معتصمين بحبل الهداية الاسلامية التى اشتدت اليها فى هذا العصر حاجة شعوب المدنية كلها . إذ هددت الافكار المادية دولها بالانحلال و الاباحة الالحادية حضارتها بالزوال ولم يبق لها منقذ إلا الهداية الروحية الجامعة بين المصالح الدينية والمدنية . . وقال فان تحرص على هداية دينك القويم ولغة قومك وحضارة أمتك وشرف بيتك وتضم إليها الفنون العصرية المرقية للزراعة والصناعة و التجارة و النظم المالية و القوى العسكرية تكن ان شاء الله من الملوك المجددين الجامعين بين سيادة الدنيا وسعادة الدين)

كان رحمه الله مضيافا مواسيا بماله القليل أهل الحاج من الأسر المستورة مساعدا العاملين فى سبيل أمته وقومه فكم ساهم فى نفقات الوفود والجمعيات والمؤتمرات العربية السياسية . ولو لا الأزمة المالية التى أصابته مؤخرا لكان رزقه كفافا كافيا لنفقاته . ولكن توفى رحمه الله وعليه أكثر من الفى جنيه مصرى خلافا لما كان يحسب كثير من الناس .

نعم خلف مؤلفاته ومطبوعاته وهى أكثر من دينه ، بل هى ثروة علمية اصلاحية عظيمة تركها السيد الامام ذكرا وشرفا له ولقومه وأمته .

كان السيد مشغول البال دائما بأمته يفرح بما ينفعها ويحزن لما يضرها وكانت السيدة والدته تسأله اذا رأته مكتئبا . هل أحد من مسلمى الصين يشتكى

من شيء؟ . تريد أنه يكتئب اذا أصاب مكروه أحدا من اخوته فى الدين مهما بعدت داره ولو فى الصين

كان هم السيد المستولى على شعوره إصلاح شأن العرب والمسلمين بالتأليف والتعليم . وقد كتب فى التفسير والفتاوى وسائر ضروب الاصلاح ما لم يسبق اليه فى المقدار والفائدة وكان رحمه الله يقول لى . أخشى أن يحاسبنى الله عز وجل على عمرى فيما أنفقته وأكون مقصرا فيما وجب على بيانه من أسرار الشريعة وحكمها وكان يأمرنى أن أغنيه بقدر الامكان عن مقابلة الزائرين ليبقى منصرفا الى التأليف . وقد فرح فرحا عظيما حين أتم أنفس كتبه تأليفا وطبعا أعنى به كتاب «الوحى المحمدى»

وأنشأ منذ ثلاثين سنة مدرسة دار الدعوة والارشاد عملا برأى الأستاذ الامام فى تعليم طائفة من مختلفى الأقطار العلوم الدينية مصفاة من الآراء والاهواء وكذلك العلوم الأخرى القديمة والحديثة بقدر ما يكفى لتثقيفهم وإعدادهم للدعوة والارشاد (ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وقد نجح فى ذلك جماعة من الطلاب وفى مقدمتهم السيد أمين الحسينى الذى انتهت اليه الزعامة الدينية والسياسية فى فلسطين والشيخ يوسف ياسين أمين سر جلالة ملك المملكة العربية السعودية . والشيخ عبد الرازق المليح آبادى صاحب المؤلفات والصحافى المشهور فى الهند وقد سجن مع مولانا أبى الكلام الزعيم الهندى الكبير لمشاركته إياه فى جهاده . والشيخ محمد بسيونى عمران فى جاوة ومواقفه مشهورة بالتعليم والارشاد . والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة والاستاذ عبد السميع البطل وهما من خيرة العلماء المصريين فى الاخلاق والوعظ والتعليم تلك نبذ من كلام السيد فى رسائله الخاصة والعامة وطائفة من أخباره تدل على تمرس زكية همها الاصلاح باخلاص ولذا كان عزيزا كريما لم تدنسه الاطماع ولم تملكه الاهواء . ولا يخاف إلا من الله عز وجل

كان السيد رشيد مدرسة فى كل وقت من أوقاته فى الدار وخارج الدار وقد أقمت معه فى داره ستا وعشرين سنة تلميذا وأمينا لسره وقلما يخلو مجلس من

مجالسه من الجد . أتم الثانية والسبعين من عمره المبارك وهمته همة الشباب وقلما يضيع وقتا من أوقاته بدون عمل أو تفكير مهيء للعمل الطيب .

كان السيد رشيد رضا يستيقظ مبكرا قبل الفجر ويتوضأ ويتنفل بالصلاة و يتلو القرآن ثم يؤذن أذان الفجر من شرفة الدار ، ويوقظ أهله للصلاة وكان يغلبه البكاء حينما يجهر بالقرآن . ثم إن كان عنده ما تدعو الضرورة لانجازه من كتابته انصرف اليه أو يخرج للرياضة مشيا على الاقدام يسير بقوة ونشاط ويعود الى الدار بعد طلوع الشمس فان كان صائما أخذ بعمله الكتابي ويتقيل غالبا وينام مبكرا . وهو على كثرة تفكيره وكثرة سمنه فان نومه كان خفيفا وقلما يصيبه الارق .

بلغ مران السيد على التأليف والتصحيح أن يكتب فى أثناء محادثته مع الناس ولا تقطع المحادثة عنده سلسلة فكره . وقد زاره مرة هندى من المتعلمين فى جامعة كمبردج وقدم اليه عشرة أسئلة مكتوبة وسأله عن موعد العودة إلى دار المنار لأخذ الجواب عنها . فقال له السيد أذكر أسئلتك سؤالا سؤالا وكان العالم الهندى يذكر السؤال والسيد يجيبه حتى أتى على آخرها . والسيد لم يترك عمله تركا كان السيد لا يراجع ما يكتب فى التفسير الا من بعد أن يكتب فهمه فى الآية حذرا من تأثير أقوال المفسرين فى نفسه .

وكان يكتب أصول المنار فى أثناء أسفاره إلى الشام والاستانة والهند والجزيرة العربية وأوروبة من تفسير وغيره ويرسلها الى المطبعة فى مصر . وليس لديه مرجع من الكتب غالبا الا « المفردات » فى غريب القرآن للراغب . واذا أتاه الله فهما فى القرآن لم يسبق اليه أو لم يطلع عليه الا بعد كتابته من عنده فانه يتحدث به إلى اخوانه حامدا شاكرا . وقد يقصه على أهل بيته مغتبطا مسرورا .

كان السيد يدرك من أسرار السياسة وغوامضها ما يقصر عنه كثيرون من

المشتغلين بها . وآراؤه المنشورة فى عهد السلطان عبد الحميد والاتحاديين وفى أيام غيرهم مؤيدة لذلك . وقد تحمل الاذى فى سبيل نصحه إياهم وطعن فيه رجال من اخوانه . ثم تبين لهم بعد سنين ان رأيه هو الصواب وكتبوا منتقدين الذين كانوا يدافعون عنهم . فالسيد لغلبة الصدق والاخلاص والصراحة عليه كان يصلح أن يستشار فى السياسة

إن انصراف السيد كل الانصراف الى التفكير والعمل فيما ينفع الناس صرفه عن استيفاء أساليب المجاملة فى التحية والتسليم عند المتحببين المتشوقين فالذين لايقدرون حياة الاختصاصيين الدائبين على التفكير فيما انصرفوا اليه كانوا يرمون السيد بماهو براء منه . ولو أن السيد جرى على سننهم واتبع أهواءهم لما وفق أن يخرج للناس تلك المؤلفات الممتازة بما انفرد به من التحقيق والتحرير وقد غبطه عليها أناس وحسده آخرون وجمعوا جموعهم مرات لنقدها وكان السيد يقول حينما بلغه اجتماع العلماء لنقد المنار أرجوا أن يكون هذا تسخيرا من الله عز وجل لجبر به المنار مما عسى أن يكون فيه من خطاء

فان اصاب النقاد نشرت لهم نقدهم وشكرت لهم صنيعهم

وللسيد قاعدة دعا اليها وجرى عليها وهى : أن نتعاون على مانتفق عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما نختلف فيه ، وكان يسميها قاعدة المنار الذهبية

هذا ماوفقت لتسطيره ونشره من سيرة السيد الامام بمناسبة مرور أربعة أعوام على وفاته رحمه الله ورضى عنه — لعلها تشحذ أذهان الخاملين وتنبه أفكار الغافلين وتهدى الى الاخلاص أولئك العاملين وما التوفيق إلا بالله رب العالمين

القلمون عبد الرحمن عاصم



